

الحیث فی مصر القذیمة

دكتور عبدالرحمن زكي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لكل أمة من أمم العالم — عدا تاريخها السياسى والاقتصادى — تاريخ حربى يتألف من المعارك العسكرية المتتابة التى حارب فيها الشعب ، ويتضمن هذا التاريخ أحوال جيوشها أو تطورها والوقائع التى خاضتها والقادة الذين أبلوا فيها ، وما الى ذلك من شئون تتصل بالحياة العسكرية ويلخص من ذلك دروس قومىة يتلقاها الخلف عن السلف .

لقد أهملت دراسة التاريخ الحربى للبلاد العربية ، ولا تزال بعض حلقات للتاريخ الحربى المصرى مفقودة لم يتناولها باحث أو منقب . فالمعارك التى خاض أوارها المصريون ، منذ فجر حياتهم ظلت غامضة ، شأنها كطلاس القدماء ، ومع أن الحوادث العسكرية لو تمحصت وجرت عليها البحوث بصورة فنية علمية ، لتبدد من حولها الغموض ، ولكانت عاملا دافعا فى صقل الروح الوطنية بين شبيبة البلاد . فلا ريب أن تواريخنا العسكرية إن لم تك قد فاقت أمثالها فى تاريخ الأمم الأخرى ، فلا تقل عنها خطورة .

نهض الجيش الوطنى منذ تكوينه بأروع الواجبات . وصلة هذا الجيش بتاريخ مصر — وثيقة منذ ستة آلاف عام . وهذه الدة على وجه التقريب هى أيضا تاريخ الجيش المصرى . فقد عاشت مصر أمة مستقلة ذات سيادة خلال معظم تلك السنين الطوال بفضل زعمائها من رجال الإدارة والجيش وبجهود شعبها الحى .

وقد ساعد الموقع الجغرافي مصر مساعدة عظمى — فكان من أشق الأمور واصعبها إغاثة الجيران القدامى وكانت صحراء ليبيا أو سيناء أو النوبة ، إلى حد ما عائقا يقف عقبة امام المغيرين عليها — على حين أن سواحلها الشمالية لم تعرضها لأى خطر كبير .

ففي ذلك العهد ، لم يكن لمصر اعداء لهم اساطيل قوية تهاجم شواطئها . اما الأقاليم الذين يقطنون وراء حدودها الشرقية والجنوبية ، فانهم كانوا أقل منها مدنية وثقافة وقوة ، فكان خطرهم بتهديد سلامتها شيئا لا يحسب له حساب . ثم نهض المصريون للحفاظ على رقعة وطنهم ، وكانوا في ذلك مدفوعين بغريزة الحرص على الحياة ، والدفاع عن النفس ، فانطلقت الجيوش المصرية إلى هضاب آسيا الصغرى ، وروابي سورية ، وبادية شبه الجزيرة ، والصحراء الليبية ، واعلى النيل .

ولم تكن المراحل التاريخية التي مرت بمصر مراحل كلها مراحل تقدم وظفر ونصر نحسب ، بل مرت بها ايضا فترات خمول كالتى مرت على جميع دول العالم التي سادت في يوم من ايامها أو تسود اليوم ، فكلما لا يغيب عن البال لا توجد أمة خلقت قوية أو ظلت محتفظة بحيويتها طوال حياتها ، فهي في ذلك كالفرد يتعرض للعامل والأمراض ، أى عوامل الضعف والوهن . ومصر إحدى هذه الأمم ، غزاها أقوام ، كان اولهم بدو سيناء ، فالهكسوس ، فدانت لهم الأرض المصرية ، ولكن لم تعترف بسلطانهم على النفوس ، وبعقب احتلالهم بعث ونهوض ، فأضاف المصريون تراثا جديدا ، وادركوا أين وكيف يحمون دولتهم .

فن يجهد الجندى المصرى ، الذى نسج لوادى النيل تاريخا من اظهر تواريخ الأمم على الاطلاق ، وخلف تراثا سيطل علينا للفخار على الأيام ؟

حارب المصرى فى آسيا وإفريقية وأوروبا . فوطئت قدماه أرضها ، وامتنطى ظهر مياهاها ، وامتزجت دماؤه بترتها ، وخلد ذكرى قلما يدانها جندى مثله ، فقد حمل الجندى أعلام النصر ، والأمم كلها تقيه فى بيداء الجهالة .

أقتاد هؤلاء الرجال — رجال أمثال مينا وأحمس وتحتوس ورمسيس
وبساتيك وصلاح الدين وابن طولون ويبرس وقطز وقلاون وعلى الكبير
وابراهيم وغيرهم .. فكان كل منهم يضيف نصراً على نصر ، ومجداً إلى مجد ..

ولماذا نرتد إلى الماضى البعيد ، لنستمد الصفحات الناصعة ، ونسترجع
الذكريات الخالدات ؟ ألم يرفع هذا الجندى ، أعلام نصره على روابى كريت
واليونان والأناضول ، وما جاورها من البلدان ؟ أنسينا أن بفضل هذا الجندى
المخلص امتدت حدود بلادنا إلى منابع النيل التى أكتشفها رجالنا ، كما أستطالت إلى
سواحل المحيط الهندى . أنسينا أن أباطرة وملوكا استنجدوا بالجيش المصرى فى
معارك شتى ، بعد أن باءت قواتهم بالفشل .

ودعنا نحدثك بعض الشئ عن هذا الجندى — فعلى عاتق جنود أبناء النيل ،
عاشت مصر مثلاً تعيش أمة مستقلة ، ومن هذا الوادى الأخضر تدفقت الجيوش
المصرية رافعة علمنا الخالد .. لا تستحها رغبة التوسع على حساب الآخرين ،
ولاتلها سياط السوء للاعتداء على المجاورين .. لا . فان المصريين — فى شتى
حروبهم — كانوا أبداً دائبين للوصول إلى حدودهم الطبيعية ليأمنوا غزوات
المعتدين أو نقض للعاقدين أو من أجل الدفاع عن حليف ..

كانت الجنديّة ، فى مصر القديمة ، فى طبيعة المهن التى تسبغ الشرف على صاحبها ،
وتمنحه ميزة — إن لم تكن ميزات — على أقرانه . بل أكثر من ذلك أن الجندى
حظى بالتقدير والاحترام مثلاً حظى الكاهن نفسه ..

وامعانا فى السمو بروح الجنديّة ، ظلت وقفاً على طبقات خاصة من الشعب ، كما
ظلت مستأجرة بسمعتها وقيمتها ، وأن كان هذا لم يمنع أن تكون خدمتها إجبارية
فى الظروف الطارئة ، وهى كما لا يخفى — ظروف الحرب .

وغنى عن القول إن أعمال الجيش آنذاك كانت تحمل محل الأعباب والتقدير ،
وتستهوى فى القلوب موضع الحب .

ومثل هذه الحقيقة تبدى بجلاء حين نشاهد النقوش الأثرية مشتملة صورة القتية ، وهم ينتقلون في صفوف منتظمة ، او في ائنية التدريب ، يمدون او يتلقون دروس الرماية بالقوس ، او الطعن بالحرب . ولما عرفت مصر ميزات الأسلحة المدرعة والسريعة ادخلتها في جيوشها ، ودربت جندها على استخدامها .

بل ان هذا الإجلال الذى بسطته الدولة على الجندية جعلت الشباب يطمح فيها ، ولا ينفك يسعى اليها . فلم يك بدعا ان تموج المدن المصرية ، في ايام الفراغة ، بالشبيبة المتوقدة حماسة ونشاطا ، الزاخرة بالأقدام وحب الجندية .

واننا كلما تتأمل في متباين تمارين القتال البادية على النقوش الأثرية كلما تمثل قبالتنا صورة وضاءة لأمة حربية ألفت الحرب لأنها آمنت بأن العيش السعيد لا يتأتى إلا في ظل النصر .

وليس هذا فحسب كل ما أحرزه الجنود المصريون من مزايا ، فقد منحهم الملوك اشتاتا من الزايا ، لم يشاركهم فيها احد من الطبقات الأخرى سوى رجال الدين . فقد جرى على منح الجندى الذى يذود عن حياض الدولة ويرفع علمها الظافر ماينوف هلى عشرة أفدنة معفاة من الضرائب . يستغلها اهله إذاولى وجهه سطر ميدان الجهاد فتقتات منها الزوجة والأبناء طيلة فترة غيابه ، في سورية او النوبة او الصومال او ليبيا ... فاذا عاد من حومة الوغى خلع عدة القتال وأسلحته ، وركن إلى مزرعته . حتى إذا ماناداه الفرعون لسكى يشمر عن ساعده التى الجندى فأسه جانبا وتقلد سلاحه وغادر ارضه إلى حيث يكافح ويتناضل .

ولعل مايقال من ان الجنود المصرية كانت تمتلك ثلث الأراضى الزراعية ، على عهد حكم اسرة سنوسرت مايكفى للدلالة على صدق مارويناه .

ومن الامتيازات التى كان يتمتع بها الجندى المصرى ايضا ، ان لا يودع السجن إذا لم يدفع دينيا فى عنقه ، ولا يتولى القبض عليه رجال السلطة المدنية ، بل كانت جل شؤونه يهيمن عليها العسكريون . وكان كل جندى يحافظ على جميع ادوات القتال

الضرورة كما يحافظ عليها الجندي السويسري اليوم . فقد كان على أهبة القتال لدى نداء الوطن ، او حينما يستدعى لتأدية الخدمة العسكرية ، في إحدى الحاميات او قلاع الحدود . ولم يك ليقبض على الجندي لغير جنائتي السرقة والقتل بشرط أن يضبط متلبسا بارتكاب ايهما .

وفي مصر الفرعونية لم ينقد الجندي أجرا ما ، واسكن إذا انطلق للحرب كانت توزع عليه إدارة الجيش طعامه وشرابه . ولم تصل اليها مقادير الكيات التي كان يتناولها الجندي ، ونظن أنه كان يتساوى و جندي الحرس الملكي الذي كان يتلقى تعيينا يوميا مؤلفا من رطلين من لحم البقر وخمسة ارطال من الحبز وكمية من الشراب . ومثل هذه الكمية — بلا مرء — وفيرة للغاية ، يحسده عليها جندي اليوم ، وفي أي جيش .

وكان حط الجندي المصري من الغنائم يجري بطريقة عادلة ، فبعد انتهاء المعركة يبدأ المسجلون (السكتية) في إحصاء أكوام الأيدي التي تقطع من اجساد القتلى من الأعداء ، وعندما يتم هذا تصنف الغنائم وتوزع على الجنود بما يناسب نصيب كل وحدة من قتلى الغرماء ، وما يتبقى من الغنائم من الأسلحة والنفائس فيجمعها الحراس ويعاد احصاؤها ، ومن ثم تنقل إلى مصر ليشهدها الشعب عن كتب .

ولا يغرب عن الفكر ، ان الجيش المصري كان اول جيوش العالم في استخدام الموسيقى ليسير الجند على انغامها ، في خطى متزنة ، يمين شمال يمين شمال . وكان الجندي المصري اول من استخدم وسائل التخفية (الكاموفلاج) لكي لا يظهر للعدو في وضوح فكان يغطي غطاء رأسه وملابسه واسلحته وعربته وجواده ، بطلاء ملون في غير انسجام وعلى نسق مايفعل اليوم الجند في عرباتهم المسلحة ودباباتهم وعتادهم الحربي .

ومما يجعل ذكره ان كلمة « نفر » التي يعرف بها جندي اليوم كلمة فرعونية (Nefer) ، كانت تطلق على الجندي ومعناها الشاب الصالح — وكلمة امير التي تطلق على قائد الوحدة الكبيرة ترجع إلى كلمة امير . فمثلا يعادل رتبة لواء لفضة « اميرا ميشا » .

وفي بداية الفتح العربي لم يشترك المصريون في القوات الدفاعية ، وربما اتهم العرب تلك السياسة خوفهم من ان يحىي المصريون روح القومية المصرية على حسابهم وأن يقوموا بطردهم من بلادهم متى سنحت لهم الفرصة . ولكن بمرور الأيام اندمج المصريون ، وقد دخلوا في دين الله أفواجا ، في الجيش الاسلامى ، وصاروا من اظهر عناصر الجهاد . وقد حرم الخليفة على الجنيد بمصر — وفي سائر الأقاليم المفتوحة الأشتغال بالزراعة أو امتلاك الأرض ، لئلا يركنوا إلى الكسل ويسيطر عليهم حب المال ومتاع النعيم . والحق ان العرب بهرتهم ثروة البلاد التي فتحوها ، وقد بدأ خطر هذه الروح للخليفة عمر بن الخطاب فأراد كبح جماح المجندين لأن واجب الجهاد كان يناديهم في كل مكان ، فلم يرض بتقسيم الأرض بينهم ومنعهم من احترام الزراعة ، حتى لا يميلوا إلى الرخاء والتقاعد عن الحرب ، وحتى لا يتوطنوا في اقليم من الدولة الاسلامية ، فيصعب عليهم الانتقال إلى اقليم آخر إذا دعوا لحمايته أو فتحه أو الدفاع عنه .

وكتب اللوردى أن من واجبات أمير الجيش ألا يمكن أحدا من جيشه أن يتشغل بتجارة أو زراعة يصرف الاهتمام بها عن مصابرة العدو صدق الجهاد، وهذا الأمر يراعى تنفيذه إلى اليوم . فان قانون الجيش يحرم على الضباط والجنود ممارسة أية مهنة أو عمل غير الجندي .

وجاء احمد بن طولون، الذي استقل بحكم مصر فأنشأ جيشا كبيرا مدربا وجعل لأفراده ملابس خاصة . وقد ذكر الكندى المؤرخ العربى المعروف ان الجيش الطولونى بلغ فى أجمد أيامه مائة ألف مقاتل — ومن المحتمل أن يكون فى هذا الرقم بعض البالغة ، لكننا نجد فى تاريخ الكندى أن عدد القوات المصرية التي اشتركت فى معركة الطواحين بلغ سبعين الفا بقيادة خمارويه .

وفى أيام دولتى المماليك البحرية والبرجية ، عنى السلاطين عناية فائقة بتدريب الشبان المماليك وتثقيفهم ثقافة عسكرية بحتة . فقد ارتأوا أن دولتهم لن تقوم إلا اذا وجدت لها سواعد مفتولة ، وقلوباً تملأها الشجاعة والحمية وعقولاً امهرتها الدربة

والمرانة في ضروب الفروسية والقتال . فكان لامناس لهم — والحالة هذه — من الاحتفاظ بقوات على أهبة الاستعداد — أسكنوا قتيانها في ثكنات خاصة بقاعة الجبل أو قلعة الروضة ، وكان يطلق عليها الطباقي .

وكان النظام الذي يطبق عليهم شديدا للغاية ، حتى لقد حرم عليهم النزول الى المدينة إلا في القليل السادر وبصحبه قادتهم ، لكي لا يمتزجوا بالعوغاء . وكان تدريبهم يمر في مرحل ثلاثة ، لا يتجاوز إحداها إلا اذا بلغ مستوى خاصا من التدريب ، والفروسية والثقافة العسكرية .

وقد اضطلع الفرسان المماليك بطائفة من الحروب ، فقصوا على حملات الصليبيين في مصر والشام ، ثم صدوا التتار في عدة حملات أهمها في معركة « عين جالوت » « ومرج الصفر » وناهضوا هجمات التتار في وقائع شتى .. إلى أن تسافط دولتهم في مرج دابق .

ولما ولي محمد علي حكم مصر ، لم يك في البلاد جيش مصري . فقد تألفت قوات الدفاع من أخلاط متباينة منها : الشركسي ، والألباني ، والكردي ، والغربي ، والتركي فعمل جهده للتخلص من كل هذه الأجناس الشتيتة والغريبة عن وادي النيل وأنشأ الجندي الوطنية من أبناء البلاد الخالص .

وعرف محمد علي أن الجيش هو الدعامه القوية التي يؤسس عليها الدولة المصرية فبدل همته وعزيمته في إنشاء قوات برية وبحرية ، هيا لها المصانع ، وأقام عليها المدارس ، وأعد الثكنات والمصالح المتنوعة .. فجعل من البلاد معسكرا يربح بالجنود والضباط والقادة ، وبعث بالمتقدمين منهم إلى البلدان الأوروبية ليستحذوا على المعلومات المستحدثة ، ويأوسون ألوان الخبرة والتجربة .

وغنى عن التعريف أن جيش مصر ، في أوائل القرن التاسع عشر قد بلغ عشرات الآلاف بين مشاة وفرسان ومدفعين ومهندسين وما إليه . وهذا الجيش قضى عشرات السنين وهو يحارب بقيادة ابراهيم ، في ميادين اجتمعت لها القساوة

والمشقة فى نجاد وفلوات بلاد العرب ، وسهول وجبال الشام ، وبطاح الأناضول وقيافى
السودان ، وأراضى اليونان الوعرة ، وجزر البحر المتوسط وغيرها . . وما كان
يختم ظفرا إلا ليبدأ ظفرا جديدا حتى تسنى لمصر أن تنطلق حرة من كل حكم
آل عثمان ، بيد أن الاستعمار كان واقفا لها بالمرصاد ، فاحتل البلاد . ولكن روحها
ظلت سليمة ، فلم تخنصر وتذهب هباء ، وواصل أبناء الشعب الكفاح ، وظلوا
يجاهدون ويعملون حتى خلعوا عن وطنهم الذل والهوان وظفروا بالحرية واستعادوا
الاستقلال لوادى النيل .

عبد الرحمن زكى

القاهرة أبريل ١٩٦٧

تمهيد

لكي نوضح للقارىء^١ تتبع المراحل التاريخية التي مر خلالها الجيش المصرى فى عصوره المجيدة ، رأينا أن تقدم للقارىء^٢ فى صفحات قلائل الترتيب التاريخى لتعاقب الدول المصرية القديمة والأسرات التى تنابت على حكم البلاد ، وذلك منذ أن نهض مينا بتوحيد القطرين البحرى والقبلى ، وقيام الدولة المصرية الموحدة فى وادى النيل (١)

١ - ما قبل الأسرات

كان ثمة مملكتان قبل الأسرة الأولى ، وقد عرفت أسماء عدد قليل من ملوك الشمال ، وملوك الجنوب من لوحة بالرمو .

١ - اختلف المؤرخون فى تقدير تواريخ الأسرات والملوك . والتواريخ المذكورة هنا يمكن اعتبارها تقريبية إلى عام ٥٠٠ ق . م وأن ما بعدها لا يكاد يصل إليها الشك .

الدولة القديمة

(ح ٣٢٠٠ — ٢٤٣٠ ق. م.)

الأسرة الأولى (٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق. م. تقريبا) :

فاتحو الشمال من أهل الجنوب ، وموحدو مصر . تأسيس منف . العقرب
أب — نعرمر (يحتمل هينا) — عحامن — ... الخ .

الأسرة الثانية (٣٠٠٠ — ٢٧٨٠ ق. م. تقريبا) :

لعل أصلها من الشمال — حنب سخمرى — رع نب كاكو — نتر ... الخ .

الأسرة الثالثة (٢٧٨٠ — ٢٦٥٠ ق. م. تقريبا) :

منف تصبح العاصمة : خع سخمرى بئى (يبى) — زوسرح ٢٧٠٠ ق. م.
فاتح شبه جزيرة سيناء .

الأسرة الرابعة : (٢٦٥٠ — ٢٥٠٠ ق. م.)

عهد الأهرام الكبرى ، تبلغ الذروة فى السلطان والغنى .
(ح ٢٦٥٠ ق. م) ، ويقول بعض رجال الآثار ، إنها تبدأ فى ٢٧٢٠ ق. م .

سنفرو

خوفو (كيوبس) (ح ٢٦٠٠ ق. م.)

رع دف ؟

خفرع (كفرن) (ح ٢٥٦٠ ق. م.)

منكاروع (ح ٢٥٢٥ ق. م.)

الأسرة الخامسة : (ح ٢٥٠٠ — ٢٣٥٠ ق . م) :

يقول بعض رجال الآثار أنها تبدأ في ٢٥٦٠ ق.م .
أوسركاف — ساحرود — نفر اركادع — أوناس .

الأسرة السادسة : (حوالى ٢٣٥٠ — ٢٢٠٠ ق.م) :

يقول بعض رجال الآثار أنها تبدأ عام ٢٤٢٠ ق م .

تيتي (توتى)

أوسكا (؟)

(ح ٢٣٢٥ ق . م)

يبي الأول

مرن رع الأول

(٢٢٢٥ — ٢١٨٥ ق.م)

يبي الثانى

مرن رع الثانى ؟

الأسرة السابعة والثامنة والتاسعة والعاشره : (ح ٢١٨٠ — ٢٠٥٠ ق . م) :

فترة الفوضى الأولى — غزو الآسيويين — أسرتان تبحان فى أهناسيا .
أنقسمت البلاد خلالها . وعندما تعود السلطة المركزية (الدولة الوسطى) إلى الظهور
بالأسرة الحادية عشرة تكون طيبة فى الجنوب هى قاعدتها .

(^١) (الدولة الوسطى)

(ح ٢٠٥٠ — ١٨٠٠ ق . م)

الأسرة الحادية عشرة : طيبة (٢١٣٤ — ١٩٩١ ق.م) :

يذكر بعض رجال الآثار أنها تبدأ عام ٢٠٦٥ ق . م أهم ملوكها :
أنتف الأول ، فالثانى — منتوحوتب الأول .

— يعتبر بعض المؤرخين الأمرة الحادية عشرة من أمرات الدولة القديمة .

- منتوحتب الثانى (؟ — ٢٠٧٨ ق . م) .
 - منتوحتب الثالث (٢٠٧٨ — ٢٠٣٠ ق . م) .
 - منتوحتب الرابع (٢٠٣٠ — ٢٠٠٠ ق . م) .
- الأسرة الثانية عشرة : (١٩٩١ — ١٧٧٨ ق . م) :

- ويذكر بعض رجال الأثار أنها تبدأ عام ٢٠٠٠ ق . م .
- أمنمحتت الأول (ح ١٩٩١ — ١٩٧١ ق . م) .
- سنوسرت (أو سيزوستريس) الأول (١٩٧١ — ١٩٣٦ ق . م) .
- أمنمحتت الثانى (١٩٣٩ — ١٨٩٤ ق . م)
- سنوسرت الثانى (١٨٩٧ — ١٨٧٨ ق . م)
- سنوسرت الثالث (١٨٧٨ — ١٨٤٠ ق . م)
- أمنمحتت الثالث (١٨٤٠ — ١٧٩٢ ق . م)
- أمنمحتت الرابع
- سبك نفرو - رع (ملكة)

الأسرة الثالثة عشرة والرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة (ح ١٧٥٠ ق . م)
 فترة فوضى كاسحة وتفقد فيها طيبة سلطتها ، ويفد غزاة من الشرق . وأخيرا
 تحكم مصر كلها تقريبا أسرتان من الملوك الهكسوس (الرعاة) الأجانب .
 (١٧٨٨ — ١٥٨٠ ق . م)

الاسرة السابعة عشر : (١٦٦٠ — ١٥٧٠ ق . م)

استقل بالحكم فرع من ملوك طيبة فى أيام آخر ملوك الهكسوس ويبدأ
 النضال النهائى فى عهد سكنن رع الثالث .

- (١٦٣٥ — ١٦١٥ ق . م) سكنن رع الأول
- (١٦٠٠ — ١٥٨٥ ق . م) وفى تقدير آخر

(١٦١٥ - ١٦٠٥ ق. م)	سكنن رع الثاني
(١٦٠٥ - ١٥٩١ ق. م)	سكنن رع الثالث
(١٥٩١ - ١٥٨١ ق. م)	وزخبر رع كاموزا
(١٥٨١ - ١٥٧٠ ق. م)	سنخت أن رع

الدولة الحديثة

(١٥٧٠ - ٦٦٣ ق. م)

الاسرة الثامنة عشرة : (١٥٧٠ - ١٣٠٥ ق. م)

(١٥٧٠ - ١٥٤٥ ق. م)	أحمس (احموزا - أمازيس):
(١٥٤٥ - ١٥٤٥ ق. م)	أمنمحتب (أمنوفيس) الأول:
(١٥٤٥ - ١٤٩٥ ق. م)	تحوتمس الأول
(١٤٩٥ - ١٤٦٨ ق. م)	تحوتمس الثاني
	حتشبسوت (ملكة)
	تحوتمس الثالث
(١٤٦٠ - ١٤٣٦ ق. م)	تحوتمس الثالث
(١٤٢٠ - ق. م)	أمنمحتب الثاني
(١٤٠٦ - ١٣٩٨ ق. م)	تحوتمس الرابع
(١٣٩٨ - ١٣٦١ ق. م)	أمنمحتب الثالث
(١٤١١ - ١٣٧٥ ق. م)	اخناتون (أمنمحتب الرابع)
(١٣٥٨ - ق. م)	سمنكارع
(١٣٥٨ - ١٣٥٣ ق. م)	توت عنخ آمون
(١٣٥٣ - ١٣٥٠ ق. م)	آي

الأسرة التاسعة عشرة: (ح ١٣٤٢ — ١٢٠٠ ق م):

عهد جديد عقب ما أحدثه الملك اخناتون

(ح ١٣٤٢ — ١٣٠٣ ق م) ^(١)	حرمحوب
(ح ١٣٠٣ — ١٣٠٢ ق م)	رمسيس الأول
(١٣٠٢ — ١٢٩٠ ق م)	سيتي الأول
(١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق م)	رمسيس الثاني
(١٢٢٤ — ١٢١٤ ق م)	مرينتاح (منفتاح)
(الاتنان ١٢١٤ — ١٢٠٩)	أمن سيس ، سابتاخ
(١٢٠٩ — ١٢٠٠ ق م)	سيتي الثاني

الأسرة العشرون: (ح ١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق م):

ست نخت من أسرة رمسيس / ٢ يعيد النظام بعد فترة وجيزة من الفوضى .
حكم في خلالها أرسو بضع سنوات . ضياع الأمبراطورية المصرية في سورية .

(١١٩٧ — ١١٩٥ ق م)	ست نخت
(١١٩٥ — ١١٦٣ ق م)	رمسيس الثالث
(١١٦٤ — ١١٥٧ ق م)	رمسيس الرابع
(١١٥٣ — ١١٥٢ ق م)	رمسيس الخامس
(١١٤٩ — ١١٥٣ ق م)	رمسيس السادس
(١١٤٩ — ١١٤٢ ق م)	رمسيس السابع

١ — يعتبر بعض المؤرخين ان الملك — القائد حورمحب آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة ،
وأن الأسرة ١٩ تبدأ في عام ١٣١٤ باتمائد رمسيس الأول .

(١١٤٢ — ١١٣٨ ق. م)	رمسيس الثامن
(١١٣٨ — ١١١٩ ق. م)	رمسيس التاسع
(١١١٩ — ١١١٦ ق. م)	رمسيس العاشر
(ح ١١١٦ — ١٠٩٠ ق. م)	رمسيس الحادى عشر
(ح ١٠٩٠ ق. م)	رمسيس الثانى عشر

الأسرة الحادية والعشرون: (ح ١٠٩٠ — ٩٤٥/٩٥٠ ق. م):

لمامات رمسيس ١١ استولى حرحور الكاهن الأعظم على السلطة وأسس أسرة للوك الكهنة . وفى تلك الأثناء استقل بالملك أمير من أمراء تنيس يسمى مهندس (نسوبا بندد) ، واحتفظت طيبة باستقلال مهدد .

الأسرة الثانية والعشرون: (٩٤٥/٩٥٠ — ٧٤٥ ق. م):

مؤسس هذه الأسرة من نسل بعض الجنود المرتزقة الليبيين وقد اختيرت بواسطة حاضرة لأمالك .

(٩٤٥ — ٩٢٥ ق. م)	شيشنق الأول
(٩٢٥ — ٨٨٩ ق. م)	أوسركن الأول
(٨٨٩ — ٨٦٥ ق. م)	أوسركن الثانى
(٨٦٥ — ٨٥٠ ق. م)	شيشنق الثانى
(٨٢٥ — ٨٢١ ق. م)	يوبوت
(٨٢١ — ٧٦٩ ق. م)	شيشنق الثالث
(٧٦٩ — ٧٦٣ ق. م)	باماي
(٧٦٣ — ٧٥٥ ق. م)	شيشنق الرابع
(٧٥٥ — ٧٤٥ ق. م)	أوسركن الرابع

الأسرة الثالثة والعشرون : (ح ٧٤٥—٧١٨ ق.م):

في عهد أوسركن الثاني تولى فرع أصغر من البيت اللوبي منصب كاهن آمون الأعظم في طيبة ، فكانت منه الأسرة الثالثة والعشرون .

الأسرة الرابعة والعشرون : (ح ٧١٨—٧١٢ ق.م):

الأسرة الخامسة والعشرون : (٧١١—٦٦٣ ق.م):

هبط شباكا الذى اشترك مع بمنخى النوبى من حوالى ٧٢٥ ق . م على مصر واسترد سيادة النوبة وأسس الأسرة الأثيوبية .

(٧١١/٧١٥—٧٠٠ ق.م)	شاباكا
(٧٠١ — ٦٨٩ ق . م)	شاباتاكا
(٦٨٩ — ٦٦٦ ق . م)	طهارقة
(٦٦٦ — ٦٦٣ ق . م)	تانوت آمون

الأسرة السادسة والعشرون : (٦٦٣—٥٢٥ ق.م):

في عهد طهارقة خضعت للملكى آشور المتعاقبين عزر هرون وآشور بانيبال حاول طهارقة وخلفه أن يطرد الاشوريين ولكنهما فشلا . وأقام آشور بانيبال بسمتيك حاكما فى ساو بمدفتن واضطرابات . وفى هذه الأسرة ومضت ومضة أخيرة من الاتعاش الحربى .

(٦٦٣ — ٦٠٩ ق . م)	بسمتيك الأول
(٦٠٩ — ٥٩٣ ق . م)	نخاو
(٥٩٣ — ٥٨٨ ق . م)	بسمتيك الثانى
(٥٨٨ — ٥٦٩ ق . م)	واحبرع
(٥٦٩ — ٥٢٦ ق . م)	أحمس
(٥٢٦ — ٥٢٥ ق . م)	بسمتيك الثالث

الأسرة السابعة والعشرون : (٥٢٥ — ٤٠٤ ق.م) .

يفتح قبيل مصر (٥٢٥ — ٥٢١ ق . م) ويحكمها ملوك من الفرس يتخذون الألقاب القديمة .

الأسرة ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ : (٤٠٤ — ٣٤١ ق.م) :

استرد بعض الأمراء شيئاً من الاستقلال حيناً بعد حين . كان نقطاب من الأسرة الثلاثين آخر ملك وطني حكم مصر . واسترد أخيراً الفرس السيطرة التامة على البلاد حوالي سنة ٣٤٠ ق . م ويعد دارا الثالث الفارسي (اردشهر) مؤسس الأسرة الحادية والثلاثين .

البطالمة

(٣٠٥ — ٣٠ ق . م)

انتزع الاسكندر الأكبر مصر من دارا الثالث (٣٣٢ ق . م) وحكم خلفاؤه فيليب اريد ايوس ، واسكندر الثاني والبطالمة وفي جملتهم كايوباترة (٥١ — ٣٠ ق.م) البلاد في الاسكندرية حوالي ٣٠٠ سنة . واخيراً آلت مصر إلى الامبراطورية الرومانية (٣٠ ق.م) ، فالبيزنطية ، ثم انتزعها العرب عام ٦٣٩ بقيادة عمرو بن العاص .

القسم الأول

الجيش في مصر القديمة

المقصود بالجيش ، مجموعة الأفراد المسلحين والمنظمين الذين يكلفون بأعمال القتال البرية . ويتألف من الأفراد الذين يتدربون عسكريا للدفاع عن الدولة . ويطلق هذا التعريف العام على جميع الذين يحترفون مهنة الجندية ويتخذونها عملا مستديما ، وكذلك أفراد قوات الاحتياط الذين يدرّبون على القتال . وقد تطورت في خلال التاريخ نظم الجيوش تبعا لتغير النظم الاجتماعية والعقائد السياسية عند الشعوب . وأخذت الجيوش تبعا لذلك أنماطا مختلفة على مر العهود ولا يخفى أيضا مدى ما كان لتطور الأسلحة من آثار على تنظيم الجيوش ، فضلا عن التطور التكنولوجي ففي زمن من الأزمنة ، كانت المشاة عماد الجيش ، وفي زمن آخر استبدلوا بالفرسان المسلحين . ونرى اليوم المدرعات الميكانيكية هي التي يقع على عاتقها أعنف مراحل القتال . وكانت الجيوش في بعض العصور تؤلف من الجنود المحترفين أو المتطوعين أو المرتزقة . . هؤلاء الذين يحاربون سعيا وراء الغنائم والحصول على المال أو الشهرة وللغصاة . وفي بعض الأزمنة تألفت الجيوش من الوطنيين الذين يقاتلون في سبيل الدفاع عن أوطانهم ومن أجل المثل العليا . وهؤلاء يعتبرون القتال حفا لهم وليس واجبا .

وهكذا تنوعت وتطورت نظم الجيوش بين الشعوب ، مراكبة تطور الأحوال الاجتماعية في العالم . ولقد كانت مصر منذ القدم أسبق الأمم في تكوين الجيوش للأنظمة والمدرّبة منذ أيام الدولة القديمة .

وقبل أن نتحدث عن أحوال الجيش منذ أقدم عصور مصر التاريخية ، ينبغي أن نلم بالمرحلة التي مرت بها البلاد في العصر العتيق (ما قبل التاريخ) . وقد أوجز المؤرخون تلك المراحل في أربع هي ، الآتية :

١ — كانت البلاد منقسمة إلى مملكتين : مملكة الشمال وعاصمتها بوتو (بالقرب من دسوق) ، ومملكة الجنوب وعاصمتها نحن (الكوم الأحمر بمركز ادفو) .

٢ — بعد أن استولت مملكة الشمال على الجنوب ، وحدثت البلاد وكانت كل فترة من هاتين الفترتين طويلة جدا .

٣ — توصل الجنوب في فترة يصعب تحديدها إلى التمرد على الشمال ، وفي خلال هذه الفترة حكم الملكان عقرب ، ونعمرمر .

٤ — توحدت مصر من جديد ، لكن ملوك الجنوب هم الذين كانت لهم الغلبة هذه المرة على ملوك الشمال . ومنذ ذلك الوقت دخلت مصر في الحقبة التاريخية . وبدأ عصر الأسرات المصرية .

ومن المحتمل أنه كانت هناك محاولات في سبيل توحيد مصر قبل مينا ، بيد أن تلك الوحدة لم يكتب لها الاستمرار . أما وحدة مينا أو « نعمرمر » فهي التي بقيت واستقرت ، وجمعت مصر دولة واحدة ، تولى أمرها عدد كبير من الأسرات المصرية حتى فتحها الفرس واسكندر الأكبر .

وفي خضم تلك الأحداث ، أصبح للعسكريين قطاع هام في المجتمع وكانوا يجندون من أفراد جميع الطبقات ، ولذلك لا يمكن اعتبارهم طبقة ممتازة أو مميزة عن غيرها . أما بعد وحدة البلاد ، فن المحتمل جدا أن يكون الحاربون جميعا من شعب البلاد التي ينتمي إليها الملك الحاكم . ولما استتب السلام والأمن في ربوع مصر واستقرت سلطة الملك في طول البلاد وعرضها ، امتد التجنيد حتى عم جميع أفراد الشعب دون استثناء .

الدولة القديمة

ونلاحظ أنه في عهد ملوك طينة وفي أثناء الدولة القديمة (ح ٣٢٠٠-٢٤٣٠ ق. م) كان إلى جانب الجنود المصريين ، عناصر من الجنود المرتزقة . وكان الأولون لا يستدعون للقتال إلا في الحروب الكبرى . وكان يقود الجيش قائد عام . ولم يكن الجيش اقطاعيا مؤلفا من جماعات من المقاتلين يقود كل منها سيد الاقطاع ، بل أن هناك في الواقع جيشا للحكومة المركزية مؤلفا من وحدات حربية تحت قيادة ضباطه المحترفين الذين تفرغوا للأعمال الحربية . ولم يكن لهم عمل مدني آخر . وكان للجيش سلاح وملابس واحدة في كل فرقة . ويؤيد ذلك الرسوم التي عثر عليها في معبد سحورع ، حيث الجنود يخطون خطوات منتظمة ومجهزون بعتاد وسلاح حربي واحد ، وقابضون على أسلحتهم بأسلوب واحد . وكان الجنود المرتزقة من النوبيين أو من الليبيين . وقد اشترك هؤلاء أيام يبي الأول تحت أمرة القائد «وني» في حملة لإخضاع البدو . وكان للمرتزقة ادارة حربية وقيادة . وقد ترك لنا وني تبتا بأسماء الأشخاص الذين جاءوا على رأس جنودهم ، مرتبة حسب مكانة كل منهم . ولما تولى زوسر (الأسرة الثالثة) حكم البلاد ، ودعم سلطانه بحكومة مركزية ، فكان لا بد له أن يستعين بجيش قائم منظم لحماية الدولة من الاعتداء الخارجي ، فقسم البلاد الى مناطق أطلق عليها اسم أبواب المملكة وجعل في كل منها حامية . وقد نصب على كل من هذه المناطق حاكم خاص ، يلقب «مرشد الارض» وقد كان هؤلاء الحكام الكلمة العليا على حكام المقاطعات ، وكان في يدهم ادارة الشرطة . ولذلك كانوا مسئولين عن الأمن في هذه المناطق . وقد أقيمت لهذه الحاميات معازل ، لسكل منها ادارة عسكرية خاصة ، فكان له مخازن غلال الخاصة . وقد حفظت أسماء بعض هذه المعازل ، ومنها معقل « بطولة الأرضين » .

كان الجيش في عهد زوسر يشعب الحكومة المركزية وكانت الوحدة العسكرية الصغيرة في أثناء الدولة القديمة مؤلفة من الشبان الصالحين (نفرو) ، يقودهم رئيس (خرب) وكان يتألف من هذه الوحدات سرايا ، أطلق على قائدها لقب (خرب) عبر نفرو) وكانت تعتبر السرية الوحدة التكتيكية في الجيش .

وفي أيام الأسيرة الرابعة كان على رأس الجيش البري قائد الجيوش (إمرا مشع) وكان في الغالب ابن ملك ، ويجلس بين أعضاء مجلس العشرة العظام ، مثل الامير « سرايب » ابن الفرعون خوفو .

وفي أيام الأسيرة الخامسة لم يطرأ على تأليف الجيش تغيير يذكر عما كان عليه في أيام الأسرتين الثالثة والرابعة ، فقد كان مؤلفا من مجندين كان يطلق على الواحد منهم « الشاب الصالح » . وتتألف منهم وحدات « عبر » كل منها تحت أمرة ضابط يحمل لقب رئيس الوحدة أو الفرقة « خرب عبر » . ومن هذه الفرق مجتمعة تألفت كتائب الجيش « عبر مشع » . وعلى رأسها قائد يحمل لقب قائد كتائب الجيش اما حرس الفرعون في القصر فيتألف من فرق مختلفة من الجندين بأمرة « قائد فرق المجندين » . وكانت تحمل كل واحدة منها اسما خاصا بها . وكانت توجد فرق اخرى تتألف منها حاميات ثابتة في داخل البلاد وكانت توضع تحت إمرة السلطة المدنية لحفظ النظام . وكان الجيش يرسل بموتنا الى الصحارى كمحاجر ومناجم سيناء ووادي الحمامات بالصحراء الشرقية ، ومحاجر طرة .

وكانت العناية بالمجندين عظيمة ، فكانوا يدربون على الأعمال الحربية ، ويتلقون الدروس العسكرية ، وقد خصصت لها مصلحة قائمة بذاتها فكان يشرف على ادارتها العليا القائد الأعظم للجيش . ونذكر على سبيل المثال « كام تفت » الذي كان يحمل لقب قائد جيوش البر والبحر ومدير التعليم للجيش .

لقد كان جيش مصر الدائم وقلاعه ، واسطوله يستازم قيادة ماهرة لتصرف الأمور — كانت تتمثل في بيت السلاح الذي عرف منذ الأسيرة الثالثة . وقد كانت إدارته دائما موكلة إلى امير ملكي أو إلى زوج اميرة مملوكية ، فكان مستقلا عن الإدارة المدنية . وفي عهد الأسيرة الخامسة أصبح هناك بيتان للسلاح (رئاستان) احدهما للوجه القبلي والآخر للوجه البحري . وقد كان موظفوه ينتخبون من أعلى طبقات الموظفين ، وغالبا ما يكونون من قادة الجيش وكان لهذا القائد لقبان في وقت واحد: احدهما « سيشيمو اميرا استى نتر » وثانيها خرب استى نفر » ومعناها مدير جنود الإله

الحربيين الاثنيين . والقصود من كلمة الإله هنا — الفرعون . ويحتمل أن تشير كلمة الاثنيين في اللقب جنود جيشي مصر العليا و مصر السفلى .

ويشمل بيت السلاح عدة مديريات (مصالح) وخاصة مديرية الأشغال ، لذلك كان كل قائد أعلى للجيش يحمل لقب مدير أشغال الفرعون . وكان يدخل في اختصاص بيت السلاح إدارة شئون الغلال لتموين أعمال الحرب وخزن ما يلزم من المؤن في القلاع ، وتجهيز الجيش بالسلاح والملابس والعتاد . وهكذا نرى أن الجيش في مصر لم تسكن عصابات تقوم على السخرة أو على السلب ، بل كان جيشا منظما على الإدارة الحربية في عتده وعتاده وطمامه .

ويظهر لنا من النقوش التي خلفها « وني » كيفية تجمع الجيش بوساطة حكام المقاطعات والمراكز ، فقد كانوا يأتون بالجنود المجندين من الحصون والمدن التي كانوا يحكمونها . وكان حكام المقاطعات المصرية مكلفين بفحص المجندين وتسجيل أسمائهم .

ونلاحظ أنه في ختام الأسرة السادسة ، لا يقابلنا لقب « القائد العام » (امر مشعو) ، فقد بدأ حكام المقاطعات يستولون على القيادة الحربية بعد أن أصبحوا أمراء اقطاعات ، ويجيدون الجند لخدمة ملكهم . ويظن أنه قد حدث انقلاب في عهد يبي الأول في نظام الجيش بسبب انحلال الدولة وتقسيمها إلى مقاطعات تكاد تكون مستقلة . ونلاحظ في أواخر عهده أن الوظائف الحربية أصبحت نتيجة لهذا الانقلاب وراثية تقريبا ، كما أننا نلاحظ أيضا أن القيادة العليا كانت في سبيل التغيير . فنجد أن لقب القائد العام للجيش أخذ يحتفى وكذلك أصبح تجنيد الجنود بإشراف الفرعون مستحيلا . ويرجع ذلك إلى قيام الامارات الاقطاعية . ومنذ ذلك الحين لم يبق في قبضة الفرعون إلا جيشه المرتزق الذي كان يقوده مدير القوافل وقد أصبح قواد هذا الجيش من النفوذ في عهد يبي الثاني إلى درجة أنهم أصبحوا أمراء اقطاعيين في جزيرة الفنتين ، وأصبحوا من أهم حكام الاقطاع في الجنوب .

الخدمة العسكرية

كانت الخدمة العسكرية في أيام الدولة القديمة اجبارية بطريق التجنيد ، فكانت كل مقاطعة يجند منها الجنود للعمل في المحاجر أو للقيام بالأعمال الحربية في الجهات التي تتطلبها . وتدل الأحوال أن النظام كان سائداً في فصائل الجنود الحربية منذ أيام الدولة القديمة . فقد دلت الرسوم المنقوشة على جدران الطريق الجنائزى لهرم الفرعون « أوناس » أن كل فصيلة من الجنود كانت تحت أمره ضابط ، فكان من بينهم ضابط الخمسة ، وضابط العشرة . وتدل رسوم أخرى على تنظيم الجيش وفرقه وتسليحه . ونجد في مقابر الأسرتين ١١ ، ١٢ في بنى حسن والبرشه وغيرها مناظر تدل على عناية القوم بتدريب الشباب على الألعاب الرياضية . وكذلك على مناظر توضح معارك حربية وحصار القلاع مما يدلنا على انتشار الروح الحربية .

ولم تكن الخدمة العسكرية وراثية، ومع ذلك فقد كان معظم الرجال الذين أدوا الخدمة العسكرية ، يخرطون أولادهم في سلسكها . وقد كان يؤخذ المجدد ، وهو صغير السن إلى الشكنات ، حيث كان يتعلم كيفية الرمي بالقوس واستخدام بلطة القتال والدبوس والرمح والدرقة ، وكذلك كانوا يتدربون على الألعاب الرياضية التي تجعل الجسم مرناً ، وتدريبهم على فنون الحرب والسير للمنظم والسكر والفر والقفز والمصارعة بأيديهم أو الملاكمة . وكانوا يعدون أنفسهم للمعركة على شكل رقص حربى منظم أو بالوثب واللف والتلويح بالقوس في الفضاء وعند الانتهاء من التعليم كانوا يدعجون في الفرق الحامية ، ويمنحون امتيازات الجنود عند ماتسكون الحاجة ماسة الى واحد منهم ، كان يطلب بعضهم أو جميعهم للانخراط في سلك الجيش (للكزى) وكانت الأسلحة التي في بيت السلاح توزع عليهم ، ثم يقادون إلى ساحة القتال .

امتيازات الجندي :

كانت جيوش الاقطاعيات منظمة على شكل مستعمرات، فكان كل جندي يأخذ من حاكم الاقطاع مقداراً معيناً من الأرض ليعيش هو وأسرته من ريعه . ويظهر أن هذا النظام بقي متبعاً في مصر أثناء حكم الفراعنة ، بل والإغريق . ففي القرن الخامس قبل الميلاد كان كل جندي يملك حوالي سبعة أفدنة ونصف فدان من الأراضي الصالحة (١) ، ولم يكن يفرض الملك سنوسرت الثالث ضرائب على الجنود . وكانوا معفون من أعمال السخرة في أثناء تأديتهم وظائفهم في ساحة القتال . وفي غير هذا كانوا كباقي أفراد الشعب . كان أكثرهم لا يملك ثروة أخرى فكانوا بذلك يعيشون عيشة الفلاح فيفلحون الأرض ويحصدونها ويرعون ماشيتهم ما بين كل حرب وأخرى أما أصحاب اليسار منهم ، فكانوا يؤجرون نصيبهم من الأرض بأجر معتدل مما كان يزيد في دخلهم .

ولما كان يخشى أن ينسى هؤلاء الجنود الشروط التي تملكوا بها تلك الأراضي أو أن يعتبروا أنفسهم ملاكاً حقيقين ؛ كانت لا تترك نفس قطع الأرض في أيديهم مدة طويلة إلا نادراً . وقد أكد هيرودوت تلك الحقيقة . وكانت أسماء الجنود تدون في سجلات خاصة مع بيان ما يمتلكه كل واحد منهم في وقته . وكان هناك كاتب حربي خاص بتدوين هذا السجل في كل مقاطعة ملكية أو مقاطعة اقطاعية وكانت وظيفته توزيع الأراضي وتسجيل الامتيازات ، يضاف إلى ذلك أنه كان في زمن الحروب يقود الجنود الذين كانوا يجندون من الأقليم الخاص بسجله ، وفي هذه الحالة كان له مساعد يقوم نائباً عنه في الحروب إذا اقتضت الضرورة ذلك .

وكان يصرف الجندي الحرس الملكي تعيين يومي مؤلف من رطلين من اللحم ، وخمسة أرطال من الحبز وأربعة « كوبات » من البجعة ومن الامتيازات التي كان يتمتع بها الجندي أن لا يودع السجن إذا لم يف بالدين ، ولا يقبض عليه بواسطة السلطة المدنية . وكان الجندي يحتفظ بسلاحه .

(١) ذكر المؤرخ هيرودوت ان الجندي كان يمنح عشرة أفدنة (١٢ أروري) معفاة من الضرائب

الدولة الوسطى

وبعد فترة طويلة من الفوضى في أعقاب سقوط الدولة القديمة ، تمتع حكام المقاطعات بسلطات كبيرة وبنفوذ قوى في أثناء الدولة الوسطى . ومن أجل ذلك سمح لهم باستبقاء جيوشهم الاقطاعية (١) وأسوة بما كان متبعاً في القرون الوسطى بأوروبا كان يلتزم هؤلاء الحكام بإرسال بعض قواتهم للخدمة الملكية . ومع ذلك فقد كان هناك جيش ملكي قائم ، يجند أفراداه بالاقتراع العام . وهناك نصب تذكاري نقشت عليه بعض الكتابات التي ذكرت أنه في العام الخامس والعشرين من حكم أمنمحمث الثالث انتدب أحد كتاب الجيش للسفر الى الجنوب لاختيار وجمع مجندين من مقاطعة أيدوس الجنوبية .

ويذكر لنا القائد خوسيبك الذي خدم في الجيش على أيام سنوسرت الثالث والثاني وأمنمحمث تاريخ حياته الذي دونه على نصب تذكاري وكيف تبدأ الأعوام الأولى من حياة الجندي ويصف التجارب الحربية التي مر بها ، قائلاً : —

ظهر جلالة ملك القطرين « خع كاورع » المرحوم لابسا التاج المزودج على عرش « حور » وأمر جلالته أن اشتغل جنديا خلف جلالته وبالقرب منه ، ومعى ستة من رجال الحاشية ، ومن أجل ذلك كنت بجانبه على استعداد ، ثم أمر جلالته أن أعين حاجبا للفرعون ، ورددت ستين رجلا عندما سار جلالته الى الجنوب ليهزم رجال قبائل النوبة . وهناك أسرت أسودا بجوار المدينة التي كنت مرابطا فيها . وبعد ذلك اتجهت شمالا مع ستة من رجال الحاشية . ثم عينني قائدا للاتباع وأعطاني مائة رجل مكافأة ... وفي مكان آخر يصف بعض تجاربه تحت قيادة الملك سنوسرت ٣ في حملة ضد النوبة . وفي تلك الحملة رقي خوسيبك الى ضابط لمائة من الجنود .

(١) تعتبر الأسرة السادسة الحد الفاصل بين العصر الملكي الفردي والعصر الاقطاعي . وبانهيار الأسرة السادسة لم تشهد مصر حكومة مركزية قوية تجمع شتات البلاد حتى قيام الأسرة الحادية عشرة حين أعاد أمنمحمث الأول توحيد البلاد في ظل حكومة مركزية مرة أخرى .

وفي أثناء السنوات الأخيرة في الدولة الوسطى ، سقطت البلاد في قبضة الهكسوس الذين جاءوا من آسيا ، وبقيت مصر في حوزتهم باستثناء بعض أجزاء النوبة مدة مائة وخمسين سنة تقريبا ، فضعفت البلاد في أثنائها وفقدت حيويتها ، حتى تمكن بعض أمراء طيبة من التغلب عليهم وطردهم من البلاد ، ثم أسس « أحس » الأسرة الثامنة عشرة ، واستأنفت مصر حياتها المتدفقة نشاطا وازدهارا ، فأُسست امبراطورية قوية سادت على قسم كبير من بلاد غرب آسيا . . . ويبدأ بهذه الأسرة ، مجد مصر الحربى الذى قام به التحامسة والرماسة . ويمكن القول أن هذه الحقبة للجيش المصرى ، تعتبر أزهى أيامه دون جدال . وقد أخذ ملوك الاسرتين ١٨ و ١٩ على عاتقهم وقاية مصر من أى غزو آخر يأتى من الشرق أو الغرب . ولذلك قام ملوك الأسرة ١٨ : أموسى وأمينوفيس الأول والثانى والتحامسة جميعا فى طليعة جيوشهم مندفعين الى سورية للقضاء على أى تحالف يشن ضد مصر ، وشيدوا المعالق والحصون . فأمنوا البلاد من الاعتداء والغزو . وكان أعظم هؤلاء الملوك جميعا : تحوتس الثالث الذى مد حدود مصر فى الشرق حتى بلغت القرات .

وكان الفرعون آنذاك هو القائد الأعلى للجيش وهو الذى يقوده إلى ساحة القتال . وكان يساعده قائد كوزير للحرية ومجلس أعلى للجيش للمشاورة . فاذا ما عزم على القتال ، أقبل قواده لتسلم أوامر الملك وتعليماته . وكان الجيش آنذاك ضحما مدربا ومسلحا بالعربات الحربية ومنظما على مستوى وطنى وليس على مستوى اقطاعى ، وكل جنوده محترفون . كان الجيش يتألف من عدة فرق ، كل فرقة منها تعتمد اعتمادا كليا على نفسها بقواتها للمشاة والفرسان (العربات الحربية) والرماة وكان يقدر عدد الفرقة بحوالى خمسة آلاف رجل تحت أمره قائد أو أمير . ويقود إحداهما الفرعون نفسه . وكانت أسماء الآلهة تطلق على هذه الفرق . وكان يعتمد على العربات فى الهجوم الأول بقوات العدو ثم يتبعها المشاة بأسلحتهم الخفيفة والرماة بقسيهم ، ويحملون الدراقات والرماح أحيانا . كان يحيط بالملك فصيلة مختارة من الحرس الشجعان ، أطلق عليهم « الشجعان » . فقد كانوا مسئولين عن شخص الملك فى ساحة القتال .

وكان نقل العتاد يقوم به الحمير ، ومع ذلك فقد استخدم تحوتس ٣ فى حملته إلى القرات . العربات التى تجرها الثيران فى نقل قطع السفن المفككة حينما دعت الحاجة إلى عبور نهر أو مانع مائى .

الرتب العسكرية

وكان تنظيم الجيش في فرق وكتائب وفصائل يتطلب تعيين قادة لمختلف هذه القطاعات الحربية . ولذلك كان لكل قائد رتبة عسكرية تتناسب مع نوع قيادته ، وقد عرف منها ما يلي :

Imira Meshaou	قائد عام القوات /القائد الأعلى إيميرا ميشاوا
Imira Mesha	لواء — زعيم إيميرا ميشا
Kherf aper neperou	قائد سرية الجنود المستجدين خرب أبر نفرو
Kherp neferou	قائد للمستجدين خرب نفرو
Kherp aper	قائد السرية خرب أبر
Imi irti	يوزباشى — رئيس إيمي إرتي
« « our imira	يوزباشى في منصب هام إيمي إرتي أور إيميرا
Sehedj imira a	رئيس القوافل العامة سهدج إيميرا أ
Imira a neb	« « أميراً أ ن ب
Mekhet a	ملحق بخدمة القوافل ميخت أ
Imira per alia	رئيس الأسلحة إيميرا بر أها
Imira sebat	رئيس التعليم العسكرى إيمير سبت
Imira ges per	قائد الجنود المأجورين إيميرا جيس بر
	وكانت أهم وظائف الأسطول :
Sehedj depet	أميرال الأسطول سهدج دبيت
Imi irti aper n depet	قبطان إيمي إرتي أبرن دبيت
Kherp « « «	ضابط البحرية خرب أبرن دبيت
Medeh depet	فنى بالأسطول مدح دبيت
Sesh depet	كاتب « سيش دبيت

التدريب العسكرى

أمدتنا اللون والنقوش الأثرية بفيض من المعلومات عن تدريب الجنود للقتال في معسكراتهم ، وفي أثناء سيرهم للمعركة وفي أوضاع مختلفة في معاركهم وطرق حمل أسلحتهم ، بل وكيفية استخدام تلك الأسلحة . وكيف كان نافخ البوق ينظم خطوات الجند أثناء مسيرتهم ، وكيف كان الجند يتدربون على تسلق الجدران ، أو يتبارزون بالعصى ، أو كيف يعدون قسيهم وكيف يمهرون في الرماية . يقابلنا كل هذا في الرسوم النقوشة على جدران المعابد والمقابر والنصب .

كان الجند يلحق عادة بجماعة من ستة أفراد ، يطلق عليهم أسم « جامون . خربو » بمعنى جماعة الناشئين ، ويسمى أفرادها باسم « نفرو » بمعنى الناضجين أو الصالحين للتجنيد ، و « حونو نفرو » بمعنى الصغار الناضجين ، و « أيدو » بمعنى الغلمان ، و « مجاو » بنفس المعنى تقريبا . وتمهدت الدولة هؤلاء بالمؤونة والملابس ، وكان يشرف عليهم مقدمون أصحاب رتب محددة .

وتطلبت تربية الضباط والقادة تحصيل قدر مناسب من الثقافة العامة إلى جانب الثقافة الحربية ، ويرجع هذا الأسلوب إلى الدولة القديمة التي جمع بعض قادتها بين لقب القائد و لقب الكاتب في آن واحد ، فضلا عن لقب الكاهن في بعض الأحيان ، واستمر هذا التقليد خلال عهود الدولة الوسطى ، ثم اتضحت خطوطه وأساليبه وضوحا كبيرا في أثناء الدولة الحديثة .

وقد وصل إلينا حوار دار بين شابين من شباب الجيش في عصر الرمامسة ، يصور جوانب الثقافة العامة لرؤساء الجيش . هذان الشبان هما حورى وأمنموبى ، و لقب الأول بلقب « الضابط مربى أفراس الملك » ، و لقب « معلم المساعدين في ديوان الكتابة » ، وحرص على الافتخار بثقافته العسكرية والسكتانية ، وروى عن نفسه أنه تفقه في تعليمات رب الحرب « موتسو » وأنه تعرف على أسرار السماء والأرض .. و لقب زميله « أمنموبى » بلقب كاتب الأوامر الملكية للجيش المظفر . و لقب « ماهر » .

وراسل كل من الشابين زميله ، وحاوره . وبدأ حوارهما رقيقا لنا ، ولكنه تحول بعد قليل إلى هجاء عنيف . وتعهد كل منهما أن يعرض على صاحبه في رسائله ما يعرفه ، ويعرض به فيما لا يعرفه .

وأراد حورى أن يتهم على زميله ، فافترض فيه ثقافة الضباط كاملة ، وبدأ يحاوره على هذا الاعتبار ، فسأله عن الأدب القديم المشهور ، وأدب تحرير الرسائل ، ومسائل الحساب والأحجام ، وطريقة تقدير أرزاق الجند وتوزيعها ، وسأله عن أسماء بعض المدن الداخلية ، وسأله عن شهرتها . ثم كان أمتع مأسأله عنه هو مدى معرفة الضابط المثقف بظروف البلاد الخارجية التي يتعين عليه أن يجوس خلالها ويعمل فيها ، وقال له في ذلك :

« تدعى أنك كاتب وماهر ، وتكرر ذلك ، ونود أن نصدقك ولكن تعال .
نمتحنك أولا :

« هب أنه أسرج لك جواد سريع يشبه ابن آوى فى سرعته ويشبه عاصفة الريح إذا انطلقت وهب أنك أطلقت عنانه ، وشرعت القوس . فدعنا إذن نر ما نستطيع أن تفعله وخبرنى عما أسألك عنه :

« ما الذى تشبهه ميناء سميرا سوسو ؟ وعلى أى جانب منها تقع مدينة حلب ؟ وما هيئة مجراها ؟ » .

وكانت سميرا سوسو ميناء شهيرة فى فينيقيا ، نسها المصريون إلى رمسيس الثانى الذى دلوه باسم سوسو . وقد تحدى حورى زميله ان يعرف عنها ثلاثة امور ، وهى : هيئتها العامة ، وموضع مدينة حلب بالنسبة إليها ، وشكل نهرها الصغير . وأصر ، على أن يعتبر هذه المعرفة جانبا من الثقافة الضرورية لكل ضابط امتطى عجلة القتال ، وأمسك القوس ، وتلقب بلقب ماهر . (١)

١ — عبد العزيز صالح : تاريخ الحضارة المصرية ، مجلد ١ ص ٢٠٥ — أنظر أيضا :
Adolf Erman : The Literature of the Ancient Egyptians .
L. Cottrell : Life under the Pharaohs. Pan Edition, P.94-99.

الدولة الحديثة

ومن أهم الصور العسكرية التي أوضحت لنا أسلوب التدريب على القتال ، ما خلفه لنا أمنمحاتب الثانى فرعون مصر وخليفته تحوتمس الثالث خلال روايته لقصة حياته وقد أوجزها الينا الدكتور عبد العزيز صالح (١) :

كان أبوه قد تعمد أن يريه تربية حازمة تؤهله للمحافظة على الزعامة العسكرية التى حققها مصر فى عهده . فاختار لتربيته قاعدتين من قواعد الجيش ، وهما جرجا التى كانت تشرف على طرق الواحات وتشرف على أمنها ، ومنف العاصمة التى تركزت فيها معسكرات الحيلة وبعض الصانع الحربية .

وتتلمذ أمنمحاتب فى جرجا على حاكمها القائد « مين » وتدرّب معه على رماية المشاة . وكان مين قد جمع بين الثقافتين شئون الكتابة والعسكرية ، وساهم فى حروب تحوتمس ٣ . وصور مين فى جانب من مناظر مقبرته درسا فى الرماية ، ظهر خلاله وهو يعلم الأمير أمنمحاتب كيف يستغل قوة ساعده فى شد القوس الى نهاية مداه ، وكيف يثبت السهم فيه وكيف يطلقه .

واستمر الأمير يتلقى تدريبيه فى جرجا حتى اشتد عوده ثم انتقل إلى منف وانضم إلى معسكراتها الكبيرة ، وشاطر جنودها معيشتهم ، والتحق بفرقة الحيلة بادئا بأذى درجاتها ، فانضم الى اسطبل التربية أى تربية صغار الخيل وبقي فيه حتى خبر طباع الخيل وعرف كيف يربها وعرف ميزات اصائلها وبرع فى قيادتها وسمح له بامتطاء ظهور الخيل . وتعلم أمنمحاتب الرماية راكبا فى العجلة ، ويبدو أنه

(١) الحضارة المصرية ، ص ٢٠٣ — ٢٠٤ . أنظر أيضا :

سليم حسن : مصر القديمة ، الجزء الرابع ص ٦٤٥ — ٦٥٥ . وذلك عن اللوحة التذكارية التى أقامها أمنمحاتب الثانى بجوار « بو الهول » وأكتشفت عام ١٩٣٦ .

أجادها الى الحد الذي شجعه على ان يتحدى فيها رماة الجيش ويعجزهم . وقد بلغ من بأسه فيما روى عن نفسه ، انه رمى من فوق عجلته ، ذات مرة ، اربعة سهام على أربعة أهداف نحاسية متتابعة ، فاخترقها بسهامه . واستكمل امنمحتوب تدريباته مع بحارة الأسطول . واعتماد ان يسابقتهم ويتحداهم في التجديف وهو في قاربه « الصقر » .

مقبرة « وسرحات » في جبانة شيخ عبد القرنة :

ومن بين مناظر هذه المقبرة — مقبرة « وسرحات » الذي كان من أ كابر رجال الدولة على ايام امنمحتوب الثانى ، لوحة تمثل هذا الملك وهو يشرف على تجنيد طائفة من الجنود ليقوموا بالخدمة فى الميدان ، وتوزيع جراياتهم عليهم . فنلاحظ ان وقت وجبة الغذاء قد حلت ، وقدمت مائدة الفرعون له على حدة ، ويده بلطة ونشاهد الضباط يتناولون غذاءهم فى حجرة مجاورة . اما الجندي فيكتفون بوجبة تحوى الخبز والماء . اما الذين هم ارقى منهم ، فكان يقدم لهم بالاضافة للخبز لحم وبيد مكان الماء . ويشاهد الجنود فى الخارج وقد صفهم ضابطهم فى ساحة ، وكل منهم يحمل حقييته ليضع فيها نصيبه من الخبز . اما المجندون الأحداث ، فلما كانت شعورهم طويلة ، فكان لا بد من حلقها ، ومن اجل ذلك نراهم فى اللوحة قد جلسوا فى الساحة الخارجية ينتظر كل منهم دوره ليحلق شعره . وقد كان حلاقو الكتيبة يقومون بهذه العملية (١) .

مجلس شورى الحرب :

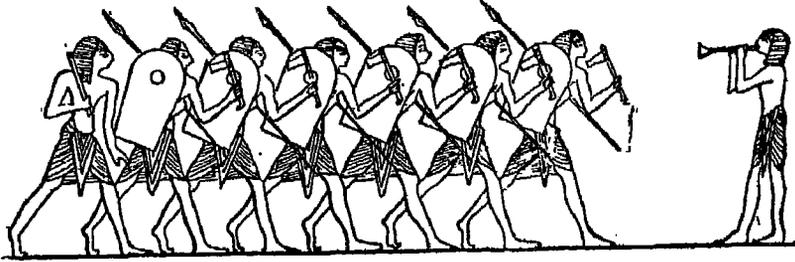
وقد استن بعض الفرعنة المسكرين تقليدا طيبا ، وهو تبادل الرأى مع القادة عند مواجهة موقف او وضع مفاجىء فى أثناء القتال ، أو قبل دخول المعركة الكبرى . فإن لم يقتنع الفرعون برأى قادته بعد مشاورتهم ، اخذ يقدمهم بضوابط رأيه بكل سبيل ، وأوضح ما يستشهد به حوار دار بين تحوتمس الثالث ومجلس حربه قبيل دخول معركة مجدو ضد بقايا الأمراء للتحالفين ضده فى سورية .

(١) لوحة رقم ٤٠ ص ٦٩٦ فى مصر القديمة ، ج ٤ للدكتور سليم حسن .

تنظيم الجنود للقتال :

كان التشكيل المتبع عادة عن سير الجنود للحرب كما يلي :

للشاة الثقيلة بالقلب ، تسبقها او تليها العجلات الحربية كما تحرس جانبيها . اما المشاة فتكون دائما في المقدمة . وعند دخول القوات من العدو ، يقعد للملك مجلسا يحضره رؤساء الجيش وضباطه ، لينتهلوا للالاهة في طلب النصر على الأعداء . ثم يتسلم الملك قيادة الجيش ، ويتقدم الى العدو ، تسبقه فرقة صغيرة من المشاة ، ومعها ناغوا الابواق ، تتلوها عربة تحمل صاريا كبيرا (علما) يعلوه قرص الشمس رمز العبود آمون رع ، كأنه يقود الجيش الى محاربة اعداء مصر . يقبل الفرعون فوق عجلته الحربية ، يحف جنوده الرماة وضباط الحرس للملكى ... ثم يشتبك الجيشان وتدور رحى المعركة . فاذا تم النصر نهض الفرعون خطيبا بين الضباط ، ثم يتقدم أسرى الأعداء للعرض امام الملك . ويتلو ذلك إحصاء الأيادي المقطوعة من القتلى لمعرفة عدد الموتى من قوات العدو . ويختم العرض بخطاب يشكر الملك فيه الجنود ، ثم يأمرهم بالعودة الى الوطن .



جنود نظاميون - حملة الدروع والرمح والبلط

(ش ١)

الجنود الفرسان في الدولة الحديثة

ظهر في باكورة الأسرة الثامنة عشرة سلاح جديد ، وهو العربة الحربية التي تجرها الجياد ، ويعزى في العادة إدخال عربة القتال وكذلك الخيل في مصر إلى عهد المكسوس . وقد جابت من بلاد سورية التي أخذتها عن أقوام الشمال وكانت قد استعملت فعلا في عهد الملوك الأول من الأسرة الثامنة عشرة ، وهم « كامس » و « احس » و « تحتمس الأول » ، وقد استعملها الملوك والأهلون على السواء لأغراض سلمية وحرية ، وقد دخلت العربات والجياد البلاد أولا بمثابة اسلاب حربية وجزية ، ومن ثم كانت تحتفظ بأسمائها الأجنبية التي سميت بها في بلادها الأصلية غير انه لم يمض طويل زمن حتى انشئت صناعة خاصة في البلاد المصرية تصنع العربات ولكن المواد اللازمة لهذه الصناعات كانت تجلب من الخارج . ولقد كان من الأمور الشاقة تربية الخيول في مصر ، وكانت على ما يظهر تربى في ضياع الفرعون وضياع معابد الآلهة الكبيرة وحسب . وكان لا بد من تكوين إدارة خاصة للخيل وعربات القتال ، وكان على رأس هذه الإدارة بضع قواد فرسان ، ولكن من المحتمل انهما كانا قائدين فقط . احدهما للوجه القبلي والآخر للوجه البحري ، وقد وصلت الينا أسماء كثيرة من هؤلاء القواد من أول عهد « تحتمس » حتى « عهد حورحجب » آخر فراغنة الأسرة الثامنة عشرة . وقد كان يظن من مدلول اول قائد فرسان ، ان هذه الوظيفة كانت مدنية محضة ، ومع ذلك فان تفسيرها في هذا الوقت بشائد فرسان كان

فعلا على معنى حربى ، وقد كان « مين بنحت » موظفا إداريا مدنيا يحمل لقب مدير مخزن الغلال وكان بجانب هذه الوظيفة الرئيسية يدير إدارة خيل الحكومة ، ومن الجائز انه كان قد بدىء فى عهد « تحتمس الثالث » لأول مرة فى تكوين جنود لعربات القتال ، وقد ظهرت فعلا فى عهده العربات فى ميدان الحروب ، ولكن سرعان ما ظهر كذلك فى الوظائف قائد فرسان من جنود القتال الذين أحيلوا على المعاش .

و الواقع ان مثل هذا الموظف قد وصل إلى أعلى رتبة فى صفوف الميدان وهى رتبة « فارس » عند نهاية خدمته العسكرية ، وبعد ذلك منح لقب « قائد فرسان » بعد إحالته على المعاش ، فالوظيفة اذن كانت رتبة شرف تمنح بعد الاحالة على المعاش ولم يكن يستخدم فى قيادة عربات القتال هذه الجنود إلا من كان من أهل اليسار وهم الذين يكون فى مقدورهم ان يقتنوا لأنفسهم العربات ويصرفوا عن سعه على جيادها ويخصصون الخدم للعناية بها . وظهر فى الوقت نفسه انهم كانوا لا يقبلون فى فرقة الفرسان إلا بواسطة أقرباء عريقين . ومن ثم ارتفعت مكانة هذا الصنف من الجنود على كل انواع الجنود الآخرين المقاتلين ، وعلى ذلك كانت وظيفة قائد الفرسان شرفا لحاملها ، ولكن الفرعون على العكس كان يشغل هذه الوظيفة بأفراد يريد ان يرفع من شأنهم فقد رقى « تحتمس الرابع » كاتب المجندين « حور محب » إلى مرتبة « قائد فرسان » بعد ان كان قد نصبه فى وظيفتين خطيرتين وهما (مربى الأميرة امنهات) ، والمشرف على كل الكهنة ، وذلك فى لحظة كان الخلاف فيها على اشده بين الملك وحزب كهنة آمون .

على ان تتبع سير ترقية « آى » إلى وظيفة قائد الفرسان فى عهد « اخناتون » يظهر من الأمور الصعبة ، ولكنه فى الحقيقة كان فى الأصل من ضباط القتال وهم الذين يرقى منهم قواد الفرسان . ولا نزاع فى ان علاقته بالبلاط جعلت مسألة رفعه إلى هذه المرتبة امرا ضروريا بل طاديا ، وذلك لأنه تزوج مرضعة الملكة « نفر تيتى » ولكنه على ما يظهر فضلا عن ذلك كانت له علاقة اخرى تربطه بالبلاد لا تعرفها على وجه التحقيق وكل ما يقال فى هذا الصدد انه حصل على لقب « والد الآله »

أما الذين كانوا يعملون تحت إمرة قائد الفرسان فهم رؤساء الاصطبلات . وكان لديهم عدد من الجياد يرعونها ، هذا إلى ما يتبعها من الرجال الذين كان من أهم واجباتهم العناية بهذه الحيوانات وأطعامها .

وهناك درجات في داخل حدود وظيفة رئيس الاصطبلات فهناك الرئيس الأول لاصطبلات الفرعون ومن المحتمل أنه كان مدير الاصطبل الملكي ، وهو المكان الذي يقيم فيه جنود الحرس الذين في ركاب الملك ، ويوجد قسم خاص يسمى اصطبل الغيار حيث تجهز الخيل للغيرا وحيث يمرن المقترعون في القسم نجد مثلا أن « بقنخنسو » ، الذي أصبح فيما بعد الكاهن الأعظم لآمون كان يشتغل من سن الخامسة حتى السادسة عشرة وفي نهاية هذه المدة حصل على لقب « فارس » وكذلك كاتب الورقة الهجائية المشهورة التي تسمى الآن ورقة « أنستاسي الأولى » كان يسمى نفسه « الذي يعلم جياد الحاكم » ، وكذلك تدلنا هذه الورقة في الوقت نفسه أنه كان ياقن الجنود المقترعين المعلومات لتثقيفهم في حرفتهم ، وهذا على النقيض التام من جنود المشاة . وهذا مفهوم بطبيعة الحال لأن الجنود الفرسان كانوا ينتخبون من أحسن الأسر المصرية ، ولذلك كانت توجه إليهم تلك العناية المتنازلة . وكان السواد الأعظم من هذه الطبقة يرغبون في خراط أبناءهم في سلك الفرسان ، ولهذا نجد كذلك أن المعلم الذي نقل الخطابات النموذجية التي وصلتنا في ورقة « أنستاسي الثالثة » كان يلقب الرئيس سائق عربة جلالاته على أن وظيفة السائق الأول لعربة الملك التي ذكرناها كانت ذات مرتبة عالية ويستدل على قيمتها من مدلولها ، أي أنه كان يقود العربة الملكية ، وبذلك كان يشغل وظيفة خطيرة جدا .

وكان الفرعون يكلف سائق عربته الأول بالقيام ببعضات خاصة لجلالاته في الخارج وفي هذه الحالة كان يسمى « مبعوث الملك في كل أرض أجنبية » فمثلا قام رئيس الأصطبل « أمناتب » بتفتيش في بلاد كوش ، أو نشاهد سائق عربة الملك الأول المسمى كذلك « للمتاب » يحمل لقب مبعوث الملك إلى سورية من « سيله » حتى « يافا » ومن المحتمل أن « خاني » الذي أرسل في عهد « أمنحتب الثالث » إلى سورية لهدأ الأحوال هناك ، كان يحمل هذا اللقب .

أما الجنود الذين كانوا يحاربون بالعربات فهم السائقون، وكان تحتهم في المرتبة المحارب الذى يقف في العربة على ما يظهر . ويتضح لنا ذلك من ذكر هذه الوظائف الحربية التى دونت بالترتيب على حسب درجاتها فى ورقة « هود » وكما جاء ذلك أيضا فى موقعة « قادش » وقد كان للسائقين نظام داخل اصطبلاتهم ، غير أنه يلاحظ هنا أن كل الخدم وأتباع عربات جنود القتال الذين ذكروا فى عهد الرعامسة لم يكونوا قد عرفوا بعد فى عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وكان مركز معسكرات الفرسان فى عهد الأسرة الثامنة عشرة فى عاصمتى البلاد وهما « طيبة » و « منف » حتى عهد « أخناتون » . أما فى « تل العمارنة » التى انتقل إليها « أخناتون » فكانت السكنات مجهزة بساحات عظيمة للتمرين ، وقد عثر فى « منف » على صورة تمثل تمرين حرب العربات .

والظاهر أن العلم الذى كانت تحمله فرقة الحياالة فى « طيبة » كان يتألف من قضيب عليه تمثال جواد ، وقد عثر على جزء من منظر فى الدير البحرى عليه رسم علم مثل عليه جواد أن وجها لوجه ، ومن الجائز أنه خاص بفرقة الحياالة وهذا أقدم رسم لعلم من هذا النوع .^(١)

وقد كانت رتبة قائد الفرسان آخر ما يناله ضابط القتال من الرقى بعد ختام خدمته العسكرية ، ونذكر هنا أن وظائف الكهانة كان يمكن أن يشغلها أفراد من الجنود القدماء ، وأن لم يحدث ذلك كثيرا على وجه التحقيق . فنشاهد مثلا أن « معى » الذى خدم فى عهد « تحتمس الثالث » ونال مكافأة من الذهب لأنه أظهر كثيرا من ضروب الشجاعة قد وضعه الفرعون فى وظيفة بحرية وهى الأمير الوراثة ومدير كهنة المقاطعة العاشرة من الوجه القبلى .

١ — تراجع كلامنا عن الأعلام فيما بعد .

ادارة الجيش والنظم الحربية

كان الموظفون فى إدارة الجيش من المدنيين ، وهم يختلفون بالنسبة لطبيعة عملهم عن جنود الميدان ، وذلك أن الموظفين الحربيين كانوا يبدوون حياتهم بالتلمذة فى وظائف إدارية صغيرة ، فكان الواحد منهم يعمل بوصفه مساعد كاتب ملكى ، وكان أمثال هؤلاء التلاميذ يدرّبون على تصريف الأمور ، ولم تمدنا الوثائق بالمدّة التى كانوا يقضونها فى ممارسة هذه المرحلة من التعليم ، وتدل شواهد الأحوال على أن وظيفة « كاتب الجند » كانت تقع فى دائرة الوظائف الصغيرة وكان هؤلاء الكتاب يجلسون فى مكتب إدارة الجيش وينفذون أوامر « رئيس الإدارة » دون أن يكون لهم دائرة عمل محدودة . وكان لكل وحدة فى الجيش كاتب من هؤلاء . والظاهر أن هؤلاء الكتاب الحربيين هم الذين نشاهدهم يمشون خلف رؤسائهم فى رسوم المناظر التى تصور توزيع الطعام والجرايات كما نشاهدهم فى رسوم مقبرة « آمون محب » ومقبرة « بحسوخر » وهؤلاء الكتاب يختلفون فى ملابسهم عن ضباط الجيش العاملين إذ كانوا يرتدون فوق قمصانهم لباسا آخر .

وقد جرت العادة أن ينتخب الموظفون أصحاب الرتب العالية فى الجيش من كتاب الجند ، فمنهم من يكون مديرا للكتاب الحربيين ، وكاتب الجندين ، ثم القائد .

وقد كان عمل مدير الكتاب الحربيين هو تدوين التقارير لما يحدث فى خلال المعارك فى أثناء الحملات الحربية فهو إذا كان الموظف الذى يدون اليوميات الرسمية عن سير المعارك . وقد دون لنا « ثنى » على جدران قبره ، أنه كان يسير فى ركاب سيده « تحتمس الثالث » خلال المعارك التى شنها ، سجل أعمال الشجاعة التى قام بها فى كل بلد أجنبي وقد دونها كما حدثت ، وهذه الألفاظ التى ذكرها « ثنى » تنطبق على يومياته الحربية التى خلّدت ذكرها بمنتهجات منها لا تزال باقية منقوشة

على جدران معبد الكرنك ، وبما يؤسف له أن نقوش ترجمة حياته في مقبرته قد وجدت مهشمة ، ولكننا نستخلص منها أنه كان يعمل كذلك في عهد « أمنحنب الثاني » وفي عهد « تحتمس الرابع » ومن أجل أعماله العظيمة رقى إلى منصب « كاتب المجندين » . (١)

كاتب المجندين :

يظهر أن هذه الوظيفة لم تكن شائعة الاستعمال قبل عهد الأسرة الثامنة عشرة وان كانت قد وجدت منذ الدولة القديمة ، ويقول البعض أنها أنشئت في عهد الأسرة الثانية عشرة ، أما في خلال الأسرة الثامنة عشرة فنجد عددا عظيما من الموظفين يحملونها ، وخاصة في عهد « تحتمس الثالث » و « أمنحنب الثاني » و « تحتمس الرابع » و « أمنحنب الثالث » و « أمنحنب الرابع » ثم « حور - محب » . والواقع أنه كان لكل من الوجه القبلي والوجه البحري كاتب مجندين ، وقد كان كثرة للموظفين الذين يحملون هذه الوظيفة معلوما واضحا من تعدد درجة القائد التي تليها في درجات الرقي ، ومع هذا فمن المؤكد أنه لم يذكر لنا في أية وثيقة تقسيم سلطة هذه الوظيفة في الوجهين القبلي والبحري ، وكذلك لم يتضح أمامنا على النقوش إلى الآن كاتبان للمجندين أو أكثر في وقت واحد أبدا .

ويدل ماجاء في حياة « أمنحنب بن حبو » على أن هذه الوظيفة كانت في الوجه البحري الذي كان يعد أهم من الوجه القبلي من الناحية الحربية ، وما وصل الينا عن كتاب المجندين لا يدل قط على أن تقسيم هذه الوظيفة كان ممكنا ، وذلك لأن الترقيات التي كانت تلي هذه الوظيفة ليس لها أى أثر قط في النقوش المصرية .

التجنيد :

وصف لنا « أمنحنب بن حبو » في النقوش التي تركها لنا أعماله بوصفه كاتب المجندين ، فقد بدأ أحد نقوشه بالكلمات التالية : لقد جمعت المجندين لسيدى .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٥ ، ص ٤٧٨ - ٤٨٢ .

وأحصى قلبي عددا لانهاية له . ووضعت الشباب مكان القدامى من الجنود ، فتصبح عصا الشيخوخة ممثلة في أبدانهم الحية ، وأحصيت ضريبة ييوتهم على حسب أفرادها وأعفيت ييوتهم من الضرائب .. فمن هذا الاجراء يتضح أن التجنيد كان ينقسم إلى صنفين مختلفين ، ولكن لا يمكن ان نستخلص منه ما إذا كان هذا التقسيم يعالج الجنود النظاميين أم جنود الرديف ، إذ نعلم بدورنا أنه منذ تكوين جيش عامل في عهد الدولة الوسطى ، كان تنظيم المجندين من هذين الصنفين من الناس مختلفا ، فقد عرفنا أنه في « البرشة » في عهد الفرعون « سنوسرت الثالث » كان جميع جنود الجيش العامل منفصلا عن المجندين في المقاطعة .

والواقع أنه كان للجنود النظاميين في عهد الدولة الوسطى أراض معفاة من الضرائب زمن الخدمة العسكرية وبعدها ، فكانت بمثابة رزق أساسى لهم ولأسرهم ، هذا أن ملوك الدولة الوسطى كان لهم حرس ينتخبون من صنف من الضباط العاملين وهؤلاء خصص لهم حقول وماشية وعبيد ، وذلك لأن الفرعون كان مضطرا في أوائل هذه الدولة إلى معونة عدد عظيم من الجنود في الحروب التي كان يشنها لتحرير البلاد من جهة ، وللمحافظة على الأقاليم التي فتحها وضمها لمصر في سورية والسودان من جهة أخرى .

وكان للفرعون في أوائل الأسرة الثامنة عشرة أراض شاسعة ، وبخاصة الأراضى التي استولى عليها من حكام المقاطعات بعد القضاء على سلطانهم وتشيتت شملهم ، وكذلك الأراضى التي استولى عليها بعد طرد المكسوس من البلاد .

ومن أجل ذلك نرى أن ضياع الجنود في هذه الفترة كانت منتشرة في أنحاء البلاد لدرجة عظيمة ، فكان ربان السفينة « أحس بن أبانا » يمتلك في ذلك الوقت بهذه الوسيلة أراضى شاسعة في مقاطعات « الكاب » وهو يقص علينا بنفسه أن معدات سفينته كان ينفق عليها من أراض منحها . وفي عهد حكم الفرعون « أحس » كان مدير السفن المسمى « نسي » يملك حقولا في « منف » تبلغ مساحتها نحو خمسة عشر ومائة أرورا قد وهبها أيام الفرعون ، وقد أقيمت من أجلها قضية نزاع

على ملكيتها في عهد « حورمحب » واستمرت في يد القضاء حتى عهد « رمسيس الثاني » .

وكذلك عثر على لوحة حدود جاء فيها أن « تحتمس الأول » قد منح راكب العربية « كرى » حفلا تبلغ مساحته نحو خمسين ومائة أرورا « الأرورا تساوى ٢٩٣٥ مترا أى ثلثى فدان) . وكان كذلك حامل العلم « نب آمون » يملك حقولا قبل أن يعين صاحب الشرطة في عهد « تحتمس الرابع » في « طيبة » الغربية ، ومن هذا يمكن القول بأن الاعفاء الذى ناله « نب آمون » عن أملاكه بوصفه رئيسا للشرطة يدل على أن الأراضى التى يمنحها الجنود لم تكن معفاة من الضرائب .

هذا وقد جاء في رسوم القائد الفرعون « حورمحب » ذكر مستعمرات عسكرية ، إذ نجد مع القوائم التى تحتوى على الأفراد المدنيين قوائم تشمل جنودا عاملين يملكون سفنا وحدائق . وذكر لنا كذلك « رمسيس الثاني » مرة أخرى في موقعة « قادش » بعض الحقائق في هذا الصدد إذ يقول : أنى صرحت لكم بالسكنى في ضياعكم وأملاككم مع أنكم لم تقوموا بالخدمة العسكرية ، فهذه الكلمات التى فاه بها « رمسيس الثاني » كان يقصد بها منح هذه الأراضى المعفاة من الضرائب لتسكون بمثابة أساس لإنشاء جيش عامل في البلاد ، إذ أنه قرن استغلالها بأن يكون مالكتها على تمام الأبهة دائماً ليقوم بواجبه العسكرى كلما دعا داعى الحرب للدفاع عن الوطن ، وإذا حدث أنه أصبح مالك هذه الأرض المعفاة من الضرائب غير قادر على حمل السلاح ، فإن ابنه الذى يرث هذا الاقطاع من بعده يجب عليه أن يحمل السلاح بدلا منه ، وإذا اتفق أن ليس فى الأسرة ذكر قادر على حمل السلاح فإن الاقطاع يرجع ثانية ملكا للفرعون ، فيعطيه بدوره غيره من القادرين على حمل السلاح .

ولاريب فى أن الإدعاء الذى ذكره لنا « رمسيس الثاني » من أن المبدأ القائل بأن المالك لئلى هذه الأراضى كان من حقه أن يواصل تملكها حتى ولو كان غير قادر على حمل السلاح ، وليس له ولد يحمل محله ، مبالغ فيه ، وذلك لأن

القانون الأصلي معروف تماما وهو يقضى بأن ملكية الأرض والانخراط في سلك الجيش العامل كانا يتمشيان معا جنبا إلى جنب منذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، إذ يقص علينا في هذا الصدد « أحس » الذى أصبح فيما بعد مديرا لمعدات السفن في عهد آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة « وكان والدى جنديا في جيش الفرعون » « سفن ثم أصبحت جنديا بعده مع أنى كنت لا أزال صبيا . ومن ذلك نستخلص أن معظم جنود الجيش العامل كانوا أولاد جنود يضاف إلى ذلك أن « امنحبت بن حبو » (كاتب المجندين) أعلن في نقوشه أنه يجعل المجند الصغير يحمل محل سلفه لتكون بذلك عصا شيخوخته ممثلة في ابنه الذى يحبه ، وكان يشير إلى أنه تحت سلطانه بوصفه كاتب المجندين — الإدارة التى تجعل الولد يحمل مكان والده في الأملاك التى وهبها الفرعون إياه مقابل خدمته في الجيش العامل ، وكذلك كان يقصد الكاتب « ثنى » نفس المعنى بكلماته التالية التى ذكرها لنا في تاريخ حياته ولقد رافقت الفرعون « تحتمس الرابع » ودونت له أسماء جنوده العدة ، وكذلك نجد نقوشنا تفسر لنا صورة تدل على تدوين أسماء كل أفراد جيوش جلالته . واقترع المجندين من بين كل الشبان ، وجعل كل رجل يعرف واجبه في عامة الجيش على يد كاتب الملك الحقيقى محبوبه ، وكانت الجيوش « ثنى » وهذان النصفان يدلان على ما كان يحدث في هذه الإدارة الحربية . فقد كان من الواجب التأكد من هذه القوائم بمراجعتها وكذلك التحقق من قدرة كل جندى على الخدمة في الجيش أو عما اذا كان ابنه سيحل محله فياخذ أملاكه بدون ضريبة . ونجد أمثال هذه المراجعات لقوائم الجنود في نقوش قبر كل من « ثنى » و « حور حب » وكان كل منهما يحمل لقب « كاتب المجندين » فنجد في الناظر الجنود مقسمون فرقا بقيادة حامل العلم أمام « كاتب الإدارة » في صفوف ، ونشاهد « كاتب المجندين » يراجع القوائم وهى التى كانت الأساس في تنظيم الجيش ، إذ بها يستطيع الإنسان أن يتأكد عندما يوجد أى شك في موضع أى جندى أو ضابط ، وكانت الجيوش تعبأ على حسب هذه القوائم ، وعلى هذا الأساس من النظام أصدرولى العهد فى حكم « رمسيس الثانى » إلى الضباط أن ينادى الشبان

من الشجعان للدونين في قوائم الفرعون ، وأنه يجب عليهم أن يحملوا السلاح أمام جلالته^(١)

والظاهر أن أولاد جنود الجيش العامل كانوا يدرّبون في سن محددة ، ولكن بما يؤسف له أنه لم تصلنا نصوص صريحة عن ذلك في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، مع أننا كما سبق قد وجدنا « أحس » قد حل محل والده ، وهو لا يزال صيبا ، غير أنه قد بين لنا أن حالته كانت حالة خاصة ، ومع ذلك فقد ذكر في بردية من العهد الآهناسي ، (أى الأسرة العاشرة) أن سن التدرّب كانت في العشرين ، ولكن في ذلك خلاف عند علماء الآثار وكان هؤلاء المجنّدون يجمعون في فرق خاصة حيث كانوا يدرّبون كما يستخلص ذلك من لقب « حامل العلم » « منى سو » الذى كان يطلق عليه لقب « مدرب فرق البحارة » ، وهذا الجندى بعينه هو الذى نراه مصورا على جدران مقبرة « كاتب المجندين » « ثنى » وقد رقى إلى وظيفة « كاتب المجندين » . كما نجد ذلك في نفس الصورة نظام سير هذه الفرق ذهابا وإيابا تحت إشراف ضابط يحمل لقب « حامل العصا » أى أنه مصلح بالعصا ، ولكن من الجائز أن تكون كل مناظر مقبرة « ثنى » تمثله نفسه في وظائفه المختلفة .

كان التدرّب العسكرى يجرى في حاميات لا نعرف موعدها على وجه التحقيق ، فنعرف أن واحدة منها كانت في طيبة ، حيث كان يدرّب حرس الفرعون ، وهؤلاء كانوا يرافقون الفرعون عندما يغادر طيبة وكان الفرعون يرافق الجيش نفسه أحيانا كما ذكرنا ذلك من قبل عندما خرج « أمحّيب الثالث » للصيد والقنص وكانت توجد حامية أخرى كذلك في « منف » التى كانت مقر القائد الأعلى لجيوش الدولة في خلال الأسرة الثامنة عشرة .

ولم تكن هناك حاميات أخرى فى الدلتا. إلا إذا استثنينا معاقل الحدود والحاميات التى فى المقاطعات ولا شك فى أن جزءا عظيما من هذه الفرق التى كانت تحمل السلاح هم الجنود الذين يتألف منهم الجيش العامل ، ويقضون وقتا غير محدود

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ، ص ٤٨٤

في تلك الحاميات يدربون تدريبا عسكريا قبل أن يطلق سراحيهم ويؤذن لهم بالعودة إلى اقطاعهم التي منحوها .

وكان تجنيد العساكر الريف كذلك تحت ادارة « كاتب المجندين » وكانوا يشتغلون كثيرا في خلال الاسرة الثامنة عشرة في شئون النقل .

أما في الحروب فكانوا لا يستعملون الا عند الضرورة الملحة ، فنشاهد مثلا على جدران معبد الدير البحري فرقة الجنود الخاصة ينقلون مسلات الملكة « حثبوسوت » وعلى مقربة منهم مجند والجيش أى الجنود الذين كانوا يدربون ليصبحوا جنودا نظاميين وهم الشباب المقترعون . وفي نص آخر ذكروا بأنهم من بلدة « اطفيح » أى المقاطعة العاشرة من أعمال الوجه القبلي . ولانعلم أن كان هذا التخصيص يدل على أنه كانت توجد نسبة مئوية للتجنيد أم لا . وكل ما وصل الينا الى الآن من معلومات في هذا الصدد وثيقة واحدة ترجع الى عهد الاسرة الثانية عشرة ذكر فيها أن النسبة كانت ١ ٪ ، وذلك حينما أريد جمع جيش من الريف للقيام بحملة الى الواحات . والواقع أنه لا يمكننا أن نحدد النسبة المئوية الحقيقية للمجندين الذين كانوا يؤخذون من الأهلين لاختلاف أنواع المجندين أنفسهم ، وبخاصة في الجيش العامل الذي كان يتألف من عدد عظيم ، ومن المحتمل ان هذا التجنيد كان ينفذ قهرا ، اذ نجد في مقبرة رئيس الشرطة « نب آمون » « بطيبة » الغربية منظرًا يشاهد فيه عدد عظيم من الشباب قد جمعوا في مكان واحد لينتخب منهم من تتوافر فيه شروط التجنيد وعلى مقربة منهم كشاهد ذويهم يرجون من أولى الأمر اغفاءهم .

وكان من الضروري لهذا اعداد قوائم دقيقة بأسماء كل الأهلين ومكاتبهم الاقتصادية وعلى حسب هذه القوائم كان يقرر « كاتب المجندين » ضرائب كل جهة تناسب عددها ويشاهد وضع هذه القوائم ومراجعتها في منظر على جدران مقبرة « كاتب المجندين » « تننى » وقد كتب معها الشرح التالى : « تسجيل كل البلاد أمام جلالته ، ومراقبة كل الأشياء ، ومعرفة الجنود ، والسكنة ، وخدم الفرعون ،

وكذلك كل الصناعات في جميع البلاد ، وكذلك الثيران ، والبط والماعز بواسطة ...
« ثنى » . (١)

ولم تكن دائرة نفوذ « كاتب المجندين » تنحصر في الأمور الحربية الخاصة بفرق المجندين ، بل كانت تمتد كذلك إلى فرق العبيد من أسرى الحروب ، وهم الذين كانت تملكهم الحكومة وقد بين لنا ذلك « أمنحتب بن حبو » في تاريخ حياته حيث يقول « لقد أنجزت أعمال السخرة برجال من أحسن الأسرى الذين أسرهم جلالته في ساحة الوغى ، وراقبت جنوده . ويقول : « لقد أحصيت أسرى جلالته الذين كنت رئيساً لهم » وقد كان يوزعهم على حسب أمر الفرعون على للمعابد المختلفة ، وكان هؤلاء الأسرى من العبيد يستوطنون ضياع الفرعون ، أو يحتلون ضياع للمعابد الموقوفة عليها فكان الرجال منهم يفلحون الأرض أو يصيرون رعاة ، أو منظرين للذهب ، أو يعملون بنائين . الخ . أما النساء من الأسرى فكانن يحترفن الغزل ، أو يعملن غسالات أو يقمن بتقديم البخور وطاقت الأزهار . وقد كانت هذه القوائم تدون بدقة وإحكام ولا شك أن ذلك هو الأساس الذي تقوم عليه كل إدارة محكمة النظام وقد كان يشترط في كل قسم منها أن يكون قائماً بذاته ، فلا يتعدى قسم على آخر تجنباً لعدم الارتباك في سير العمل .

حماية الحدود :

تدل النقوش التي ذكرها « أمنحتب بن حبو » في تاريخ حياته ، وهي التي تصف لنا اشرافه على التجنيد وإدارة جنود الجيش العامل وجنود الرديف والجنود العبيد على أن كاتب المجندين كان يشرف على دائرة حيوية أخرى إذ يقول : « لقد وضعت كذلك فرقا على الطريق لترد الأقوام الأجانب على أعقابهم إلى بلادهم . وهؤلاء الأقوام يحيطون بكلتا الأرضين . كذلك كان من واجباتهم منع تنقلات البدو الرحل ، وقت بنفس العمل على الشواطئ عند مصبات النهر التي كانت

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ص ٤٨٧—٤٨٨

مغلقة . إلا ليجارة الفرعون لقد كنت مرشد طرقهم وكانوا طائعين أوامري وكذلك كنت الفهم الأعلى (الرئيس الأعلى) الذي كان يرأس الشجعان ، وأدبت همج آسيا » .

ومما سبق يتضح أن الأماكن التي كانت في حاجة إلى حماية من المغيرين على شواطئ الدلتا وحدودها أو بعبارة أخرى الجزء الشمالي من أرض الدلتا هو الذي كان تحت إدارة أمنحتب بن حبو « بوصفه كاتب الجندين » على أنه لم يرد في نقوش الأسرة الثامنة عشرة ذكر حماية الشواطئ . حقا نعرف أنه كان لهذه الشواطئ مشرف خاص يحمل لقب « مدير مصبات البحر » هذا إلى أنه قد جاء ذكر موظف يحمل هذا اللقب في عهد الفرعون « تحتمس الثالث » وكان مكلفا بقيادة حملة إلى سيناء في « سرابة الخادم » .

الواقع أنه كان من الضروري اتخاذ قواعد حرية على حدود الدولة من الشرق والغرب في خلال الأسرة الثامنة عشرة ، وقد كانت إدارة الحدود في عهد الدولة الوسطى مقسمة تقسيما عظيما محكما فكان يشرف على الحدود الشرقية أمير للقاطعة السادسة عشرة (بنى حسن الآن) . إذ كان يسيطر على قواعد المعامل . وعلى رجال شرطة الصحراء من الدلتا حتى مقاطعته ، وكان يحمل من أجل ذلك لقب « مدير الصحراء الشرقية » وهو اللقب الذي كان يحمله « خن » قبل عهد « امنمحات الأول » وكان يحمله « نخن » بعد عهد « امنمحات الأول » وكذلك « نترنخت » في عهد « سنوسرت الأول » وكذلك كان يلقب « خنوم حتب » . في عهد « سنوسرت الثاني » أما الجزء الباقي بعد القاطعة السادسة عشرة حتى بلاد النوبة فكان على ما يظهر يشرف عليه قائد الجيش في الصحراء وهو للشرف العام على شرطة الصحراء .

ومن الغريب أنه بينما نجد معلوماتنا عن حراسة الحدود الشرقية في الدلتا تحتل مكانة عظيمة في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، تتضاءل معلوماتنا جدا عن حراسة الحدود الغربية في الدلتا بالنسبة لنظيراتها ، على أننا من جهة أخرى نعلم أن « أمسحتب بن حبو » ، قد ذكر لنا أنه أحاط شاطيء الدلتا بنقطة حراسة ، وهذا يدل على أنه كان على الشاطيء الأيمن للدلتا معاقل حرية وقد كانت نقطة الحراسة هذه في غرب الدلتا موجودة من قبل منذ الدولة القديمة ، فقد ورد ذكر لقب « مستشار ثغور البلاد الأجنبية في شقي الدلتا » وكذلك لقب « حارس حصن باب الغرب » غير أن هذه المعاقل لم يأت ذكرها في النقوش في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، وكان أول ذكر لمعاقل الحدود الغربية في عهد الفرعون « مرنبتاح » ثم في عهد « رمسيس الثالث » ، والظاهر أن النظام في هذه الجهة كان يختلف عنه في الجهة الشرقية يدل على ذلك أنه كان في الجهة الغربية قائد يحمل لقب « قائد فرع النهر الأيمن » (الفرع الكانوبي) . ونرى فيما بعد أن هذا اللقب كان يحمل في الوقت نفسه لقب « حاكم فرع النهر العظيم » كما كان القائد الأعلى يحمل في الجهة الشرقية لقب « حاكم سيلاه » غير أنه مما يؤسف له أن اللقب وصل إلينا مهشما . ومهما يكن من أمر فإن لقب « حاكم النهر العظيم » قد وصل إلينا في نقوش الأسرة الثامنة عشرة ولكن من غير لقب حربي معه .

أما عن حدود الوجه القبلي من جهة الصحراء فلم توجد أية معاقل بل كان يقوم بالحراسة هناك « شرطة الصحراء » وهم رجال خفاف الأجسام ، سزيهو الحركة ، معظمهم نشأ في الصحراء نفسها وكان يسيطر عليها مشرف يحمل لقب « مدير الصيادين » وهؤلاء الديرين هم الذين كانوا بدورهم في عهد الدولة الوسطى حكام مقاطعات أو قواد الصحراء ، وفي خلال الدولة الحديثة كانوا تحت سيطرة كاتب الجندين ، ولم تكن مهمة هؤلاء الحراس قاصرة على أعمال الشرطة أو الأمور الحربية ، وذلك بتعقبهم العارين إلى الواحات أو حماية عمال

مصنع الأحجار من غارات البدو الجائلين الذين يعيشون في الأرض فساداً ، أوصيانة الطرق المؤدية إلى مناجم الذهب ، فقد وجدنا في قبر رئيس كهنة « آمون » للسمى « منخبوع سنّب » في عهد « تحتمس الثالث » منظر مدير صيد ، ومعه جزيّة الذهب من « قفط » ، بل كانوا كذلك على الرغم من كل هذه الخدمات التي يقومون بها باقين على حالتهم الأصلية يزاولون الصيد والقنص وهي مهنتهم الأصلية التي فطروا عليها ، من أجل ذلك نشاهد « رئيس البدو » و « مدير الصحراء » « نفرخاوت » ممثلاً على لوحته التذكارية حاملاً أثقاله على كتفه ، وكان ابنه « منخبوع سنّب » يلقب كوالده « مدير الصيادين » ومدير الصحراء ورئيس البدو وكان مقر كل منها سكان الصحراء لامن سكان المدن المصرية . (١)

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ، ص ٤٩٠ — ٤٩٦

قائد الجيش

كانت السبيل ميسرة لكاتب المجندين أن يرقى في وظيفته إلى أعلى رتبة في الجيش ، وأعنى بذلك رتبة « قائد » والأمثلة على ذلك كثيرة ، فقد كان كل من « ثنى » و « سات است » و « رعسو » ثم « معى » كاتب مجندين ، قبل أن يصبحوا قوادا . وكذلك كانت الحال مع القائد الأعظم « حور محب » فإنه على حسب ما وصل إلينا من المعلومات عن ألقابه كان في بادئ أمره « كاتب مجندين » ولكن الأمثلة الأخرى التي لدينا لمن رقوا قوادا لا نعرف منها عن سلك ترقيتهم شيئا يخول لنا أن نحكم بأنهم شقوا طريق ترقيتهم المعتادة فن هؤلاء « نحوتى » و « بتاح مى » الذى حاصر حكم « تحتس الرابع » . « وامنحبت » فى عهد « امنحبت الثالث » ثم « بآتون محب » . ولم يشذ عن هذه الأمثلة إلا القائد الأعظم « امنانت » فإنه رقى إلى رتبة قائد من الجيش العامل نفسه . ولا بد أن نلاحظ هنا أنه قد ظهر عدة قواد فى وقت واحد فى البلاد ، وليس هذا بغريب فقد كان بطبيعة الحال لكل من الوجه القبلى والوجه البحرى قائد قائم يقود الجنود المدربين ، وهم الذين كان لا يوجد منهم إلا نفر قليل فى المعسكرات ، وهؤلاء هم الذين كانوا فى أغلب الأحيان يعفون من الضرائب التى كانت تفرض على اقطاعاتهم أما مكانة القائد بين كبار رجال الدولة فقد عرفناها من منظر على جدران مقبرة « رئيس الكهنة » فى عهد الفرعون « توت عنخ آمون » تمثل مقر الإدارة العامة فتجد الوزير يحتل المكانة الأولى ، ثم يأتى بعده « مدير أملاك الفرعون » ثم « مدير المالية » « مدير محكمة العدل » وخلف هؤلاء يأتى « مدير مكتب الوزارة » فدير بيت المال وهو تحت إمرة « مدير المالية » ثم يأتى بعد كل هؤلاء « القائد » ومما هو جدير بالذكر هنا أن هؤلاء القواد كانوا فى عهد « اخناتون » يرقون إلى وظيفتهم هذه من وظائف كناية وحسابية . والواقع أن القائد لم يكن المجال فسيحا أمامه ليستعمل مواهبه ودرايته الحربية قط ، على أنه إذا اتبحت له الفرصة ، فإنه

كان يفوق عدوه في الحال لأن ثقافته كانت أكبر عون له على ذلك ، إذ كان من واجبات القواد أن يعرفوا طرق مواصلات جنودهم ، والاعتناء بجراياتهم وعدد الجنود اللازمة لهم ، وهذا إلى أن الجيش المصرى لم تكن مهمته القيام بالحروب وحسب ، بل كان فى أغلب الأحيان يستخدم فى إنجاز مشاريع البناء ، ونقل الأحجار اللازمة لأعمال الحكومة ، ومن ثم كان من الضرورى للقائد أن يكون ملما بكل ما يتعلق بهذه الأمور ، مما جعل الأعمال الحربية المحضة تتضاءل أمام الواجبات الأخرى ، التى كان يضطلع بها القائد لتنظيم تلك الأعمال وتنفيذها . من أجل ذلك تعدد لنا ورقة « انسطاسى » (١) المعلومات التى كان يجب على كل موظف حربى أن يلم بها ، وفى قدرته حل معضلاتها اذا واجهته . وأهم شىء لفت إليه النظر مؤلف هذه الورقة ، هو ما كان يجب أن يقوم به القائد من أعمال البناء قبل قيامه بحملته فيجب على القائد أن يحسب حساب الجرايات اللازمة للرجال لحفر بحيرة أبعادها معلومة ، أو لأجل نقل مسلة ذات أبعاد معينة وحجم معين ، وكذلك حساب منزلق لأجل بناء ما ، وكذلك عدد الرجال اللازمين لإقامة تمثال ضخمة ، وبجانب هذه الأعمال يوجد عمل آخر بالإضافة إلى الأعمال الحربية ، ولكن لا يختلف فى جوهره عن الأمور السابقة ، وهذا العمل هو توزيع قسوات الجيش والمؤن اللازمة لحملة مسافرة إلى بلاد « سوريا » هذا فضلا عن أن كاتب هذه الورقة يفرض فى وثيقته هذه على كل موظف حربى ، أن يكون ملما بتخطيط البلدان التى سيندلع فيها لهيب الحرب وأن يكون ملما بلغة أهلها وان يكون فى المستوى العلمى الذى تتطلبه وظيفته العالية .

(١) سليم حسن : الأدب المصرى القديم ، ج ١ ، ص ٢٧٨ — ٣٨٤

القائد الأعلى

كان الفرعون الرئيس الأعلى لكل القواد كما كان هو أعلى قائد في الجيش ، وعلى أية حال فإنه كان يظهر أمام العالم في الوثائق الرسمية بهذا المظهر وكان لا يعين بدلامنه قائدا للجيش إلا نادرا ، إذ كان لا يحدث ذلك إلا في الحملات الصغيرة التي كان يتولى قيادتها « نائب الملك » في بلاد « كوش » (ابن الملك) .

وحقيقة الأمر أن الفرعون كان يعين نائبا عنه أو ممثلا له ، يقوم بكل ما يقوم به القائد الأعلى ، وكانت العادة المتبعة أن يعين ولي العهد في خلال الأسرة الثامنة عشرة كما كانت الحالة في عهد الدولة الوسطى . ففي عهد « تحتمس الأول » مثلا كان أكبر أولاده ، « أمنمس » هو القائد العام للجيش ، إذ وجدت وثيقة تبين ذلك ، جاء فيها بسكر أولاد الملك القائد الأعلى لجيوش والده « أمنمس » .

كان الفرعون يرسل أكبر أولاده لينوب عنه في قيادة الجيش العليا في « منف » القاعدة العامة للجيش ولذلك كان لزاما على ولي العهد بوصفه القائد الأعلى أن يتدرب علميا على الفنون الحربية ، وكانت العربة وقتئذ أحسن أداة للحرب . ومن المحتمل جدا أن أولياء عهد غير من ذكرنا كانوا يشغلون مركز القائد العام للجيش ، وقد ظهر في عهد « امنحنب الثالث » أمير صغير يحمل لقب « ابن الملك القائد العام للجيش » اسمه « نخت مين » أما في عهد « امنحنب الرابع » فلا نعرف من كان القائد الأعلى ، لأن هذا الفرعون لم يعقب ذكرا . هذا إلى أن خطابات « تل العمارنة » لم يأت فيها ذكر لاسم القائد العام ، ومما لاشك فيه أن « حور محب » لم يكن وقتئذ قائدا أعلى للجيش ، إذ لم يأت اسمه في النقوش بما يدل على ذلك . ومن الجائز أن « تحوتي مو » الذي كان يحمل لقب « قائد الجيش الأعلى » ، وقتئذ وكذلك لقب « الامارة » كان يشغل هذا المنصب ، وبخاصة إذا أضفنا إلى ذلك أن سوطه قد وجد في حجرة دفن الفرعون « توت عنخ آمون » . أما في عهد « توت عنخ آمون » نفسه فقد تولى هذا المنصب الرفيع « حور محب » ، وكان مركز قيادته مدينة « منف » . ولقد كان لتعيين أفراد من غير الأسرة المالكة في هذه الوظيفة الحربية

وهي التي كانت حتى الآن لا يشغلها إلا ولي العهد أو أمير - أول مبرر لاتباع الخطوة الأولى لقيام الأسرة التاسعة عشرة واختفاء الأسرة الثامنة عشرة . (١)

وظائف المسنين

كانت السنة المرعية حتى عهد « اخناتون » أن يحال كل موظف حربي إلى التقاعد بما في ذلك القائد الأعلى للجيش ، إذا كان من غير البيت المالك غير أن الفرعون لم يترك أصحاب السكفريات منهم يتقاعدون نهائيا ، فقد كان يوجد للكفاء منهم عملا مفيدا في وظيفة ما من الوظائف التي تليق برجل عظيم حكيمته التجارب ، وضحى بثمره حياته في خدمة بلاده ، والذود عن حياضها ، فكان القائد مثلا يعين بعد تقاعده عن العمل في الجيش ، في وظيفة « مدير أملاك » وغالبا ما كان يعين مدير أملاك الفرعون نفسه ، أو مدير أملاك إحدى نساء البيت المالك ، وبذلك يصبح وفي يده وظيفة تشعر بالثقة في شاغلها ، وأحيانا كان يعين الواحد منهم مدير الأملاك المعبد ويساوى هذا معبد الإله أو معبد الفرعون نفسه ، وهذا المركز كان يستمد سلطانه من الحكومة التي تضمن من جانبها للموظف المتقاعد معيشته المادية ، فتجعل له دخلا يضمنه إلى معاشه ، وبهذه الطريقة كانت الحكومة تضم دخل المعابد ، فتستولى على بعض رأس المال الذي كان محجوبا عنها اغتصابا ، في عهد « اخناتون » كان مدير أملاك « بيت آتون » كما كان في الوقت نفسه « مدير أملاك معبد رع » في عين شمس .

وكان « أمنحتب بن حبو » في آخر مجال حياته مدير أملاك أكبر بنات « أمنحتب الثالث » « سات آمون » وهي التي قد تزوجت من والدها كما نقص علينا النقوش ، وبذلك بقي « أمنحتب بن حبو » مدير أملاكها بعد زواجها وكان يدير أملاك الملكة « تي » زوج « أمنحتب الثالث » كاتب حربي يدعى « نخت مين » أما في إدارة أملاك المعابد فكان يتولى شئونها القائد « ساست » بوصفه مديرا المعبد الإله « أوزير » في عهد « أمنحتب الثالث » بالعبارة . وكذلك كان يتولى نفس

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٥ ، ص ٥٣

الوظيفة في المعابد الجنازية لكل من الفرعون « أحس » و « تحتمس الثالث » ثم « تحتمس الرابع » وكان « رع — سو » قائد الفرعون « اخناتون » مديرا لمعبد « أمنحتب الثالث » الجنازى . وكذلك كان « أمنمات » قائد الفرعون (حورحجب) مديرا لمعبد « تحتمس الثالث » وقد ثبت أنه حتى كاتب الجنود « سبك نجب » كان يشغل وظيفة « مدير أملاك معبد آمون » ولكن هذا العمل كان فريدا في بابه في خلال الأسرة الثامنة عشرة ، فقد كانت العادة أن يعين الموظف الحربى القديم بعد انتهاء مدة خدمته في الجيش العامل في وظيفة إدارية ، وقد بقى هذا النظام متبعاً إلى عهد الرعامسة ، إذ ذكر لنا في ورقة « هاريس » (١) أن أملاك المعبد كانت تحت إدارة رجال من قواد الجيش الذين أحيلوا على المعاش ومن الغريب المدهش أن الوظائف التى يتولى إدارتها المتقاعدون من الموظفين الحربيين لم تكن ذات أهمية كبيرة . وتدل الظواهر على أن المصالح الحكومية والإدارات التى كان فيها للتعليم أو التخصص وشرف المحند شأن ، كان يقضى عنها التقاعد ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا « حورحجب » كاتب المهندسين فى عهد « تحتمس الرابع » فقد كان على اتصال وثيق بالبيت المالك ، إذ عينه سيده « تحتمس الرابع » مريباً لإحدى بناته ورقاه فى الوقت نفسه على ما يظهر إلى رتبة « قائد فرسان » إذ كان يجرد فيه خادماً مخلصاً ، فهو الذى قاد جيوش الفرعون لمحاربة كهنة « آمون » لأول مرة . وقد وصفت هذه الحروب على إحدى اللوحات التى أقامها « اخناتون » على تخوم بلدة « اخناتون » عاصمته الجديدة ، غير أن هذا النقش قد وصل إلينا مهتماً ، ولم يبق منه إلا بعض كلمات تمكننا أن نلتبس منها ما كان يقصده هذا الفرعون .

(١) قرطاس يضم حجة بأوقاف المعابد من عهد رمسيس الثالث نسخت فى عهد ولده رمسيس الرابع ، وتعد هذه الحجة من وثائق التاريخ الاقتصادى الهامة ، وقد عثر عليها قرب مدينة هابو ، وسمى القرطاس باسم مشتريه البريطانى هاريس ، ثم آل إلى المتحف البريطانى .

على أننا لا نعلم بالضبط من النقوش مقدار نفوذ هذه الوظيفة لأنه كما يشغلون
إلينا نص صريح في ذلك ، ومع ذلك يمكن القول بأن صاحبها كان يسيطر على
وظائف الكهانة في طول البلاد وعرضها ، وعلى مرافق الكهانة الحيوية
والاقتصادية في كل مقاطعات القطرين ، وكانت هذه الوظيفة حتى عهد « تحتمس
الرابع » في يد رئيس كهنة « آمون » في « طيبة » . ولكن لما أعلن هذا الفرعون
الحرب على الكاهن الأعظم وانتصر عليه إستولى على هذه الوظيفة وقلدها
« حور محب » كاتب الجندين ، ومرسى الأميرة ابنة الفرعون لما كان يعهده فيه
من الإخلاص والولاء . ومن ذلك يتضح أن الفرعون قد عاد ثانية واتخذ من
موظفي الجيش رجلا من المحلصين له يقوم بأعباء هذه الوظيفة الخطيرة ، على أن
يتولى « حور محب » منصب رئيس كهنة القطرين لم يمه الحرب بين البلاط والكهنة
إذ أعادها ثانية « أمنحتب الثالث » للكاهن الأعظم للاله « آمون » « بتاح سو » ،
ولكنه لم يلبث أن نزعها مضطرا من كهنة آمون « ثانية كما لمح بذلك « اخناتون »
في لوحة الحدود السالفة الذكر ، وقلدها هذه المرة الكاهن الأعظم للاله « بتاح »
بمنف ، وهو « تحوتى سو » ابن « بتاح سو » السابق الذكر ، وكان يرمى من
وراء ذلك أن يبعد هذه الوظيفة عن كهنة « آمون » بطيبة مقر حكمه ، وبذلك
يستريح باله من مناوآتهم ومشاركتهم إياه السلطة . وسنرى فيما بعد أن هذا الفرعون
أقصى كذلك « مدير البيت العظيم » للأمالك الفرعونية عن مقر ملكه ، وجعل
مركزه « منف » عندما شعر بازدياد سلطانه ونفوذه في العاصمة .

وخلاصة ما سبق ذكره عن مجال حياة الموظف الحربى ، وما كان يقوم به
من الأعمال بعد التقاعد ، وأنه كان لا يعد فى سلك كبار الموظفين ، وإن كان
صاحب سلطان مدة خدمته العسكرية ، ولا يمكن التقليل من شأنه ، غير أنه عندما
كان يترك العمل فى الجيش ، لم يكن يقلد وظيفة ذات نفوذ ، وذلك لأنه لم يكن
من فئة الموظفين الذين كانت تسند إليهم وظائف ذات نفوذ فى البلاط الفرعونى
أو الذين كانت لهم قوة عظيمة خارج حدود وظيفتهم فى أواخر الأسرة الثامنة
عشرة ، مما يمهدهم الطريق للإستئثار بالسلطة لأنفسهم ، لذلك كان يلزم للوصول
بجمع السلطة ، والقبض على زمام الأمور فى البلاد صنف آخر من رجال الجيش ،
وهؤلاء هم رجال الجيش العامل .

جنـدى الميـدان

كان الجندى يتقرب من بين طائفتين مختلفتين من الشعب . فطائفة منهم كانوا يجندون من بين أولاد الجنود القدامى ، وهؤلاء كان لزاما عليهم أن يحملوا محل آبائهم ، وكانوا أحيانا يحملون مراكزهم ، وطائفة أخرى كانوا يجندون من بين الشبان الذين قضوا فترة طفولتهم فى البلاط الفرعونى ، يتلقون العلم ويدربون مع أمراء البيت المالك أنفسهم ، فكانوا بذلك يؤلفون فرقة مختارة من الغلمان المثقفين ، ومن ثم نشأت العلاقات الشخصية بين الفرعون وضباط الميدان ، وهذه العلاقات كان لا ينقطع سببها فى الميدان مادام الفرعون يقود جيشه فى ساحة الوغى . وهذه الوسيلة كانت سببا هاما لا يستهان به فى ترقية هؤلاء الضباط ، لأن الفرعون كان قد تربى معهم فى صغره ، كما كان يقودهم فى رجولته .

وكان آباء هؤلاء الأطفال الذين يانشئون فى صغرهم فى بلاط الفرعون يحملون لقب « غلام بيت التعليم الفرعونى » أى الأطفال الذين تعلموا مع الأمراء فى قصر خاص فى أثناء طفولتهم . وكان هؤلاء التلاميذ يحملون هذا اللقب بكل فخار وكبرياء مدة رجولتهم ويدعون به كما كانوا يحملونه وهم لا يزالون غلمانا فكان « سن من » أخو « سنموت » أكبر رجل فى الدولة فى عهد الملكة « حتشبسوت » يلقب بهذا اللقب على أن موجة تحقير كل فرد غير موظف جعلنا نفهم بدهشة أن السواد الأعظم من هؤلاء الأطفال كانوا ينتسبون الى طبقة صغار الموظفين والسكرتيرة والمستخدمين اذ نجد والدا أحدهم كان كاتب تيران وآخر كان والده حارس باب الادارة ، وهناك ثالث كان والده رساما الخ .. ولكن لما كان معظم أولاد الأمراء الذين كانوا فى المرتبة الثانية بين الأمراء يصبحون ضباطا عاملين فى الجيش كان الجلم الفقير من هؤلاء الغلمان المدربين أولاد الطبقة الدنيا يتخربطون معهم فى هذا السلك الحربى ، هذا الى أنهم كانوا يشغلون معهم مراكز صغيرة تناسب مع طبقتهم فى البلاط الفرعونى

يضاف الى ذلك أنه قد ظهر بين هؤلاء الغلمان عدد ضئيل جدا ممن كانوا يشغلون وظائف حكومية ، هذا الى أنه كان يوجد بينهم بعض الأجانب . ويحتمل جدا أنهم أرسلو رهائن الى مصر ، وقد شغل بعضهم فيما بعد وظيفة مرب في البلاط الفرعوني فكان الواحد منهم يحمل مع وظيفته الممتازة لقب مرب لأميرة أو أمير في القصر ، وقد كان عدد هؤلاء المرين عظيمًا جدا في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

أما عن كيفية تعليم هؤلاء الصبية فلم نجد في الرسوم التي عثر عليها حتى الآن إلا صورًا تمثل تدريبهم على الرماية بالقوس والنشاب . وعلى أية حال فإن أحسن ما كان يتفاخر به للملك في هذا العصر هو التدريب الرياضي كما جاء في لوحة «أمنحتب الثاني» وكان هؤلاء الغلمان يشاطرون للملك هذا التدريب .

الضابط

وأما حياة الضابط العامل في الميدان فكانت عادية ، إذ كان يبدأ مجاله في الجيش جنديا بسيطا في أحد الفرق العسكرية في حامية من الحاميات ، أو في سفينة من السفن ، وكان يعرف بجندى تابع لفرقة كذا بحامية كذا ، أو جندى تابع لبحارة كذا في سفينة كذا ثم يلقب حامل العلم في فرقة كذا أو حامل العلم في سفينة بحارة كذا ، ولا ندري إذا كانت هناك درجات للجنود — كما نعرف اليوم . الألباني والجاويش . . . وغيرها .

أما الخطوة الثانية في مجال رقي الضابط العامل بعد رتبة حامل العلم فهي ترقيته الى رتبة «فارس» وقد وضحت هذه النقطة عند ذكر الوظائف التي جاءت مرتبة على حسب تدرجها في مرسوم «نوري» الذي صدر في عهد «سيتي الأول» وكذلك جاء هذا الترتيب على غرار ، غير أننا نلاحظ في مرسوم «نوري» وجود رتبة أخرى قبل رتبة فارس ، وعلى ذلك يكون مجال رقي الجندى كما يأتي . أولا حامل العلم ، ثم رئيس اسطبل ، ثم رتبة فارس .^(١)

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، ج ٥ ص ٥١٠ - ٥١٤ .

وكان الفارس يظهر بوصفه قائد جنود في الحاميات التي على حدود الدولة أوفى المقاطعات على أننا لانعرف بصفة قاطعة الى أى مدى كانت سيطرة هذا القائد على الجنود والأسرى. كما أننا لانعرف على وجه التحقيق عدد الفرق التي كانت بقيادته هذا الى أننا لانعرف اذا كان الجنود الذين كانوا بقيادته يشملون جنودا مرتزقة من غير المصريين .

أما في بلاد النوبة فكان يعمل هذا الفارس بأمره نائب الملك في «كوش» وكان يحمل هناك اللقب الثانوى «مدير البلاد الأجنبية الجنوبية» وكان في الوقت نفسه يحمل لقب «قائد معقل في النوبة» .

أما في «سورية» فكان القائد يحمل لقب «قائد» ومدير البلاد الأجنبية الشمالية أى قائد الجنود الذين كانوا يمسكرون في المدن والحاميات في بلاد «سورية» والواقع أن «سورية» لم تكن منظمة تنظيميا دقيقا كما كانت الحال في بلاد النوبة ولم يكن يحكمها نائب ملك يسيطر على عامة أمورها ومن أجل ذلك كان من أول واجبات هؤلاء الضباط أو القواد أن يراقبوا الأمراء الوطنيين الذين كان في يدهم حكم البلاد ، لهذا كان الفارس «آمنسو» يطلق عليه لقب «اذنى الملك» في عهد الفرعونين «تحتمس الثالث» وابنه «أمنحيب الثانى» وهذا اللقب يعيد إلى الذاكرة بوجه خاص لقب «رايصو» ، وهذا اللقب بعينه كان يعطيه قائد المدينة (معناه المتربص أو التسمع) وهذا الريصو كان يقابله في المصرية وقتئذ لقب «فارس» إذ نجد أن القائد «معى» كان يلقب «رايصو» في خطابات «تل العمارنة» وكان هو نفسه يلقب في عهد «أمنحيب الثالث بالمصرية» الفارس مبعوث الفرعون في الأراضى الأجنبية مما يدل دلالة واضحة على أن اللقب كانا يحملان معنى واحدا . ولكننا لانعلم بصفة مؤكدة من كان تحت أمرته ، ومن الجائز أن هذه البلاد الشمالية كانت بأمره قائد ويستند هذا الاستنباط إلى أن القائد «تخونى» الذى عاصر الملك «تحتمس الثالث» كان قائدا في هذه الجهات ، وفي آن واحد كان مديرا للأراضى الأجنبية الشمالية ، وهذا يكون قد ظهر بوصفه قائدا له الكلمة العليا في هذه الممتلكات . هذا ، وقد وجدنا في خطابات «تل العمارنة» أن قائدا

قد كتب لأحد الأمراء السوريين بلهجة الأمر مما يشعر بأن القائد كان هناك هو صاحب القول الفصل . ولكن المدهش في الأمر أن هذا القائد لم يذكر هنا . ولم تذكر لنا خطابات « تل المارثة » موظفاً كان يسيطر على بلاد « سورية » سيطرة حقيقية إلا « نياخو » ، وكان يلقب « حامل المظلة على يمين الفرعون » . وهو من ألقاب الشرف العالية في البلاط الفرعوني ، على أننا لا يمكننا بأية حال من الأحوال التحقق من هذه الوظيفة التي كان يقوم بها ولا عن مقر وظيفته « يريموتا » ولا شخصيته هو ، وكذلك جاء ذكر « أمنوبي » الذي كان يسيطر على ما يظهر تمام السيطرة على ممتلكات مصر في « سورية » وقد جاء ذكره في خطابات « تل المارثة » في خطاب أمير « تاعنك » باسم « أمان حتبي » والظاهر أن مقر إدارة الحكومة المصرية لهذه البلاد كان في غزة في الجنوب ، وعلى أية حال فإن كل الشواهد تدل على أن كان صاحب السيطرة في الممتلكات الأميرية في « مجدو » كما كان له نفس السلطة في الجنوب في « غزة » . ومما يؤسف له أنه لم يصلنا أى لقب من الألقاب التي كان يحملها . ويجب أن نشير هنا أيضاً إلى جنود الحاميات التي كانت خارج الحدود المصرية . فقد كانوا على حسب ما جاء في ورقة « ساليه » (١) يسرون على نظام الجنود في البلاد نفسها ، يتألفون من جنود وضباط أعلام ومدبرين ، ونذكر من وثائق الأسيرة العشرين أن هؤلاء الجنود كان يشرف عليهم « فارس » . أما في عهد أحتاتون فكان هؤلاء الجنود يتألفون بصفه قاطعة من جنود أجنبي في كل المستعمرات المصرية كلها والظاهر أن المدير المسيطر عليهم كان يحمل رتبة أكبر من رتبة « فارس » ولم يصلنا حتى الآن من أسماء المدبرين الذين كانوا يشرفون على الجنود الأجنبي في الأسيرة الثامنة عشرة إلا اسم القائد « تحوتي » ، ويحمل لقب القائد ومدير الأراضي الأجنبية في عهد « تحتمس الثالث » .

ويمكننا أن نستخلص أن النظام الذي كان قائماً في الأقاليم الغربية « لوبيا » التي كانت تحت سيطرة مصر يشبه تمام الشبه النظام الذي كان قائماً في سورية على الأقل

(١) سليم حسن : المرجع السابق ذكره ، ج ٥ ، ص ٥١٥ — ٥١٦

في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، فقد كان القائد الذي على رأس القوات هو الفارس
ومدير البلاد الأجنبية في « لوبيا » .

تقدير أبطال المعارك :

كان من بين الجنود العاملين نفر يسترعون النظر بما يأتونه من ضروب الشجاعة
والمهارة في فنون القتال مما كان يستهوى نظر الفرعون ويشير إعجابه ، فيكافئهم على
حسن عملهم وإقدامهم بما كان يعبر عنه عند المصريين بعبارة « ذهب الشجاعة » أو
« ذهب الثناء » . فكان الفرعون يهب شجمان جيدته . مشابهك ذهب ، وفتوس ،
وخناجر وأساور ونياشين في صور ذباب وأسود ، وصدريات الخ . وهذه كانت
أشكال هدايا الشرف المادي ، أما الشرف الأدبي فكانت الألقاب التي يمنحها الفرعون
من فاق من رجاله برجحان عقله وحسن تدبيره للأمر وأهمها لقب « شجاع
الفرعون » . غير أن ألقاب الشرف الأدبية لم تكن قاصرة على الجندي العامل ،
بل كان يمنحها كذلك للموظفين الذين يصحبون الفرعون في غزواته ، ويقومون
بأعمال مجيدة تدل على الشجاعة ، أو كان ينالها موظف وهو يؤدي خدمته مهمة في
أثناء معاملاته التجارية برؤوس أموال أخذت من الأعداء فكان ، بعض الضباط
يمنحون لقب « صاحب الثنأسم » وقد حمل هذا اللقب الفرس « آمون محب » الذي
أصبح فيما بعد نائب الجيش في « كوش » ، وكذلك كان يتقلده حامل العلم « سور
منوت » في عهد « امنحتب الثاني » . ومن هذه الألقاب كذلك لقب « محارب
الحاكم » (أي الفرعون) وكان يحمله الضابط « أحس » في أوائل الأسرة الثامنة
عشرة وكان يمنح الجندي الشجاع لقب « المحارب القديم » .

آلهة الحرب

كان لقدامى المصريين آلهة حرب ، كما كان لكثير من الشعوب القديمة ، كالإغريق والرومان ، وقد ورد ذكر آلهة الحرب المصرية في كثير من النصوص ورسمت على جدران المعابد ، وغيرها من الآثار . وكان في طبيعة تلك الآلهة :

الالهة منتو :

هو الاله الشديد ذو القوتين ، وقد وجد في وقت ما مع الاله « رع » ، فأصبح يدعى « منتورع » ، وكان يعبد من الناس في جهات عديدة كطيبة ومدامود ... الخ ، ولاسيما في عصر الأسرة السادسة . ويظهر الاله « منتو » على هيئة رجل برأس باشق عليه تاج يتكون من قرص الشمس مع ريشتين ، وهناك صور أخرى يظهر فيها هذا الاله برأس باشق ، وقد أمسك في يده اليمنى سلاحا حريا ، كما أن هناك صورة أخرى رسم فيها « منتو » وهو يحمل حربة طويلة صنع حدها من البرونز يعطن بها أحد الأعداء المقيدين . وعندما عبد هذا الاله في مدينة « زرت » (١) تغير شكله ، وان لم تتغير طبيعته فقد ظل إلها للحرب ، ولكنه رسم في صورة رجل يعلو جسمه رأس ثور ، وقد أمسك في يديه عددا من الأسلحة كالقوس والسهم والهرات والمدى وغيرهما من أدوات القتال (٢) وقد ذكر هذا الاله في وصف طويل لمعركة قادش ورد فيه أن « الملك رمسيس الثاني أشرق كما يشرق الاله رع (الشمس) وأخذ أسلحة الأب « منتو » سيد طيبة ، وقد استل أسلحة في يده واعتلى مركبته الحربية ووجهها إلى قلب المعركة ففر الأعداء وكتب له النصر عليهم »

(١) الطود الحالية وتقع على مسافة ٢٠ كيلو مترا جنوبى الأقصر .

(٢) محرم كال : آلهة الحرب عند قدماء المصريين . مجلة الهلال ، مارس ١٩٤٠ .

وقد أقيم معبد هذا الإله الرئيسي منذ عهد الدولة الوسطى في مدينة مدامود^(١) ومن المحتمل جداً ، أن هذا العيد بدأ تشييده للملك « سنوسرت الثاني » من ملوك الأسرة الثانية عشرة ، وقد صورت على جدران عدة رسوم للإله « منتو » بشكل الباشق وشكل الثور أيضاً .

وقد كانت تختص مدينة مدامود بعناية ملوك مصر الحار بين الذين اشتهروا بالفتح ومن هؤلاء « تحوتمس الثالث » الذي أعاد بناء العبد ووسعه من بعده « أمنحوتب الثاني » الأسرة الثامنة عشر « وتحوتمس الرابع ، وسيتي الأول ، ورمسيس الثاني الذي أقام فيه معبداً جديداً ، وبطليموس الثالث والخامس وبعض ولاة الرومان .

وكانت تقام الأعياد سنوياً لهذا الإله برئاسة الفرعون في المعبد وفي القصر . وقد استمرت تلك الحفلات تقام كتقليد متبع في العصور التالية فكان القوم يخرجون بعد الحفلة الدينية في المعبد ، في جماعات وقد ارتدوا ملابس العيد فيهللون ويشربون ويمزحون حتى ساعة متأخرة من الليل .

الإله سخمت :

والإلهة سخمت التي تمثل أصلاً حرارة الشمس المحرقة أراد البعض أن يعطيها صفة الحرب على اعتبار أنها إلهة البطش والتدمير ، ولها في الآداب القديمة أساطير طويلة .

الإله ريشيف :

والعروف أنه أدخلت آلهة أجنبية إلى مصر نتيجة لغزواتها في البلدان المجاورة ومن بين هذه الآلهة — العبود المعروف باسم « ريشيف » ويرجع أصله إلى كنعان وقد كانت لهذا الإله عدة صفات كما أنه وصف بمميزات الإله « أبولو » الأغرقي ، وقد وجدت للإله ريشيف في مصر عدة نقوش من أهمها : لوحة صغيرة صور عليها

(١) مدينة تقع بالقرب من الكرنك .

الاله فى شكل رجل متقدم بقدمه الأيمن فى يده اليمنى خنجر وفى اليسرى ترس وعلى رأسه ما يشبه تاج الوجه القبلى وأمامه مذبح صغير، ويرجح أن هذه اللوحة كانت قديما فى معبد دير المدينة بالنوبة .

ولريشيف بقايا لوحة فى متحف برلين (رقم ١٤٤٦٢) ، وقد ظهرت عليها رأس الاله عليها لباس الرأس الذى يشبه تاج الصعيد وفى يده اليمنى الدبوس وقد كتب فى أعلا اللوحة الاله العظيم ريشيف الذى يقبل الدعوات .

وبالمتحف المصرى لوحة تحمل رقم ٧٠٢٢٢ يظهر فيها ريشيف حاملا الدبوس فى يده اليمنى وعلى رأسه نفس غطاء الرأس المذكور سابقا . وعلى جبهته نجد رأس غزال وهى إحدى مميزاته ، وفى يده اليسرى نجد ترسا مستطيلا ينمطف مقدمه نحو وجه الاله ، وقد كتب على اللوحة عبارة «ريشيف الاله الأعظم» أما الدبوس الذى فى يد ريشيف فهو فى الغالب غريب عن مصر ويرجع ظهوره بها إلى أيام الدولتين الحديثة والوسطى (١)

(1) Leiboldich. J : Quelques nouvelles représentations du Dieu Rechef
فى حوليات مصلحة الآثار المصرية ، الجزء ٣٩ ص ١٤٥ — ١٦٠ .

الحصون في مصر القديمة

الدولة القديمة :

شيد المصريون القدامى الحصون في أهم الأماكن التي كانت معرضة للغزو ، حيث كان يتيسر لهم صد العدو . وكانوا يختارون المواقع التي قد يستطيع الأعداء أن ينفذوا منها للبلاد ، وبخاصة عند أفواه الوديان المشرفة على الصحراء والتي يمكن البدو أو غيرهم أن ينقضوا منها على البلاد للنهب ، وكانت تعرف هذه الأماكن « بأبواب المملكة » ومن الحصون التي شيدت في أوائل حكم الأسرات (١) حصن العرابة المدفونة ، وموقعه هو كوم السلطان الحالي ، وعرفت باسم حصن أيدوس ، والمعروف عنه أنه شيد في أثناء الدولة القديمة قبل أيام الأسرة الخامسة ، لأن بعض نبلائها استخدموها مقبرة لموتاهم ، فجردوه من خصائصه العسكرية ، وكانت النتيجة أن شيد حصن عسكري آخر على بعد عدة مئات من الأمتار في الجنوب الشرقي منه ...

كان الملك زوسر (الأسرة الثالثة) ، أول من نظم وسائل الدفاع عن مصر ، فقسم حدود البلاد الى مناطق أطلق عليها اسم أبواب المملكة . وجعل في كل منها حامية ، وعين بكل من هذه المناطق حاكما خاصا يلقب « برشد الأرض » . وكانت لهؤلاء الحكام الكلمة العليا على حكام المقاطعات وكانت في يدهم ادارة الشرطة ، كل في مقاطعته ، ولذلك كانوا مسئولين عن النظام والأمن في هذه المناطق ، وكانت تلك المناطق تخضع مباشرة لهذا الموظف . وقد شيدت لتلك الحاميات العسكرية حصون منيعة لحماية المناطق والدفاع عنها . وكان في كل حصن حامية من الجنود تقوم بأعمال الخدمة وتخزين المؤن التي تسكني الجنود مدة طويلة ،

(1) Maspero : Dawn of Civilisation, p. 450.

وقد وصلت لنا أسماء بعض هذه الحصون منذ الأسرة الثانية — فقد عثر فعلا على نقش عليه اسم حصن « سخرحسب » ، وكذلك عثر على اسم حصن آخر من الأسرة الثالثة نقش على خاتم لكاتب هذا الحصن .

كانت كل هذه الحصون « أبواب المملكة » منامة على طراز واحد ، ولا تختلف بعضها عن بعض اختلافا كبيرا في مقدار مساحة كل حصن وبمك جدرانها الخارجية . وكان تخطيط الحصن يشبه سطحًا متوازي الأضلاع ، وكان سوره الخارجي في أغلب الأحيان ، شتملا على دعائم عمودية من المبانى تربطها مدايمك البناء باللبن .

وقد عرف عن الملك زوسر أيضا ، أنه شيد سورا من أسوان الى الفيلة ، قدر طوله بحوالى ١٢ كيلومترا ليضمن السيطرة على تنفيذهم في الحدود الجنوبية ، ويعتقد بعض علماء الآثار أن السور العظيم الذى بناه أمنمحتت الأول على حدود الصحراء شرق الدلتا ، لم يكن الا تجديدا لسور أقيم في أيام الدولة القديمة .

وعرف عن الملك سنفرو (الأسرة الثالثة) ، أنه بعد عودته من إحدى حملاته ضد النوبيين ، شيد بعض الحصون في الوجهين القبلى والبحرى ، وأطلق على كل منها اسم « حصن سنفرو » ، وكما أنه شيد عدة حصون في شرقى الدلتا بين البحيرات المرة ووادى طميلات . وقد أدرك فراغنة الدولة الوسطى ، الفوائد العسكرية لتلك المنطقة ، فشيّدوا هناك « سور الملك لصد اعتداءات الآسيويين » .

وينسب بعض رجال الآثار حصن السكاب الى فراغنة العصر الذين ينسبون الى ما بين الأسرة السادسة والعاشرة . وقد كان هذا الحصن ، كما وصفه لبيسوس أحد رواد الآثار المصرية ، يتألف من فئتين مربعين محاطين بالأسوار ، أحدها داخل الآخر ، ويصل بينهما طريق سفلى على شكل قوس دائرة ، ولا يقع الفناء ان على محور واحد ، بل يتجه الفناء الداخلى اتجاهها شديدا نحو الجنوب . وكان السور الخارجى منيعا ، يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار ، وعرضه ١١ مترا ونصف متر ، وله ممر متسع وتمتد أطوال أجنابه مسافة ٥٦٠ مترا ويبلغ امتداد أنصرها ٤٨٠ مترا .

ويعتقد أنه كان للحصن أربعة أبواب او فتحات ، وليس هناك آثار تدل على وجود سلام حجرية ، ولكن يظن انه كانت هناك بعض الدرج التي تؤدي الى الطنّف العلوى .

ويبين الأسلوب المعمارى فى حصن الكاب طريقة خاصة فى فن البناء ، نجد لها مثلا آخر فى كوم السلطان فى أحد حصون أييدوس ، وذلك أن الجدار كان يقسم الى عدة أقسام روعى فى الأسطح العليا لأحجارها أن تكون مقعرة تقعرا شديدا ونستطيع القول عن طريقة الدفاع عن الكاب وأييدوس أن الأمراء المصريين لم يكتفوا بالأسوار المنيعة فحسب ، بل عمدوا الى بناء بعض المنشآت العسكرية بالإضافة الى تلك الأسوار ، كما شيدوا الحصون فى بعض الأماكن المناسبة لإقامتها ، من ذلك أنه أقيم حصن صغير يقع على بعد سبعة أمتار من الكاب وفى الجهة للقابلة من النيل ، ويحتمل أنه شيد لرجال الاستطلاع حينما يلجأون الى الراحة بعد العمل .

وشيد فى أييدوس حصن مماثل ، وكان قريبا جدا من أسوار المدينة ، حتى ان بقاياها مازالت مختلطة ببقايا المدينة نفسها . وظاهر أن هذا الحصن كان يعتبر عاملا أساسيا لاغناء عنه فى الدفاع عن المدينة ، وقد استعمل ثكنة للجند وحصنا يشرف على المدينة ، وفى الوقت نفسه يقوم كخط دفاعى أول أمام العدو اذا أراد الهجوم .

وقد بقى هذا الأسلوب خير النظم الدفاعية مدة طويلة من الزمن ، فلما اتسعت المدينة فى الاتجاه الجنوبي الغربى، واتخذت القلعة القديمة مكانا لدفن الموتى ، شيدت أخرى فى ضواحيها على مسافة لا تبعد كثيرا عن دور الأهالى .

الحصون في الجنوب

يعترض مجرى نهر النيل ستة شلالات أو جنادل . يقع سادسها على بعد حوالي ٧٦ كيلو مترا شمال الخرطوم . وخامسها يقع جنوب مدينة بربر على مسافة ٤٥ كيلومترا والرابع يسمى كركبان يقع بين أبو حمد ومروى ، وهو يمتد مسافة ٢٢٠ كم ، والملاحة فيه عسيرة للغاية . والشلال الثالث ، ويدعى حنك يقع على مسافة ٦٦ كيلومترا شمال دنقلة . أما الشلال الثاني ويعرف بالشلال الأعظم فيقع شمال وادى حلفا ويمتد ١٩٠ كيلومترا ، والملاحة فيه عسيرة أيضا . أما الشلال الأول ، فيقع عند مدينة أسوان شمالها وجنوبها .

كان الشلال الثاني أهم الموانع الطبيعية التي اعترضت الغزاة القادمين من الجنوب ويسمى بطن الحجر ، وتحف به بقاع قاحلة جرداء . وقد جعلت منه المنحدرات السريعة عراقيل فاصلة وقفت في أوجه المغيرين الذين حاولوا غزو مصر القديمة من الجنوب . ذلك لأن طبيعة الأرض القفراء ، وصعوبة المسالك النهرية ، وتفاسوت مستواها المائى ، أضف إليها وعورة الطرق الموازية ، وخلوها من الزاد .. كل هذا لا يشجع الجيش المغامر على غزو مصر .

فلما عززت مصر قوتها ، اتجهت إلى التوسع والتملك وكان الجنوب مطمح ملوكها فقد رأوا أن السودان هو الميدان الطبيعي للتوسع ، وكانوا في حاجة إلى الذهب والرقيق .

وكان الشلال الثاني (شمالي وادى حلفا) حدا ذا فائدين ، إذ تصلح منطقتة قاعدة للدفاع ضد غزوات الجنوب ، ونقطة تستخدم قاعدة تبدأ منها الغارات والمعارك تساعد المغيرين إلى الشمال أو إلى الجنوب ، فضلا عن أنها مركز تجارى هام

وقد اهتدينا إلى معرفة المراحل المتتالية لغزو النوبة في أثناء حكم الأسرة الثانية عشرة ، فقد غزا أمنمحت الأول بلاد الماشين ويواين وهير يوشا ، ثم مد حدود البلاد قريبا من كورسكو . . وجاء أسورتنس الأول ، فتابع تقدمه إلى بوهين أو وادى حلفا ، أى أنه مد حدود مصر إلى الجنوب بمائة ميل أكثر من سلفه . وكان على ما يجهل أول ملوك مصر الذين شيدوا قلعة ثم أسسوا مدينة جنوبي كورسكو .

ولما تولى أسورتنس الثالث الملك شق لأسطوله طريقا بين صحور الشلال الأول وظل يدعم نفوذه إلى ما بعد ذلك ، ثم شيد حصنين متقابلين في آخر حدود دولته على شاطئ النيل ، أحدهما في ممنة والآخر في قبة جنوب وادى حلفا . وكان أمنمها وأضحهما الحصن الغربي الذي عرف باسم « خع كاورع القوي » وهو اسم أسورتنس الثالث الملكي . وشيد في داخله معبدا للاله « ددأون » النوبي ، ولا تزال آثار الحصنين باقية إلى اليوم ، تشهد ببراعة القدامى في فن البناء العسكري وفي اجادة اختيار المواقع العسكرية .

ثم امتد بناء الحصون إلى الجنوب لعدة أميال ، وسنذكر فيما يلي أهمها بين جزيرة إلفنتين بأسوان والشلال الثاني ، ومعظمها شيده ملوك الأسرتين المصريتين : ١٢٦ ١١ :

كوشتمنا أو ايكور — سابا جورا — كوبان — كورسكو — عماده — ابريم
أرمانا . وشيدت الحصون الآتية في منطقة الشلال الثاني بين بوهين وممنة :
بوهين — مايارتي — دورجيتي — معتوقه — دنارتى — ورنارتى ،
وممنة الشرق وممنة الغرب .

وقد قام فركبير من علماء الآثار بكشف تلك الحصون ودرسها دراسة وافية ، نذكر منهم بورخاردت ولبسيوس وهوسكنز ودى فوجيه وسومرز كلارك ورايزر وجاردنر وايرمان وجريفيث وإيمرى وغيرهم .

ولم يقف بناء الحصون المصرية عند الأسرة الثانية عشرة ، بعد استتباب الأمن وازدهار التجارة ، ولاسيا بين الشلال الأول والرابع تقريبا ، بل استمر بناؤها وقد عثر على ثبت بتلك الحصون التي شيدت في تلك الأماكن يرجع تاريخ بنائها الى حوالي مائة عام قبل بداية الأسرة الثامنة عشرة ، عثر عليه في الرمسيوم العالم كوييل عام ١٨٩٦ ضمن مجموعة أوراق البردى . وقد شيد هذه الحصون سنوسرت الثالث لتحصين بلاده . وقد ذكرت مرتبة حسب مواقعها الجغرافية من الجنوب الى الشمال (١) .

وفيا يلي أسماء تلك الحصون التي جاءت في البردية :

- ١ — حصن دابرخاست (؟) وقد جاء اسمه في مقال جيد للعلامة بورخاردت كيدنكالو (٢)
- ٢ — حصن « سخم خع كاورع » — مع خرو = سمعة (٣) .
- ٣ — حصن « إتنو بزوت » = قصة الحالية ومعناها صد الأقواس وتسمى كذلك سمعة الشرق .
- ٤ — حصن « خسف أونتبو » = ورزتى ويطلق عليها جزيرة الملك .
- ٥ — حصن « وعف — خسوت » = « شلفك » (مرشد) . (شفلك)
- ٦ — حصن « در — وتيو » (؟) = مرجيس .
- ٧ — حصن « أقن » = دنبارتى = دابى .
- ٨ — حصن « بهين » = وادى حلفا الحالية . (بوهين)
- ٩ — حصن « سرة الغرب » (؟) « وادى حلفا » (شرق) .

(١) سليم حسن : مصر القديمة . ج ٣ ص ٤١٦ — ٤١٨ .

(2) Burchardt : Altgypté Festungen ander Zweiten Nilchnelle.

Leipzig, 1923.

(٣) كانت سمعة في عهدالدولة الوسطى آخرالحدود كمايعلم من لوحى سنوسرت الثالثالبطل الفانح

- ١٠ — حصن خسف مزای « سره الغرب » (صد للمازوی) .
- ١١ — حصن معام : عنينة الحالية وتقع على الشاطيء الغربى ولا تزال بقاياها إلى الآن .
- ١٢ — حصن باكى = كوبان .
- ١٣ — حصن سمنت = بيجه الحالية .
- ١٤ حصن أبو = إلفنتين أو أسوان الحالية .
- ١٥ — حصن زد — كوبانية (؟) .
- ١٦ — حصن (اسم مفقود) .
- ١٧ — حصن — ختى = جبل السلسلة أو بلدتها .

ونحن إذا درسنا بقايا هذه الحصون والقلاع لوجدنا هناك نوعين مختلفين فى الطراز والأسلوب . النوع الأول هو تلك الحصون التى كانت تقام فى الوديان ، والنوع الثانى ما كان يشيد فى الجبال . نجد أولهما فى جبال النوبة السفلى حيث كان يقام الحصن على النهر ، وفى حصن فرس يلاحظ أن النهر قد غير مجراه ، فبعد الحصن قليلا عن النهر . أما الحصون الجبلية التى أقيمت فى جهة الشلال فقط ، فقد كان السيل هو العامل الفاصل فى إقامة الحصن وفى كيفية بنائه . وكان على المهاجم فى هذه الحال لأجل أن يستغل السهل ليصل إلى سفح جدار الحصن أن يتسلق عقبات ، كما كان عليه أن يصعد مرتفعات عمودية .. وإلا فإن الميزة الاستراتيجية للحصن تصبح على العكس لا قيمة لها .

ونجد أن معظم حصون « الشلال » قد أقيمت على صخور منحدره . فليس فيها دائما نظام إقامة السور المزدوج . وفى حصن « مرجيس » يوجد على جانبه الواقع تجاه البرجداران ، متوازيان يبعد أحدها عن الآخر ، وقد بنى كل منهما بناء محكما . ولا نعرف تماما إذا كان الجداران قد شيدا فى عهد واحد أو فى عصرين مختلفين ..

وهنا تتساءل كيف يحصل على الماء في الحصون القائمة في الصحراء .
الواقع أنه كان يوجد في الحصن باب خاص يفتح على النهر مباشرة . وكان يوجد
عمر سرى لا يراه الأعداء يتدّى عند هذا الباب ويستمر مسافة ، وكان منطى
بأحجار مسطحة . ونجد مثل هذا النظام في حصن « سمنة » وفي حصن « ورتنى »
و « كوبان » والحصن الأخير يقع في الوادى ، ولكنه مبنى فى الصخر . وعلى
ذلك لم يكن فى المستطاع حفر آبار فيه .

وكان بكل حصن معبد . وقد وجد فعلا فى هذه الحصون مبان تشبه العبد
فى كثير من الأحوال . وقد اتضح أنها للعبادة وذلك بما وجد فيها من آثار
تدل عليها .

وكان يوجد فى كل حصن بصفة مستديمة غير البيوت التى يسكنها الجنود
والقواد ، مخزن غلال وبيت مال .. كما استدل على ذلك من بعض اللبنتات المنحوتة
التى عثر عليها فى « ورتنى » .

كانت قلعة « كوبان » تقع على مقربة من معبد الذكة وإلى الجنوب منه ،
وترجع إلى أيام الدولة الوسطى ، وأهلها كانت إحدى الحصون التى شيدها ملوك
الأسرة الثانية عشرة لتأبين منطقة بلاد النوبة السفلى ، ولقد بقيت هذه القلعة
بمناوبة حلقة الاتصال بين الوادى ومنطقة مناجم الذهب (١) بوادى العلاقى وقد غمرتها
مياه السد العالى .

قلعة سمنة :

إن الوثائق التى وصلتنا عن سمنة عديدة ، أهمها تخطيط الأستاذ لبيوس الذى
وضعه حوالى سنة ١٨٥٠ والذى يصور لنا فى لوحة واحدة جميع الأعمال التى أقيمت
على جانبي النيل ، وهناك أيضا الكتاب الذى وضعه الأستاذ دى فوجيه سنة ١٨٥٥
وهو ملئ بالحقائق الهامة التى يوضحها تخطيط خاص لسمنة ورسم يبين تحصينات

(١) د . عبد المنعم أبوبكر : بلاد النوبة ، المكتبة الثقافية رقم ٥٨ ، ص ٥٩ - ٦٠

. ولدينا أخيراً تخطيط قديم للأستاذ كايو Caillaud ويرجع إلى سنة ١٨٢٥
ويعتبر على جانب عظيم من الأهمية رغم أنه غير دقيق إذ يضم مساحة أوسع بكثير
من التي يضمها تخطيط لبيوس .

ولا يعدو تخطيط دي فوجيه أن يكون مجرد رسم عادي ، ولهذا يحسن
الاعتماد على تخطيط لبيوس لكل من سمته وقة ، وأمام ما يحتاج إليه من المعلومات
من دي فوجيه .

تعترض مجرى النيل مجموعة من الصخور ، وقد تناثرت فيه عدة جزر صغيرة ،
ولهذا يقل اتساع المجرى حتى يصل إلى ٤٥٠ متراً ، ويلاحظ المرء أمام سلسلة الجزائر
بعض الجنادل التي تعترض للملاحة ولا تسمح بها إلا في قناتين ضيقتين على جانبي
النيل لا يزيد اتساعهما معاً على ربع اتساع المجرى جميعه .

سمنة شرق :

يقع حصن « سمنة » على الجانب الغربي للنهر بينما يقع « قة » على الجانب
الشرقي ، وقد شيد الأخير على بقعة شديدة الارتفاع ، والحصنان معا يكادان يغلقان
مدخل النيل أمام القادمين من الجنوب .

وفي تخطيط كايو Caillaud نلاحظ جنوب ذلك الحاجز الممتد من الجزائر
خليجاً واسعاً وميناء طبيعياً يقول ماسبرو عنه أنه كان من المستطاع تجميع الأسطول
المصري فيه عند القيام بحملة ضد إثيوبيا . وكانت قوارب أهل الجنوب وتجارهم
تنتظر أمام هذه الحصون لتحصل على الترخيص لمرورها إلى المياه المصرية .

يقوم حصن سمنة على منحدر يصل إليه المرء بسهولة من ثلاث جهات : هي الشمالية
والجنوبية والغربية ، أما الجهة الشرقية فعمودية تتركب من صخور تتجه بانحدار
شديد نحو النهر بحيث تجعل الوصول إلى الحصن عن طريقها غاية في الصعوبة ،
ويرتفع جانب الحصن الجنوبي بانحدار خفيف ، بينما نجد الجانبين الآخرين يمتدان

أفقياً نحو التلال التي تفصلها مجموعة من الأخاديد العميقة تصل ما بين المنحدر المقام عليه الحصن وسلسلة الجبال الليبية ، وهناك أيضا أخدود عميق على شكل الحرف ٧ يحمي زاوية الحصن الشمالية الشرقية ، ويمكن أن نرى هذا الأخدود الكبير الذي يبلغ اتساعه حوالى مائة متر واضحا في تخطيط لبيوس .

ويتكون الحصن من بنائين رئيسيين متساويين حجما ومتعامدين أحدهما على الآخر وكلاهما مربع الشكل ، ويتصل بأحد الأبنية الرئيسية بناء فرعى يمتد من الشمال إلى الجنوب ، ويقع عند قمة المنحدر المقام عليه الحصن جميعه ، وتشرف نهاية هذا البناء من الناحية الشمالية على الأخدود الذى أشرنا اليه . بينما نجد البناء الفرعى الآخر الذى يتصل بالقسم الرئيسى الثانى من الحصن متجها نحو الغرب ومشرقا على الصحراء ، أما أهم جزء فى الحصن فإنه يتجه نحو الجنوب ، وفيما يلى بيان أبعاد الحصن :

طول بناء الواجهة المطللة على النيل	١٢٥ مترا
طول البناء المتعامد على الواجهة	١٣٠ مترا
متوسط اتساع البناء المشرف على النيل	٥٠ مترا
متوسط اتساع البناء المتعامد على الواجهة	٤٢ مترا

وقد يتساءل الإنسان عن السبب الذى دعا إلى تشييد الحصن على هذه الصورة فتصميمه الداخلى عبارة عن شريطين ضيقين من البناء (أحدهما عمودى على الآخر) بينما تتضخم كتلة بنائه تبعا لاتساع محيطه . ولعل الرغبة فى توفير المواد كانت سببا فى تقليل كمية العمل بالداخل أو لعلها كانت لتقليل كمية المواد اللازمة للوصول بالحصن إلى الارتفاع المطلوب .

ومنظر الحصن الجانبى كامل تماما وهو يتألف من منحدر مدعم من الخلف يليه أخدود ثم مرتفع مكسو بالأحجار . أما الاستحكامات المحيطة بالحصن فتتألف من جدران يتراوح ارتفاعها بين ١٥ و ٢٥ مترا ، بينما يتراوح سمكها عند القاعدة بين ٨ ، ٩ أمتار ويصل عند قمتها إلى أربعة أمتار ، وقد بنيت هذه الجدران من اللبن ..

ودعمت بعدد من الخشب وضعت رأسيا وعلى مسافات متقاربة ، وقد اختفت تلك الأعمدة تماما ، غير أنه من المستطاع رؤية أماكنها بسهولة حيث لا تزال توجد آثار الخشب المتحلل ، وقد ازدحم سطح الحصن بالفتحات التي كانت تثبت فيها تلك العمود .

ويتكون من التقاء السطح الخارجي للجدران مع الأرض زاوية قدرها ١٦٠° تقريبا ، وتلك ظاهرة ملحوظة في جميع أبنية قدماء المصريين ، ولعلها ترجع إلى أن مواد البناء المستعملة كانت ، ضعيفة فكان لا بد من تقوية الحصن بجعل قاعدته مميكة ما أمكن ، إذ هي المعرضة قبل كل جزء فيه للهجوم . وقد أقيمت عند قمة الحصن عدة دعائم سمك كل منها متران وذلك لتقوية الأجزاء الخارجية في بناء الحصن الأعلى .

وأمام الجدار أخدود يبلغ اتساعه حوالي ٣٠ أو ٤٠ مترا ولايستطاع تحديد عمقه بالضبط ، أما المنحدر فكان يكسى بأحجار جافة ، تجعل الوصول إلى الحصن أشد صعوبة وزيادة على ذلك كانت نهاية الأخدود تغطي بالأحجار كما كان الحصن كله يحاط بأبنية حجرية تقوم كخط دفاعي أمامي لا بد من تحطيمها أولا قبل أن يستطيع المهاجم الوصول إلى جدران الحصن نفسه .

وكانت تلك الأبنية الحجرية تكون في الناحيتين الشمالية والغربية من الحصن حائطا خارجيا يرتفع مترين فوق منطقة البناء . أما في الناحية الشرقية فعلى العكس من ذلك كانت تلك الأبنية تؤلف سطحا عموديا يضاف إلى المنحدر الصخري ، ونلاحظ ذلك أيضا في الناحية الجنوبية حيث أصبح الوصول إلى الحصن عن طريقها غاية في الصعوبة . وسنترك الكلام عن آلات القتال التي وجدت واستعملت آنشد ...

هناك زاوية ضخمة من البناء الرئيسي ، ونحن لانعرف إذا كانت بشكلها هذا تتفق مع طرز العصر المعمارية ، على أنها كما يبدو كانت فريدة في نوعها . ورغم ما يذكره دي فوجيه De Vogue فإن الإنسان لا يستطيع أن يجد مبرر لذلك الوضع الشاذ الذي كان يحول دون وقوع نظر الانسان الى الأسفل من الجدار إذا أطل من جزئه العلوى .

التحصينات الجانبية :

ولاريب أن المنظر الجانبي للحصن كان يتفق تماما مع المناريس القليلة الارتفاع التي يجدها الإنسان دائما عند نهاية الجدران ، وقد اختلفت الآن الأجزاء الجانبية بحيث تضارع متانتها البناء الأصلي وتعتبر في الواقع جزءا منه وقد كان ذلك أمرا أساسيا يراد به اظهار قيمة تلك التحصينات الجانبية التي لاغنى عنها في الدفاع .

وإذا فحصنا تخطيط العالم لبيسوس وجدنا أن دعامات الحصن غير متشابهة فان ارتفاعها يبلغ ١٥ مترا كما يصل السمك الى أربعة أمتار في بعض الأحيان وخاصة في القسمين المجاورين للحائط الجنوبي الرئيسي ، أما معظم الدعامات الباقية سواء في الجهة الغربية أو الشمالية فيتراوح سمكها في الأجزاء العليا بين سبعة وثمانية أمتار ، بل أن إحدى الدعامات بالحائط الجنوبي أضخم من ذلك ، وهناك ثلاث دعامات أخرى تبدو كأنها أبراج مربعة الشكل تتصل ببناء الحصن الرئيسي بواسطة جدار أقل سمكا من الجدران الأخرى ، وفي حصن كوبان مثل واحد لهذا الطراز . ويمكننا أن نوجه تقدا شديدا الى نظام اقامة تلك الدعامات ، فان الطنف أو الطوار العلوى كان من الضيق بحيث لا يسمح بوضع منجنيقين لدفاع أحدها معا كس للآخر في الاتجاه مع اعطاء الحيز اللازم لاستعمال كل منها بحرية ، على أن القسم الجنوبي من ذلك الطوار وان كان أفضل من ذلك تسليحا الا أن رجال المنجانيقات الذين كانوا يعملون فوقه لابد قد تعرضوا للخطر أكثر من المدافعين عن بناء الحصن الرئيسي .

والحق أن اقامة التحصينات الجانبية على الوجه الذي ذكرناه كان خطأ ، فان الانسان لا يستطيع أن يحصل على نظام دفاعي محكم بواسطة أبنية لاتتصل مباشرة بالجدران الرئيسية مهما كانت تلك الأبنية قوية متينة ، ولهذا كان على الحصن الرئيسي أن يحمى نفسه بواسطة تحصينات تقوم على أسس تخطيطات معمارية خالصة . وقد حل هذا الاشكال بوجه ما في حصن أومنوس Omnos .

ويجب أن نلاحظ أن الدعامات كانت متقاربة جدا في أما كن عدة من الحصن وبمخاضة من الجهة الغربية مما اضطر رجال المنجانيقات الى التصويب بزوايا حادة

جدا ، ولعل المهندس المعمارى قد اتبع فى ذلك المبادئ التى اتبعت فى تشييد حصنى. أبى دوس وكوبان معتقدا أن الإكثار من الدعامات يجعل الحصن عزيز المنال كما أنه لم يستطع التجاوز عن فكرة التحصينات الجانبية . ولاريب أن ذلك يجعلنا نعتقد أن حصن صمنة لم يكن سوى تجربة أولى لاقامة التحصينات الجانبية التى وإن فهم السبب فى تشييدها بالبناء الرئيسى ، فإنها لم تدرس بعد الدراسة الوافية من جميع النواحي .

المدخل والقسم الداخلى من الحصن :

قال دى فوجيه أنه رأى باين فى الجدار الشمالى الصغير ، تفصل بينهما مسافة تقل عن خمسين مترا ، على أن تخطيط لبيسيوس الذى يعطينا صورة واضحة للمدخل الغربى لا يظهر لنا فى الجدار الشمالى سوى فتحة غير واضحة المعالم ، ومن المحتمل أن الباب الذى رسمه ذلك العالم ، كان المدخل الوحيد فى الجهة الشمالية لان الانسان لا يستطيع أن يدرك أية فائدة لوجود الباب الآخر .

والواقع أن ذلك الجانب الشمالى هو نقطة الخلاف بين كل من لبيسيوس. ودى فوجيه ، إذا اختلف كلاهما على مكان الدعامات التى كانت تحمى الباب . ولنتفق مع ماذهب إليه لبيسيوس ونقول أن اتساع الباب كان يتراوح بين ثلاثة وأربعة أمتار ، وعلى جانبه يمر يبلغ اتساعه تسعة أمتار ، وكان الجانب الأيسر لذلك الممر يمتد مسافة خمسة عشرة مترا ، وينتهى ببرج وهذا يشبه ما مجده فى حصن كوبان .

ورغم عدم وضوح تخطيط لبيسيوس فإنه يوضح لنا أن الحصن كله متصل بالخدق. الذى يحميه .

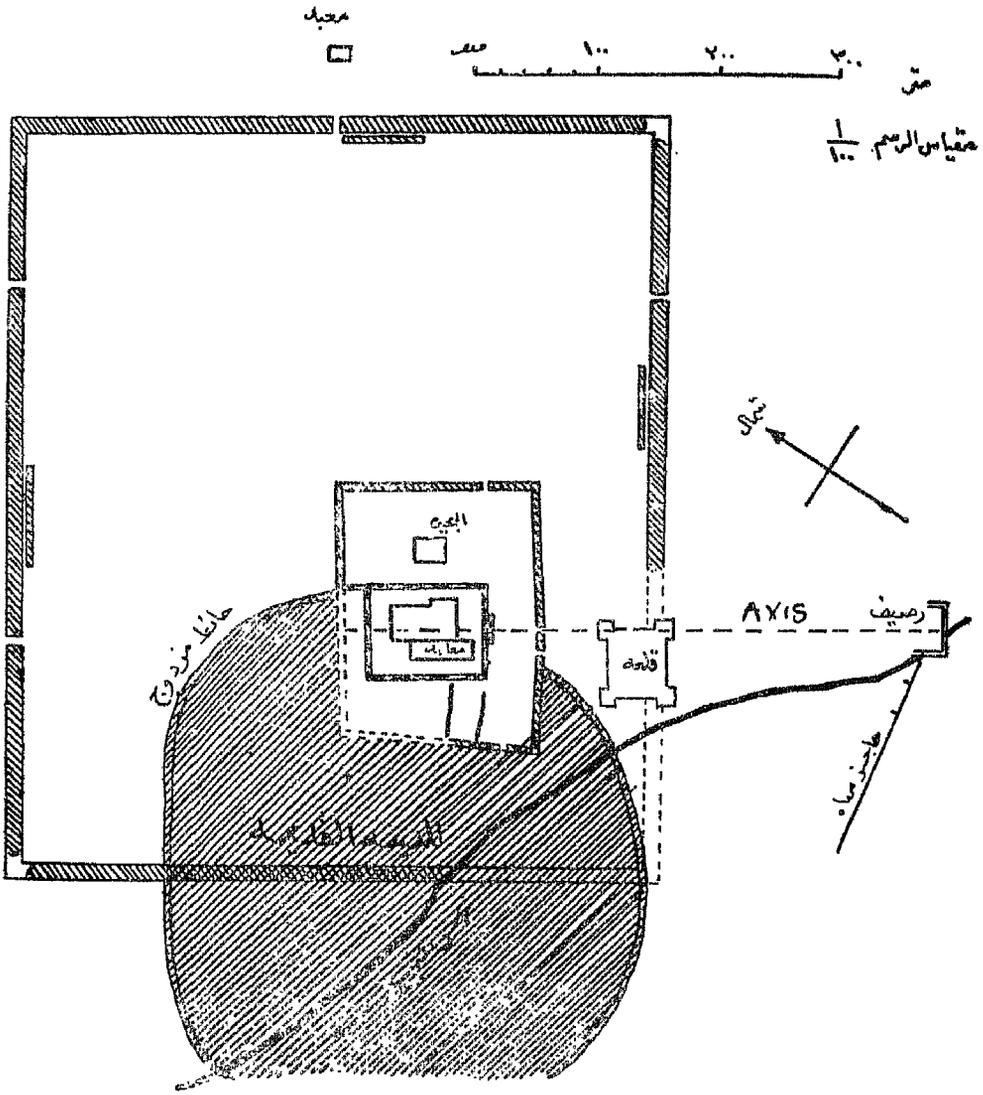
وكانت أجزاء الحصن المختلفة تتباين فى طرازها ، فبينما نرى فى الجانب الغربى طنفا مرتفعا كان الجانب الشمالى بهو داخلى يشبه هذا الذى نجده فى أبى دوس. إلا أن ذلك كان أضيق منه وأعمق .

حصن بوهين

يقع حصن بوهين عند مدينة وادي حلفا التي غمرتها مياه السد العالي .
شيد في أيام الدولة الوسطى (٢٠٥٢ - ١٧٨٦ ق . م) ، وقد كشفت
عنه إحدى بعثات التنقيب البريطانية برياسة العالم إمري ، فوجدته في حالة جيدة
ولذلك استطاعت البعثة ان ترسم للقلعة عدة رسوم توضح الحالة التي كان عليها الحصن
منذ أربعة آلاف سنة . شيدت بوهين ضمن مجموعة الحصون التي أقامها ملوك
الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق . م) عند الطرق التجارية للسيطرة
على منطقة الشلال الثاني الاستراتيجية التي تفصل بين بلاد النوبة العليا والسفلى
وقد فشل المهاجون في الاستيلاء على هذه القلعة مدة مائتي سنة إلى أن اكتسحت
ح عام ١٦٧٥ ق . م عندما تعرضت مصر للغزو ، ثم استردتها عندما استعادت قوتها
الحرية ح ١٥٧٠ ق . م . فأعدت بناء تحصيناتها ووسعتها ، ثم هاجمها جيوش
مملكة كوش السودانية ودمرتها قرب نهاية حكم الأسرة العشرين عام ١٠٨٥ ق م
ولماتم كشف حصن بوهين أدرك أفراد البعثة أنهم أمام أفضل نموذج للعمارة
الحرية المصرية احتفظ به حتى اليوم .

يتألف الحصن من سور ضخيم سمكه أربعة أمتار و ٨٠ سنتي مبني من الحجر ،
ويبلغ ارتفاعه تسعة أمتار على الأقل ، تخترقه فتحات مربعة متباعدة . وتعلوه
المناريس التي صنعت من الطين المحروق المدور . وكان الباب الأكبر أعظم
الأماكن منعة ، إذ شيد ضمن سور الحصن على زاوية قائمة . ورغم عما أصيب به
قسمه العلوي من التخریب ، فإن أساسه بقي قائماً على حالته . فقد وضع عند الدخول
بابان كبيران مزدوجان ، وجسر مصنوع من الخشب يمتد فوق الخندق الجاف ،
ويؤلفان رواقاً ضيقاً طويلاً لا بد للقوة المهاجمة من المرور منه ، فتعرض لسيل من
سهام المدافعين الرابطين (١) .

(١) نشرت مجلة العالم التي كانت تصدر في لبنان في عددها  (الطبعة الثامنة) تقريراً
موضحاً بالرسم لأعمال بعثة التنقيب في بوهين ، ص ٢٠



(ش ٢) قطاع أفقي لمدينة السكاب القديمة وأسوارها وقلعتها

الحصون في أعقاب الأسرة الثانية عشرة

سنضيف فيما يلي تحصينات بلدين هما « أمبوس » في مصر القديمة التي نستنتج من تخطيطها أنها كانت أحدث من « سمحة » ثم « سيسبي » التي اندثرت الآن معالمها بالنوبة والتي وصلت إليها جيوش الأسرة الثالثة عشرة ، ومع ذلك فنحن لا نستطيع أن نستنتج من معالم هذين الحصنين المتباعدين الاتجاه الذي اتخذته عمارة الحصون بعد « سمحة » .

أولا : « أمبوس »

بنت هذه المدينة للصغيرة فوق بقعة نائية مرتفعة تقع على الشاطئ الأيمن لنهر النيل وتبعد قليلا عن « أسوان » . ومن وصفها الوحيد الذي لدينا نعرف أنها كانت مربعة الأضلاع يبلغ طولها ٢٠٠ متر وعرضها ١٥٠ مترا ، وفي التواء الجنوبي من البناء بابان يبعد أحدهما عن الآخر خمسين مترا ، وكلاهما له فتحات في الوسط كما هو الحال في طيبة وتانيس وندره ويختلفان عن بعضهما في الاتساع إذ يبلغ اتساع أحدهما مترين بينما يبلغ اتساع الآخر ثلاثة أمتار ونصف متر . ومن العجيب أن سمك الجدران عند هذه الأبواب ليس واحدا حيث نراه عند الباب الغربي الكبير أحد عشر مترا بينما كان عند الباب الصغير سبعة أمتار ونصف متر فقط ، دليل ذلك يرجع إلى أن البابين لم يشيدا في وقت واحد وإنه في الفترة التي تخللت بناءهما طرأت على الحصن تغيرات ذات بال ، والدليل على ذلك أن العلامة الأثرية شمبليون لا يحدثنا إلا عن باب واحد يرجح أنه بنى في عهد الأسرة الثامنة عشرة .

وتخطيط الجانب الشرقي من الحصن قبالة النهر يستحق الملاحظة . إذ تقوم في الزاويتين الشمالية والجنوبية أبراج يبعد كل منها عن الآخر خمسة عشر مترا يظهر أنها شيدت لحماية الأبنية الرئيسية ، ففي الناحية الشمالية كانت تلك الأبراج

محمى على الأقل نصف الجدار الشمالى بينما كان الأساس فى تشييد الأبراج بالناحية الجنوبية الشرقية حماية الجانب الشرقى الذى يوجد بمنصفه برج آخر أقيم للدفاع عن الجانبين الأيمن والأيسر بالحصن الرئيسى .

ولارىب أننا نجد أنفسنا هنا أمام طراز جديد من التحصينات الجانبية ، فليست هناك جدار خارجية أكثر من التى ذكرناها وليست هناك أبنية منعزلة ناتئة من البناء الرئيسى من ذلك النوع الذى كان يعرض المدافعين للأعداء ويحرمهم حرية العمل ، بل كان الدفاع عن خارج الحصن والاشراف عليه يجرى كله من الداخل .

وتعتبر « أمبوس » المثل الوحيد للتحصينات المصرية ذوات الأبراج ، وهى مع ذلك أولية جدا فى طرازها العمارى . فان البرجين الشيديين فى الزاويتين الشمالية والجنوبية لا يسيطران على الأجناب المتصلة بهما إلا من ناحية واحدة فقط ، كما أننا لانجد تحصينات جانبية لواجهتين من واجهات الحصن الأربع ، ومن المحتمل ان يكون ذلك الطراز من البناء محاولة لتنفيذ فكرة معمارية جديدة .

ويكاد يكون من المؤكد أن حصون « أمبوس » ليست أقدم من حصون « كوبان » و « سمنة » لأن فكرة بناء الأبراج أكثر تعقيدا من فكرة إقامة الدعامات التى اتبعت فى الحصنين الأخيرين . ولارىب أن تشييد حصن « أمبوس » قد تم فى عهد الأسرة الثالثة عشرة ، ومن المحتمل أن يكون نظام إقامة الأبراج والأبنية البارزة كوسيلة دفاعية قد ظهر فى فترة النهضة المصرية التى عمت فى ذلك العهد .

وإذا فرضنا أن تحصينات « أمبوس » قد شيدت بعد الأسرة الثالثة عشرة فلا شك أن طرازها يكون تقديما ملموسا طرأ على الطرز التى اتبعت فى « سمنة » على أننا نلاحظ عدم وجود تحصينات ذوات أبراج فيما عدا « أمبوس » بينما نجد بعد الأسرة الثانية عشرة مثلا واحدا على الأقل للتحصينات ذات الدعامات الجانبية المشيدة على طريقة « سمنة »

ثانيا : « سيسبي »

لا تبعد أطلال سيسبي كثيرا عن قرية سيسبي الواقعة بين كل من تومبوس و صولب والتي يحدثنا عنها ليبسيوس فيقول : « انها مرتفع تقوم فوقه أطلال حصن قديم وتبدو لنا على الهضبة عدة قلاع شبيهة بحصن سيسبي هذا تقع كلها في جوار النهر ، وتدل على أن هذه المنطقة كانت مأهولة بعدد كبير من السكان المحاربين الذين اندثرت معالمهم الآن . وتقوم هذه الأطلال جميعا في منطقة تسمى سيسبي تبعد مسيرة ساعة كاملة عن « سيسبي »

كان بهذا المكان معبد قديم لم يبق منه الى الآن سوى أربع عمد كانت رؤوسها على شكل سعف النخيل ، والمعبد يحمل اسم الملك سبتى الأول ويكاد يكون أبعد أثر تركه هذا الفرعون نحو الجنوب .

ويمكن أن نرى في محيط بقايا هذا المعبد وفوق الهضبة التي أنشئت من أجله أطلال مدينة لا تزال بقايا حصونها ظاهرة إلى الآن . ولعل هذا يبدو غريبا ولكن لا تلبث دهشتنا أن تزول إذا تصورنا هذه المدينة الكبيرة وقد احتضنت في وسطها ذلك المعبد .

أما جدران الحصن التي يتراوح سمكها بين أربعة وخمسة أمتار فقد قويت بواسطة دعائم أقيمت على طول المحيط ، وثبتت في الجانب الغربي من الحصن له مسافات منتظمة متساوية . ويتراوح طول هذه الدعامات بين أربعة وخمسة أمتار بينما يبلغ سمكها أربعة أمتار كما ذكرنا آنفا . وتقدر المسافة بين محاورها بستة عشر مترا تقريبا وهي مسافة لا بأس بها إذا روعي في الأمر قصر تلك الدعامات ، أما زوايا الحصن فلم تشيد عندها دعائم .

و خلاصة القول أن تلك الأبنية البارزة اصغر هنا منها في «مخنة» ولكن وضعها هادى وطبيعى والمسافات التي تفصل بينها معقولة كافية . ونحن نلاحظ — دون شك في سيسبي طريقة جديدة لاستعمال الدعامات ادخل عليها كثير من التهذيب .

وبقايا الحصن في حالة سيئة بوجه عام بحيث لا يمكننا أن نعرف منها مواضع
بوابات ذلك الحصن ، على أنه من الممكن أن نشاهد في الجانب الشرقي مدخلا كبيرا
يتراوح اتساعه بين ثمانية وعشرة أمتار ويقع هذا المدخل على محور بناء المعبد
نفسه ، وكان يحيط به برجان قويان .

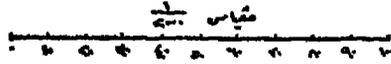
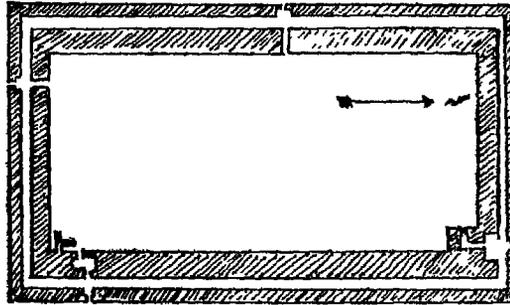
حصون أخرى :

إذا تتبع الإنسان الترتيب الطبيعي لحوادث الغزو فإنه لا شك يضع باقي حصون
سيسي حول فترة الحكم التي تولى فيها ملوك الأسرة الثالثة عشرة شئون البلاد ،
إذ لا ريب أن المصريين في ذلك الوقت حصنوا مداخل الشلال الثالث ... على أنه
من الصعب جداً أن نميز بين حصون الأسرة الثالثة عشرة وحصون الأسرة الثامنة
عشرة لأن مجموعة تحصينات سيسي تقع في حقيقة الأمر بين حصنين اثنين يرجعان إلى
عهد تلك الأسرة الأخيرة ، بنى أولها أيام تحتمس الأول لحماية القناة الصالحة للملاحة
في النيل بالقرب من الشلال الثالث وكان يقع بين جزيرتي ثومبوس وأبادين . أما
الحصن الثاني فقد شيد بعيداً عن سيسي في مكان يقال له الآن صوليب (Soleb) وقد
شيده أمنحتب الثالث ، وكان على جانب عظيم من الأهمية إذ يحمي مجرى النيل حتى
المناء دنقلة .

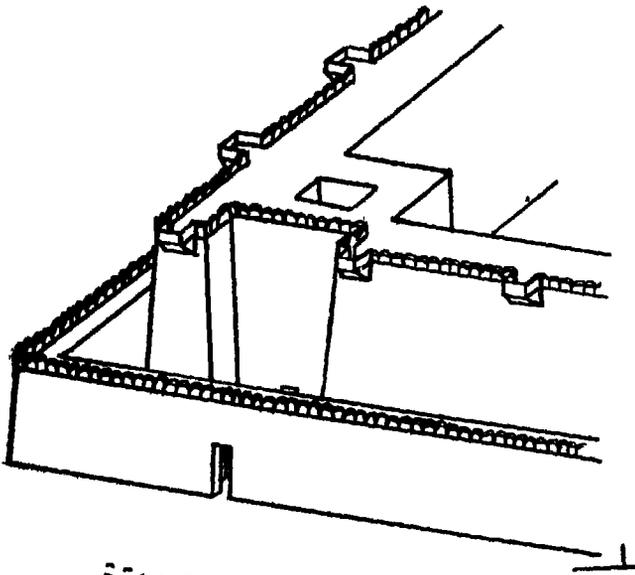
ونستطيع أن نستنتج من ذلك أن سيطرة المصريين على منطقة الشلال الثالث في
عهد الأسرة الثالثة عشرة لم تكن قد استتبت بعد ، وقد لعبت كل من صوليب
وثومبوس في ذلك العهد نفس الدور الذي لعبته بمنة في الإمبراطورية القديمة .
ومهما يكن من أمر ، فالثابت أن النفوذ المصري وصل في عهد تحتمس الأول
إلى منطقة التقاء النيل الأبيض بالنيل الأزرق وأنه امتد في عهد أمنحتب الثالث مع
وادي النيل حتى بلاد النوبة جنوبي تاكارزي . فأمنحتب الثالث إذاً هو المؤسس
الحقيقي لبناتنا عند جبل بركال ، تلك المدينة التي أصبحت فيما بعد عاصمة لايبويا .

ويلوح لنا أن مجهودات ملوك الأسرة التاسعة عشرة كانت ضئيلة في ذلك الاتجاه
الجنوبي وأن كنا نعلم أن معبد سيسي قد بناه سيتي الأول . ومن المحتمل أن يكون

شونة الزيب ما يكون
فاخره مارييت



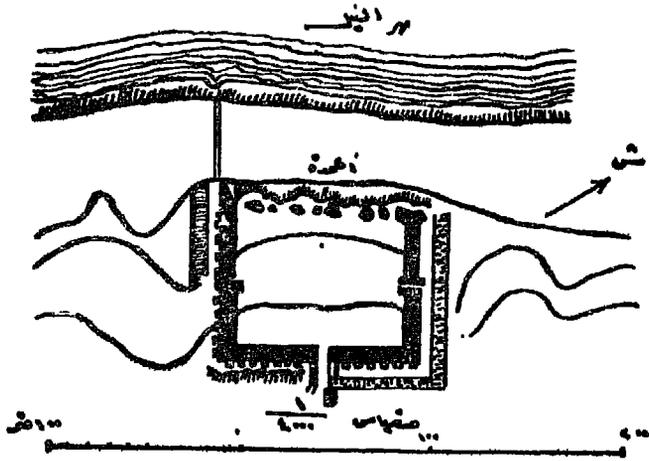
شونة الزيب



يستخدم منظمه المزارية ليشالية الشرقية

(ش ٣) تفصيلات معمارية لقلمة شونة الزيب

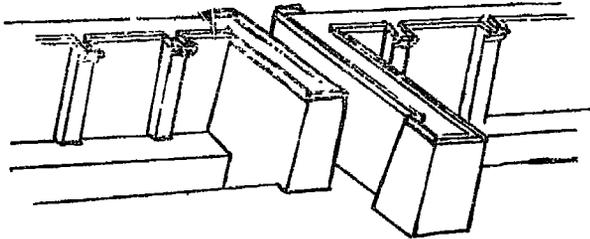
کوبان
 ماخذ: عمده لیبیرسون



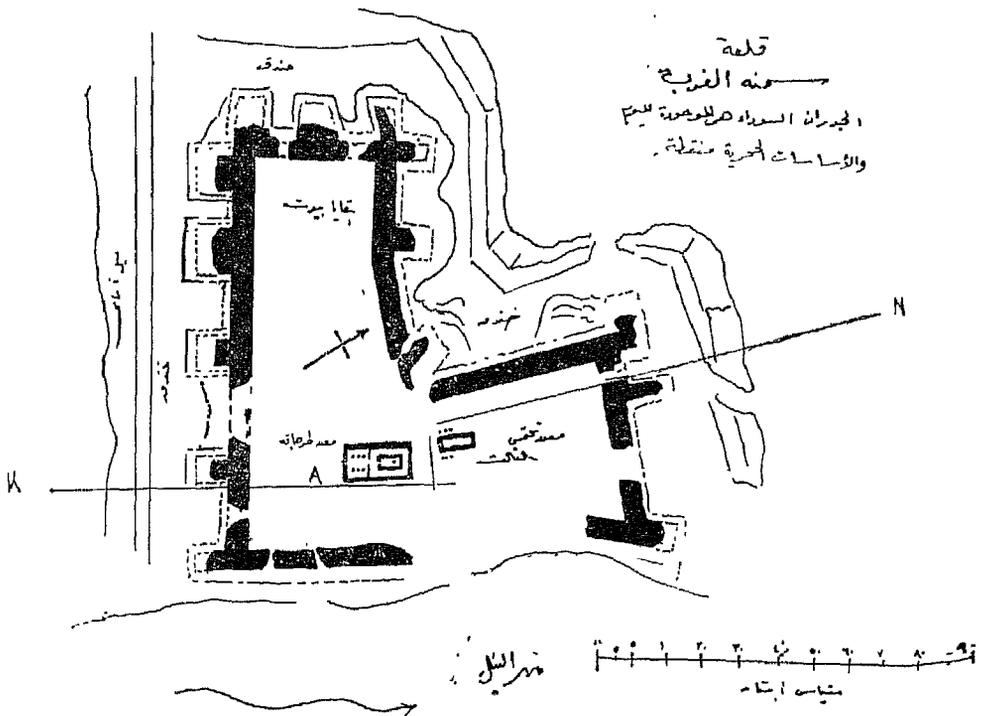
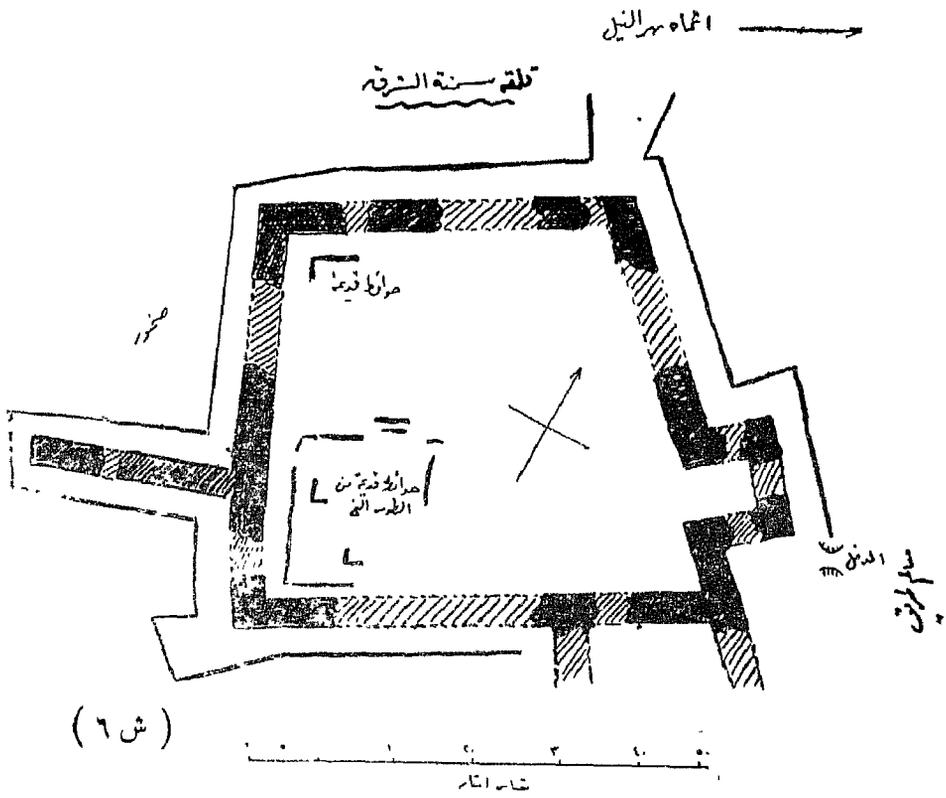
الجزء الكروي

(ش ٤)

مستطير في قبة
 كوبيه



(ش ٥) تفصيلات معمارية لقبة كوبان (فوق وتحت)



(ش ٧) تخطيطان لقلعة منة الشرق ومنة الغرب (فوق وتحت
مريم زخون متر ورومحه وبن
ديسمبر ١٨٩٨

هو نفسه الذى بنى الحصن أيضا . ولاريب أن ذلك الملك قد شيد حصونا أخرى حول الأبار الممتدة على طول طريق كوبان ، وأقام مراكز محصنة فى الوديان الحجرية الواصلة إلى مناجم الذهب ، وكانت تلك المراكز عبارة عن حصون مربعة مشيدة من الأحجار وليست من اللبن .

وانشغلت مصر بحروب مستمرة على حدودها الشمالية فى عهد كل من رمسيس الثانى ورمسيس الثالث ، ولذلك لم يجد هؤلاء الفراغنة من وقتهم متسعا لتشييد الحصون عند حدودهم الجنوبية ، والحق أنهم لم يكونوا فى حاجة إلى ذلك فإن المملكة المصرية التى امتدت أراضيها وقتئذ من الخرطوم إلى البحر الأبيض المتوسط أى ما يقرب من ٢٦٠٠ كيلومتر كانت قد توطدت أركانها تماما .

وقد أدى تأسيس مملكة إثيوبيا المستقلة بعد قرنين أو ثلاثة قرون من عهد رمسيس الثالث إلى تفكير تلك المملكة تفكيرا سريعا فى غزو أقاليم أفريقيا الاستوائية ، وكانت مصر عندئذ قد فتحت أبوابها للمهاجرين الاغريق الذين نزحوا إلى أقاليم البحر الأبيض المتوسط .

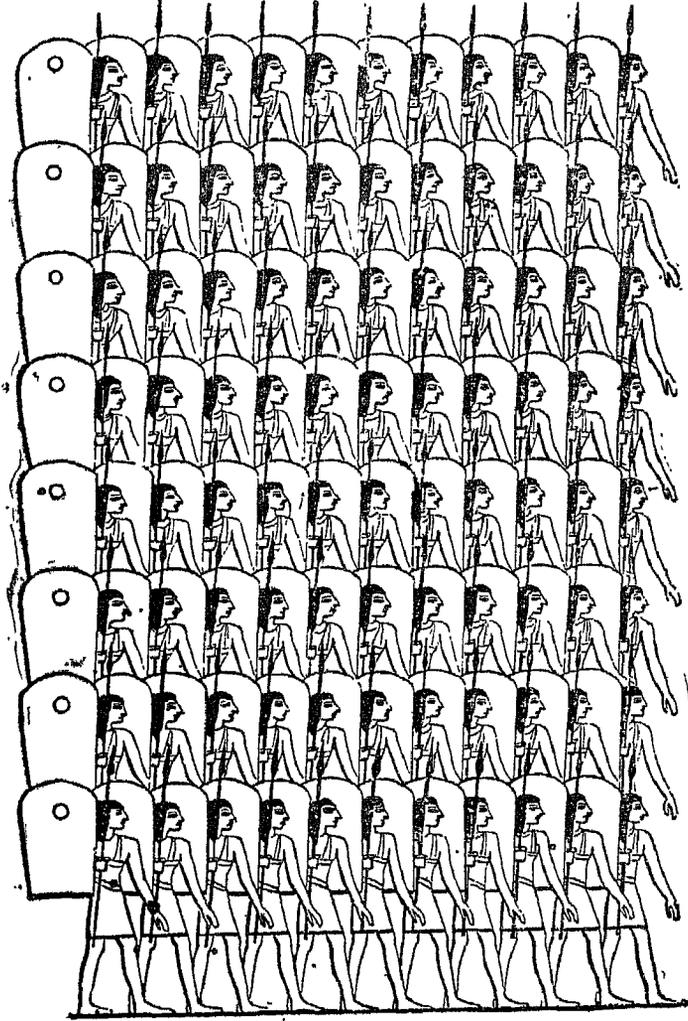
ولسنا على علم يقين بمدى اتساع مملكة إثيوبيا فى إقليم البحيرات الاستوائية آنذء على أننا لا نشك فى أن تقدمها قد أوقفته تلك الحصون التى شيدها المصريون بتلك الجهات ، والتى ربما يعثر عليها فى يوم من الأيام ، إذا لم تسكن مياه النيل قد غمرتها

تطور عمارة الحصون

وكان من نتائج حروب مصر فى آسيا ، أن اقتبس مهندسوه بعض التأثيرات المعمارية الخاصة بمباني حصون سورية وجنوبى آسيا الصغرى ، واستعملوها فى الحصون المصرية .

ونرى ذلك فيما شيده ملوك الأسرة التاسعة عشرة من الحصون فى شرق الدلتا وتألف منها شبكة دفاعية على الأسلوب الكنعانى ، ولم يقصروا بناءها على الأجر

بل كسوها بالحجارة ، كما فعلوا في أسوار هليوبوليس القديمة ومنف . وقد ضاعت معالم تلك الحصون ... وأتينا لنلاحظ أثر العمارة الآسيوية واضحا في مباني المعبد العظيم الذي شيده رمسيس الثالث ، المعروف باسم مدينة هابو الذي بلغت فيه العمارة العسكرية المصرية أوج كما لها .



جنود الجيش المصري في عهد الفراعنة .

(ش ٩) حملة الدروع والرمح

صناعة الأسلحة في مصر القديمة

قبل أن نتكلم عن صناعة الأسلحة في مصر القديمة ، جدير بنا أن نوضح أهم المعادن التي كانت تصنع منها تلك الأسلحة ، كالسيف والمدينة ، والخنجر ، والرمح ، وبعض أجزاء العجلة الحربية .

اتفق معظم علماء الآثار على إطلاق أسماء أهم المعادن المعروفة على العصور التاريخية البارزة منذ القدم ، وأهمها :

- ١ — عصر النحاس ويمتد بين ح ٤٠٠٠ ق . م ، وح ٢٠٠٠ ق . م .
- ٢ — عصر البرونز ويمتد بين ح ٢٠٠٠ ق . م ، وح ١١٥٠ ق . م .
- ٣ — عصر الحديد ويمتد بين ح ١١٥٠ ق . م ، إلى عصر الصلب .

مرت الحضارات القديمة في الشرق الوسيط ، وهي حضارات الأشوريين والمصريين والفينيقيين والحثيين خلال تلك العصور ، وكان انتقال أحداها من عصر معدني إلى آخر يلاحقه تطور حضاري كبير ، وكان له أكبر الأثر في تطور شامل بعيد المدى .

وكان استغلال مناجم النحاس في سيناء منذ الأسرات المصرية القديمة الأولى من أهم ما اتسمت به حضارة قدماء المصريين ، كذلك استغلت مناجم الذهب في صحراء مصر الشرقية . وقد كان لإنتاج هذين المعدنين النحاس والذهب تحت الإشراف الحكومي مزايا اقتصادية لا تقدر . ذلك لأن النحاس كان منذ بدء الحضارات المعدن الرئيسي للمعاملة بين دول العالم القديم ، حتى حل البرونز مكانه . فلا غرو إذن ، أن يكون لمصر السيادة في شرقي البحر الأبيض المتوسطز منا طويلا إمتد على الأقل إلى القرن الثالث عشر ق . م .

وقد أكد العلامة لوكاس للمصريولوجي ، أن عصر البرونز بدأ في آسيا الغربية قبل مصر لاقتارها إلى القصدير (١) حتى استمدته . وأثبت رأيه بما عثر عليه من الأدوات الكثيرة المصنوعة من البرونز في المقبرة الملكية في حفريات « أور » التي يرجع تاريخها إلى ما بين عامي ٣٥٠٠ ، ٣٢٠٠ ق م ثم استقر عصر البرونز (٢) في مصر أجيالا طويلة ، لا تقل عن ١٣ قرنا إلى أن تلاء عصر الحديد .

ولما توصل الحثيون إلى طرق استغلال الحديد ، وعرفوا أساليب صناعته ، بدأت مصر تفقد مكاتها ، لجهل المصريين — الطرق الفنية لصناعة الحديد حينذاك ومن ثم تضاءلت أهمية النحاس ، ومن بعده البرونز ، بعد أن تفوقت مصر في صناعتها أجيالا طويلة ، ويشهد بذلك ما عثر عليه رجال الآثار من الأدوات والأسلحة في مقابر قدماء المصريين .

وعلى ذكر ما وجد من التحف في مقبرة توت — عنخ — آمون (١٣٥٨ ق م) فقد عثر على خنجر جميل النصل صنع من الحديد ، ووجدت أيضا تعويذتان صغيرتان من الحديد ، صنعا في أسلوب فني مصري . وقد أثار وجود تلك الأشياء الحديدية في تلك الحقبة عدة أسئلة . لأن الحديد المصنوع كان يعتبر شيئا جديدا في العالم في عام ١٣٥٣ ق م . ويتفق معظم رجال الآثار على أن الحديد الذي صنعت منه تلك الأشياء ، وصل من بلاد الحثيين (آسيا الصغرى) ، على سبيل التبادل أو الإهداء إلى فرعون مصر .

(١) كانت أم مصادر القصدير في آسيا الغربية بالقرب من بيلوس في لبنان ، ولكن عندما انتهى استغلاله ، بدأت مقادير كبيرة منه تصل الى شرق البحر المتوسط من غرب أوروبا (كيريتانيا وأسبانيا) .

(٢) البرونز خليط من النحاس والقصدير بنسبة تختلف من ١٦ر٣ ٪ من الاخير ، وله عدة خصائص يمتاز بها على النحاس ، من أهمها أنه يمكن طرقة « على البارد » .

والمعروف أن من أهم ما وصل إلينا من الأدوات المصنوعة من الحديد في مصر يرجع إلى الفترة التي تتوسط عامي ٨٠٠ و ٧٠٠ ق. م. وهي في مجموعها الضئيل أشياء تنسب إلى الفترة اليونانية المصرية ، وقد عثر على كثير منها في حفريات نيوكراتيس في شمال غربى الدلتا (حيث كانت المستوطنات اليونانية) ، ولكن لا يعلم مصدر المعدن — أى الحديد ، هل جاءت الخامة من الصحراء الشرقية أو من صحراء أسوان ، أو غيرها .

ولقد عرف الحديد في مصر القديمة باسم «خامة السماء» (Ore of Heavens) ولكن لم تعرف أساليب صهره ، واستخلاصه لصناعة الأدوات والأسلحة قبل الأسرة الخامسة والعشرين . وليس هناك في المتحف المصرى أدوات صنعت من الحديد ، يمكن نسبتها إلى ما قبل تلك الأسرة ، فقد كان استخدامه نادرا جدا ، وقد استمد في معظم الأحيان من النيازك أو الشهب التي تهبط سطح الأرض من السماء (١) وقد جمع العالم وينرايت — الأشياء الحديدية التي عثر عليها في مصر في ألبي عام من تاريخها القديم ، وهي :

١ — الأسرة الرابعة : قطعة من الحديد عثر عليها في الهرم الكبير .

٢ — الأسرة الخامسة : قطع كثيرة من الأزاميل وغيرها عثر عليها في سقارة .

٣ — الأسرة السادسة : قطع كثيرة لمعول (أزمة عثر عليها في بوسير) وكومة من قطع الأدوات المخطمة في دهشور ، وحفنة من صدا الحديد يحتمل أنه عثر عليها في أيديوس .

٤ — الأسرة الثانية عشرة : رأس رمح من النوبة .

٥ — الأسرة السابعة عشرة : أزميل محطم وكعب عصا بالقرب من أسنا .

(١) الفصل الذى كتبه ر . انجلباك عن المواد والمعاملات الميكانيكية والفنية عند قدماء المصريين في كتاب : Legacy of Egypt, P. 135. Oxford

وتلك مجموعة متواضعة ، وبعضها يشك في أصلها . (١)

يتضح من هذا كله ، أن مصر كانت تعيش في عصرها البرونزي ، بينما كان غيرها في بلدان غرب آسيا ، قد انتقل إلى العصر الحديدي . وليس هذا فحسب ، بل أنها ، بالرغم مما كانت عليه من السيادة في أثناء الأمبراطورية الثانية (الرعامسة) لم تكن تستخدم الحديد بعد . ومعنى ذلك أيضا أنها حاربت أعداءها في أعظم عصورها بالأسلحة البرونزية .

لما عرف الحثيون — صناعة الحديد بعد ما عثروا عليه في بلادهم بآسيا الصغرى ، أدركت أمبراطورية آشور (بلاد ما بين النهرين) حاجتها إليه لكي تصنع منه السلاح لجيشها ، ولتستخدمه في صناعة العجلات الحربية والمحارث والفئوس . فلم يكن بد من استخدام القوة لتحرير طرق للتاجر وفتح للنافذ إلى الجبال الغنية بالمدن . ولذلك أستدركت موقفها بسرعة لكي لا تقلت منها الفرصة ، ويقوى منافسوها عليها . ومن هنا بدأت تعمل في سبيل الحصول على الحديد من بلاد الحثيين بجميع الوسائل . ذلك لكي تهزم بأسلحتها الحديدية أعداءها الذين كانوا لم يخرجوا بعد من عصر البرونز .. وهكذا عرف الآشوريون والحثيون من قبلهم كيف يفاجئون أعداءهم بالأسلحة الحديدية . ومن هنا أيضا جاء التفوق والغلبة ، وانقلاب كفة الميزان الدولية في الشرق الوسيط . وقد تحدث المؤرخون كثيرا عن حروب الآشوريين ، واصطداماتهم المتعاقبة ضد سكان سورية وفلسطين . ومصر .

(١) Wainright G.A. The Coming of Iron. Antiquity. p, 5,24 March 1936.

أهتدى في نصوص الآداب المصرية القديمة إلى مدى استخدام الحديد ، ففي ملحمة الكاتب بتشاءور التي سجلت فيها إنتصارات رمسيس الثاني في سورية ، ذكر الحديد « ثلاث مرات » وفي قصيدة أخرى ذكر ناظمها أن سيف منفتح الثاني لم يعرف له مستقراً للراحة ، كما أنه أشير كثيراً إلى الأواني الحديدية . وتقابلنا بعد الأسرة الثانية عشرة نصوص كثيرة ورد فيها ذكر الحديد وذلك بعدما أصبحت علاقة الحثيين بالمصريين ودية .

وهكذا يتضح لنا أن صناعة الحديد في مصر ولا سيما في سلاحها ، جاءت متأخرة جدا ، ومن المحتمل أن يكون في ذلك بعض الأسباب التي أدت إلى أضمحلال شأنها في الزمن القديم ، ومن ثم تغلب الفرس عليها ، والأغريق ...

وننتقل بعد ذلك إلى صناعة العجلات الحربية في الدولة المصرية الحديثة ، ولا سيما على أيام أسرتي تحتمس ورمسيس .

فإن أيام الدولة الحديثة ، انتشرت صناعة العجلات الحربية ، وكانت هذه العجلات تصنع عادة من الخشب ، ولم تصنع إطارات معدنية للعجلات مطلقا ، ومع ذلك فقد استعانوا أحيانا بألواح معدنية في هيكل العجلة (العربة) التي كانت تتألف من عدد كبير من القطع الصغيرة . وكان يصنع محور العجلة بضم عدة أجزاء دائرية نشرت من الخشب السميك .

وهناك صناعة الأسلحة ، كالأقواس والسهام والنبال والعصى من كافة الأنواع والسيوف المستقيمة والمقوسة والخناجر والمدى ، فضلا عن الأدوات الموسيقية التي تستخدم في الجيش أو في القصور . ونشاهد اليوم نماذج كثيرة من أسلحة وعربات قدماء المصريين في متاحف الآثار .

أسلحة الجيش

تقسم أسلحة قدماء المصريين إلى قسمين : الأسلحة الهجومية والأسلحة الدفاعية فمن أسلحة القسم الأول : القوس والرمح والجريدة والمقلع والسيف القصير المستقيم ، والخنجر ، والمدي ، والسيف القصير المحذب والبلطة ذات اليد القصيرة وبلطة القتال والصولجان واللسان الذي يشبه العصى المعوجة كالتي يحملها المباشدة والآثيويون . ومن أسلحة القسم الثاني : الخوذة وواقية الرأس والدرع أو سترة الزرد المصنوعة من الصفايح المعدنية . ولم يعرف المصريون واقية الأرجل . وكانت أغطية الذراعين جزءا من الزرد تؤلف كما قصيرا يمتد إلى الكوع .

الدرع :

كانت الدرع أهم ما يدافع بها الجندي عن نفسه ، طولها لا يزيد عن نصف قامته: الجندي وكانت في الغالب ضعف عرضها . وفي أكثر الأحوال كانت تغطي بمجلد ثور والشعر الى الخارج وتقوى في بعض الأحيان بحافة أو بحافتين من المدن ، وترصع بالمسامير واللبايس المعدنية . أما الناحية الأخرى للدرع فكانت مبطنة بأغصان جافة مجذولة . ويحيط بحافتها اطار خشبي مغطى بالجلد على طريقة الدروع الرومانية والإغريقية .

وكانت الدرع المصرية ، مستديرة من أعلى ومربعة من أسفل تنفتح قليلا عند القمة ، وبالقرب من الجزء العلوى لسطح الدرع الخارجى كانت توجد تجويفه مستديرة ، وكان يثبت في السطح الداخلى للدرع «علاقة» لتعلق بها حول الرقبة وكانت هذه العلاقة تعمل أحيانا بكيفية يسهل معها ادخال الذراع فيها والقبض على الحربة وكانت للدرع أحيانا قبضة يسهل بها تحريك الدرع في أى اتجاه ، وكانت هذه القبضة تتركب إما تركيبا عموديا وإما تركيبا أفقيا على الدروع ، وقد شوهدت على جدران الآثار القديمة ماعدا مقابر بنى حسن نماذج أخرى من الدروع تختلف عما سبق وصفه وينبغ على الظن أن هذه كانت تستخدمها الجنود المستأجرة فقط .

وكانت لبعض الدروع المصرية مقاسات كبيرة غير مألوفة اختلفت في شكلها عن الدروع العادية فكانت محدبة من القمة على أسلوب العقود القوطية ، وذات حجم كبير يصعب استخدامها بسهولة لنقلها وقد شوهد هذا النوع من الدروع في مقبرة بعض حفائر أسبوط « لىسكو بوليس » ولاشك أنه كان من الأمسور الأولية التى تراعى في صناعة الدروع خفة موادها لسهولة حملها في السير الطويل وفي ميادين القتال .

القوس :

كانت القوس المصرية تشابه القوس الأوربية التى استعملت قبل عصر البارود. وكان الوتر يثبت إما في جزء بارز مصنوع من القرن في نهايتى القوس أو يثبت في

خدش أو حز في خشب القوس من نهايته على غير طريقة تثبيت الوتر عند الأثيوبيين الذين كانوا يثبتونه في خابورين بطرفي رأس القوس المستديرين .

كانت القوس المصرية قطعة اسطوانية من الخشب طولها خمسة أقدام أو أكثر بنصف قدم وهي إما مستقيمة مدية الطرفين أو مقفرة الوسط عندما لا تكون مشدودة ، وفي بعض الأحيان كانت تلتصق بها قطعتان من الجلد فوق منتصفها بقليل وتحتها وإذا أريد تثبيت الوتر ركزت نهاية القوس في الأرض وضغطت الركبة على الجانب الداخلي من القوس بينما تجذب اليد اليسرى القوس الى الداخل وتدخل اليد الأخرى الوتر في الجزء العلوي للقوس ، وفي أثناء الرماية كان الجندى يضع واقية من الجلد على ذراعه اليسرى لكي لا تصاب بالوتر عند ارتداده أو كانت تلف أيضا حول المعصم ، ويسحب الوتر بجذبه بشدة نحو الجسم بواسطة الأصبعين السبابة والأبهام وتفرد اليد اليسرى الى نهايتها ويصوب السهم نحو الهدف وكان الوتر المصري يصنع من الجلد أو القماش السكتاني أو القنب أو أمعاء الهررة بمد تجفيفها واختلفت الأسهم طولاً من ٢٢ الى ٣٤ بوصة بعضها صنع من الخشب والبعض من القصب ، وفي غالب الأحيان كانت مغطاة برأس معدنية تحف بها من كلا جانبيها ثلاث رياض مفراة وموزعة بالتساوي واستبدلت أحيانا الرأس المعدنية بقطعة مدية من الخشب القوى .

وكان يحمل القواس جعبة مستطيلة قطرها أربع بوصات ، تسع عددا وافرأ من الأسهم يثبتها الجندى في حزامه المار فوق صدره الى الجانب المقابل ، وكان المصريون في أثناء السير يضعون جعبة السهام هذا الوضع وكان للجعبة غطاء مزخرف عليه رأس أسد إذا كان صاحبها من كبار القواد ، وكان الغطاء يثبت في العلبة بواسطة عروة من الجلد لكي لا يفقد عند فتح الجعبة أثناء الاقتتال ، وكان للقوس جعبة تحميها من الشمس والرطوبة وتحفظ لها مرونتها ، وكان لهذه العلبة غطاء من الجلد الناعم مثبت بعناية في نهايتها العلوية وكانت تتركب دائماً في العربة الحربية ويقابلها في الجانب الآخر من العربة علبة كبيرة أخرى تحتوي على رمحين وعدد من السهام فضلا عن العلبة (الج) السابق ذكرها المثبتة حول وسط الجندى .

الرمح:

كان يصنع الرمح أو المنخس من الخشب بطول خمسة أقدام ، أو ستة ، ورأس معدنية يدخل إليها ساق الرمح ويثبت بالمسامير .

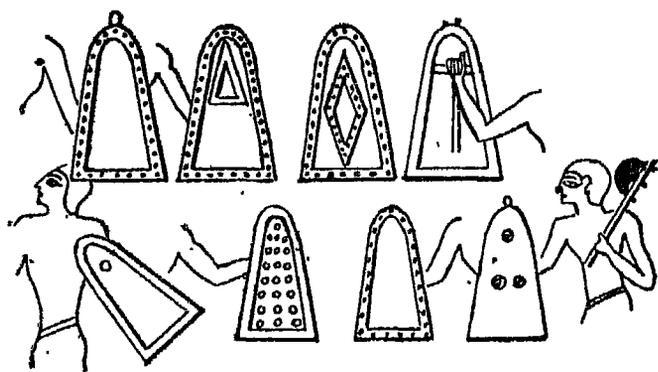
أما الجريدة (Javelin) فكانت أخف من الرمح وأقصر . وكانت تصنع من الخشب ورأسها مزدوجة من المعدن ذات شكل معين . فاما ان تسكون مفرطحة واما أن يزيد سمكها قليلا من الوسط أو مديية جدا من حرفها . وكان الطرف الاخير ينتهى بكرة ثقيلة من البرونز لتجميلها وتساعد على توازنها . وكانت تستعمل أحيانا مكان الحربة فتقبض عليها كلتا اليدين في حالة الاشتباك القريب .

المقلع:

صنع المقلع من عروة جلدية أو جبل مضفر عريض من الوسط له خية حلقة (خية) في أحد طرفيه تثبت به وتقبض بشدة باليد . أما الطرف الآخر فتنتهى بسوط . وعند استعمال المقلع كان يدار مرتين أو ثلاثا فوق الرأس لموازنته ولزيادة قوته الدافعه . وكانت ذخيرة المقلع الحصى الصغير والحجارة المديية أو المستديرة وكانت توضع في حقيبة صغيرة تعلق في حزام الوسط .

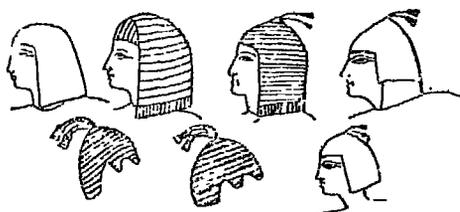
السيف:

كان السيف المصرى مستقيما وقصيرا يتباين طوله من قدمين ونصف قدم إلى ثلاث أقدام . له سن مزدوج ومدبب الطرف . وكان يحمل السيف ورأسه إلى أسفل ويستخدم كالحنجبر وكانت القبضة بسيطة الصنع منتصفها مجوف تزداد سمكا بالتدرج من مكان اتصالها بالنصل إلى نهايتها وكانت ترصع أحيانا بالأحجار الثمينة أو الأخشاب النفيسة أو المعادن وكان لسيف الملك رأس أو رأسان تصنعان على شكل صقر رمزا لمعبود رع أو الشمس . ويمكن أن تصنع الحنجبر مع السيف القصير لتشابههما تقريبا مع أن الأول كان أقصر من الثانى . وكانت بضعة الحنجبر كقبضة السيف مرصعة بالجواهر . وكان النصل من البرونز السميك من الوسط وله حز خفيف



تروس متنوعة — مقبرة بنى حسن

(ش ١٠)



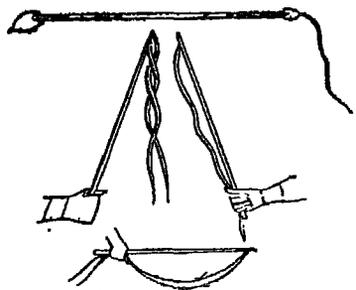
خوذات مختلفة — عليه



فازفو المقلع — طيبة وبنى حسن.

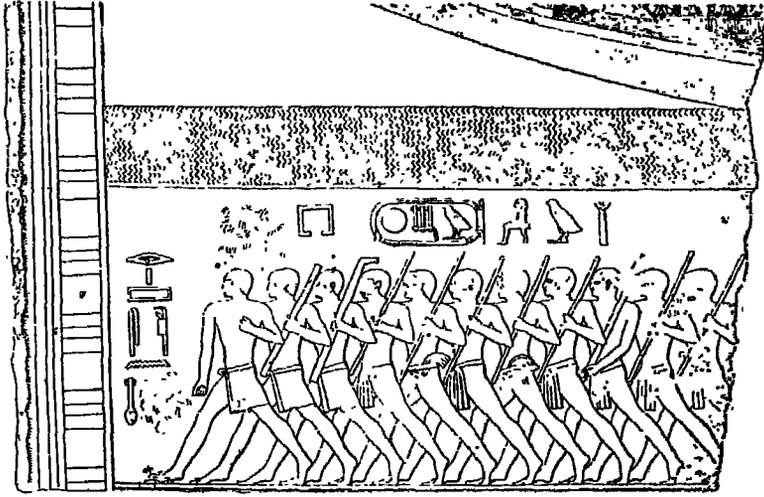


ضباط من حاشية الملك وجرسه — طية



سياط متنوعة — طية

(ش ١١)



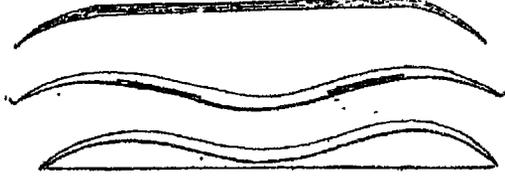
(ش ١٢) فصيلة من جنود الدولة القديمة يحملون العصى في أيديهم اليسرى



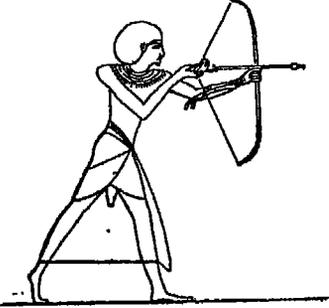
(ش ١٣) فصيلة جنود نظامية من حملة البلط والقسي — طيبة



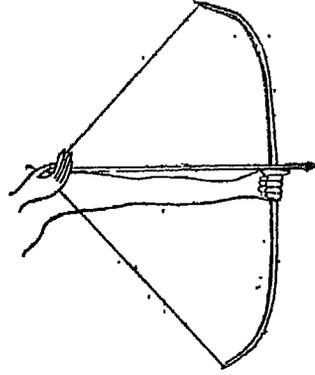
قوس مشر عليه بطيه - طولاه أقدام



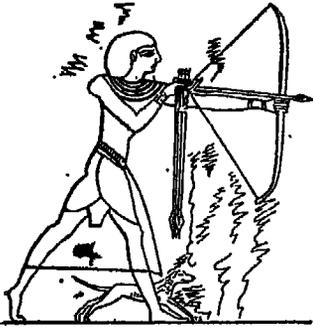
أقواس مصرية (طيه)



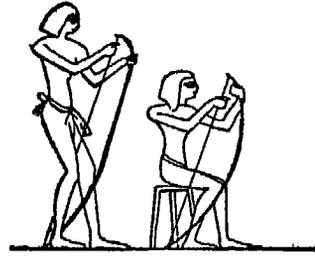
حابل القوس وقد لبس واقيه على رصفه (طيه)



رغ مصنوع من الغاب (طيه)



طريقة حمل الرماح الاحتياطية (طيه)

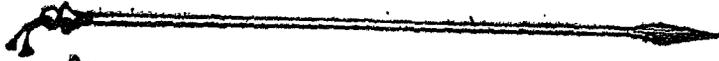


طريقة تثبيت الوتر في القوس
(طيه وبني حسن)

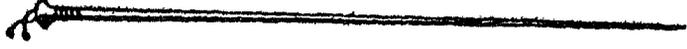
(ش ١٤) ستة أشكال تبين طرق استخدام القوس المصرية



(١)



(٢)



(٣)



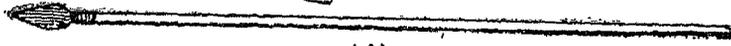
(٤)



عصا الترميئة

١ و ٢ و ٣ من طيبه و ٤ و ٥ من متحف برلين

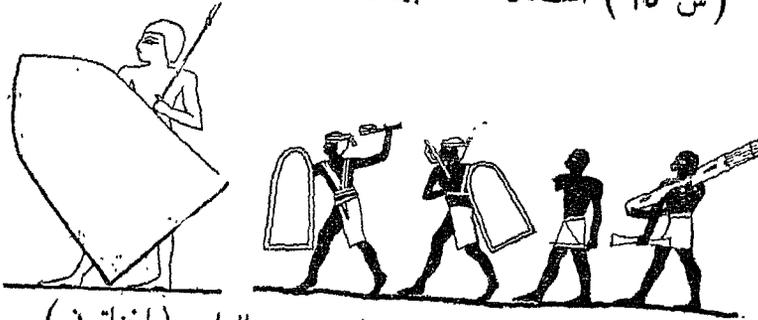
١ و ٤ رأس رخ و ٢ و ٣ نشاب



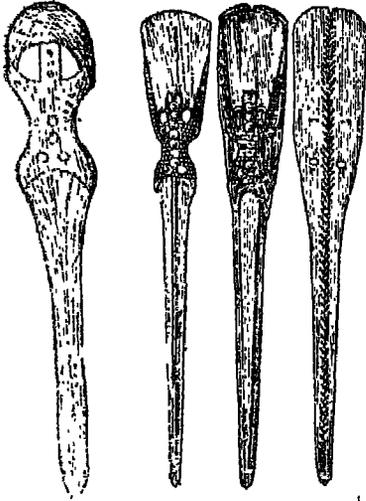
رءوس نشاب صغيرة

من طيبه

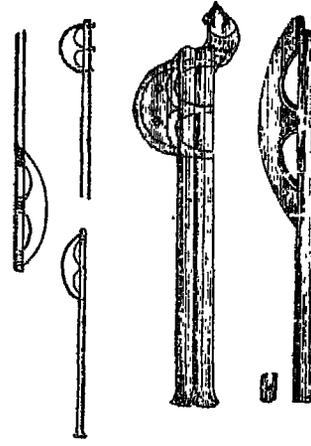
(ش ١٥) أشكال مختلفة تبين رءوس النشاب وعصى الترميئة



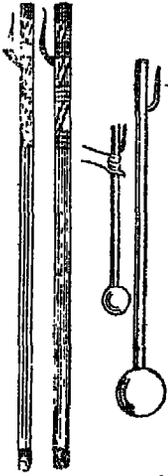
(ش ١٦) خمسة من جنود امنحوتب الرابع (اخناتون)



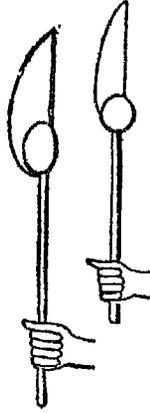
ظهر النمد، خنجر مغمدة، خنجر خارج غمده، خنجر
متخف برلين



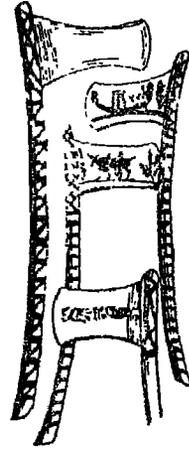
بلط القتال — طيبه، وبتى حسن



أنواع من الصولجانات
(طيبه)



بلط قتال ذات مقابض
خشبية — طيبه

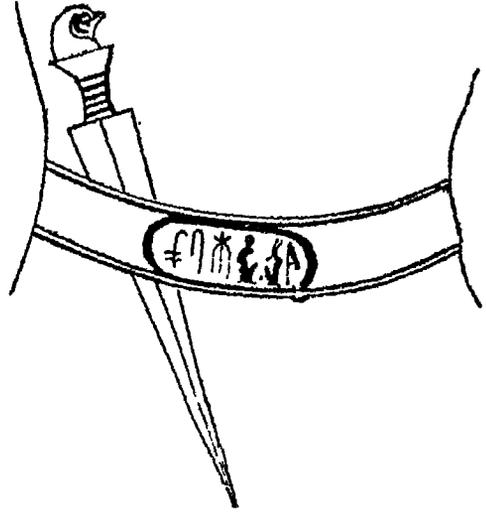


بلط وفذوس
طيبه وبجومة سولت

(ش ١٧) نماذج مختلفة تبين بلط القتال والخنجر والحناجر والصولجانات المصرية



طعن العدو بالخنجر



طريقة إيس الخنجر - طيبة

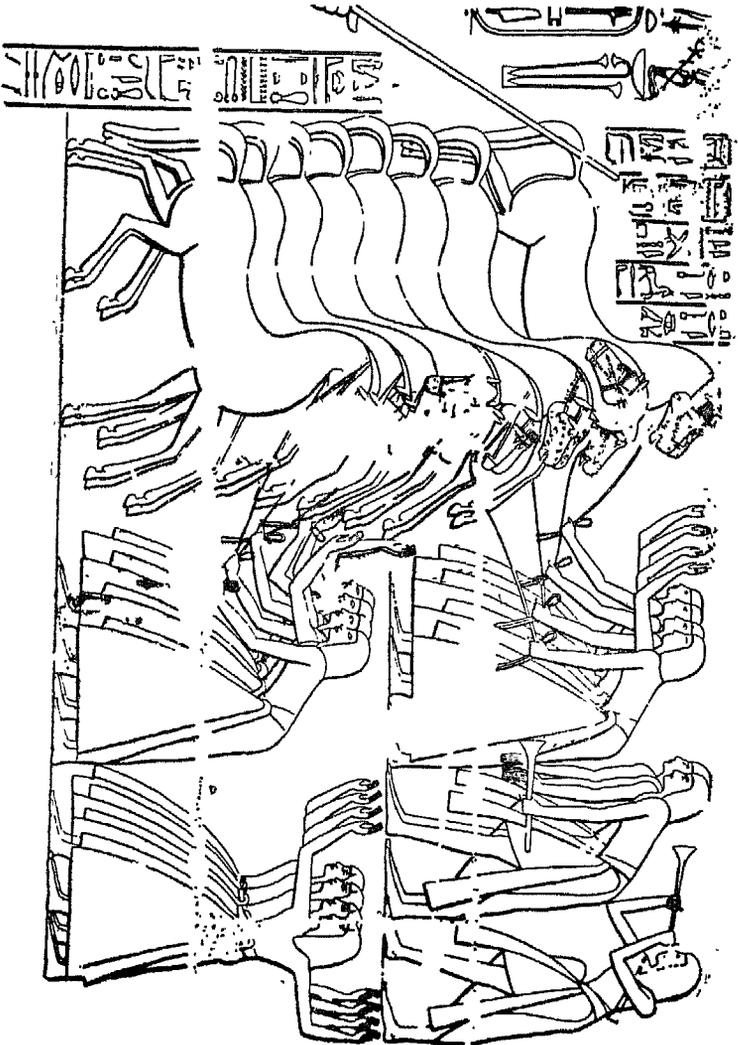


خنجران لهما غمدان - طيبة
(ش ١٨) خناجر مصرية وطريقة استخدامها



← (ش ١٩)

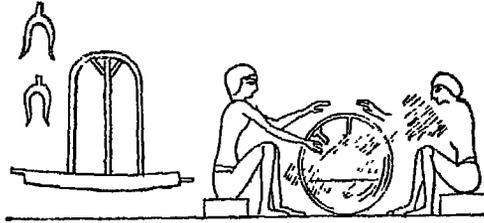
فارس مصرية قديم - مدخل معبد إيسنا



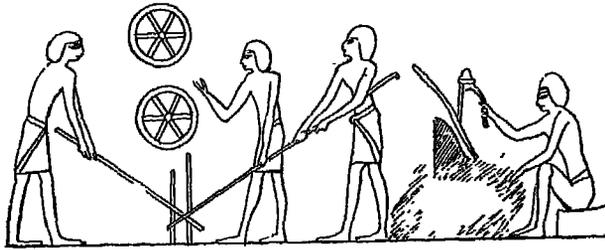
(ش ٢٠) منظر بين تدريب الجهاد وترويضها . كان لكل جواد سائق يحسك لجهامه يمد ويرت عليه بالآخرى
 كان التدريب يجري على صوت النقر لتمتاد الجهاد حسب القتال ، وولى الهين من أسفل بعض رجال البلاط يرففون
 أذرعهم تحية للملك عند قدومه لمعاهدة تدريب جياده . (مدينة هابو) .



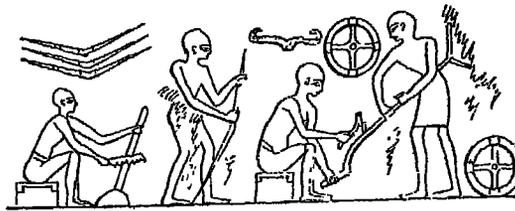
طريقة تجهيز الأجزاء الجلدية من عربات القتال - طيبة



طريقة تجهيز الأجزاء الخشبية من عربات القتال - طيبة

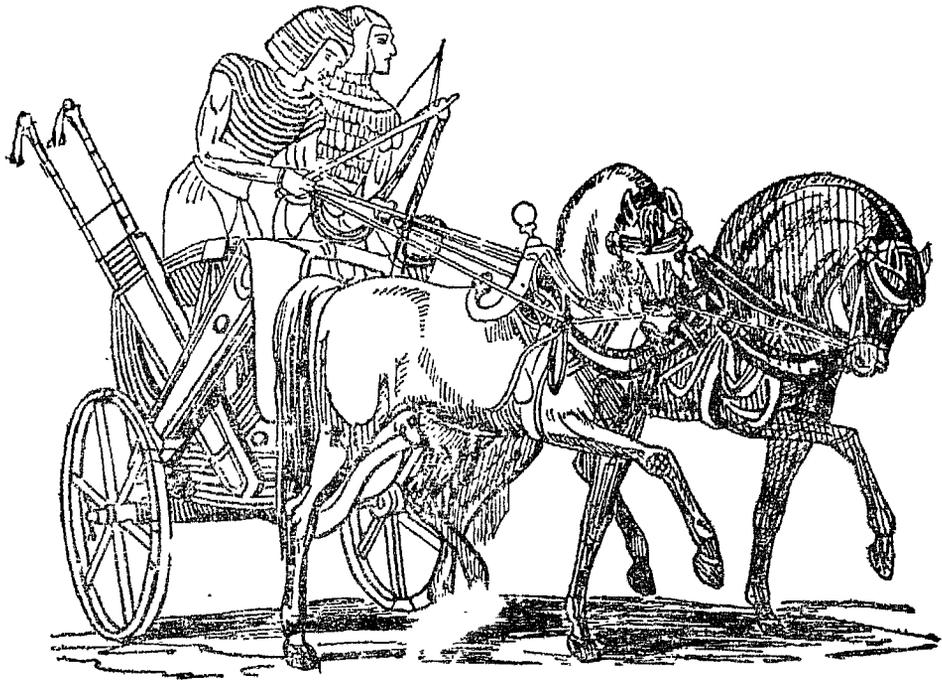


طريقة تجهيز عجل عربات القتال - طيبة



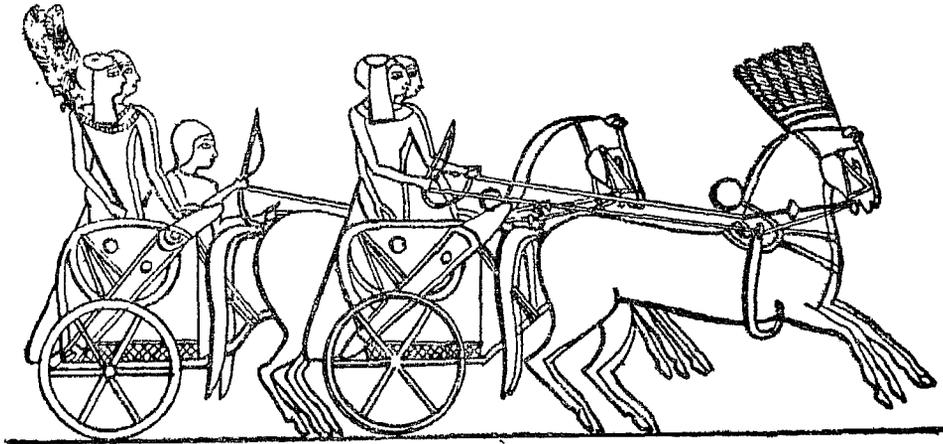
صناعة أجزاء عربات القتال - طبة

ش ٢١ مناظر مختلفة تبين طرق صناعة عربة القتال عند
قدامى المصريين - طيبة



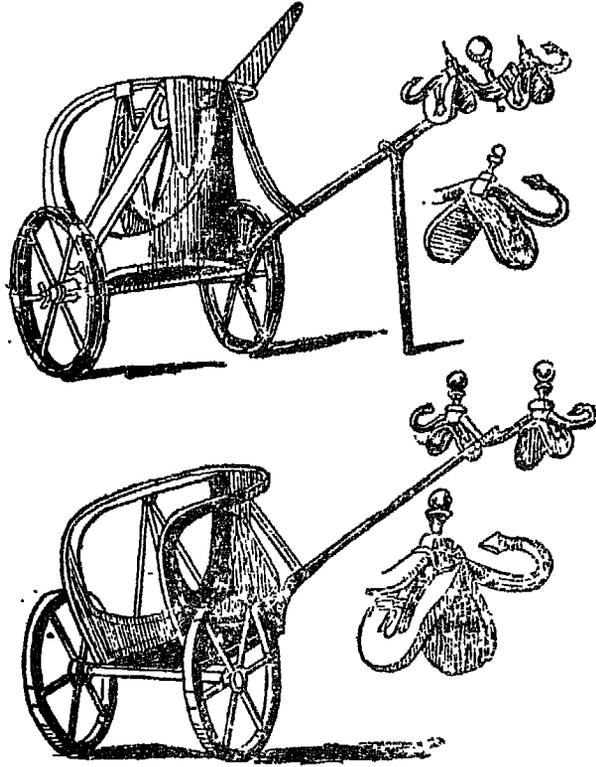
عربة قتال مصرية يجرها جوادان

(ش ٢٢)



أفراد البيت المسالك في عجلاتهم الحربية - طيبة

(ش ٢٣)



عربيات قتال وأطعم جياذ

(ش ٢٤) عربتان للقتال وقطع أطقم الخيل

يتمد بين طرفيه . وفي متحف برلين خنجر مصرى قديم بغمده عثر عليه الأثرى (باسالاكوا) فى احدى حفريات طيبة ، وهو يوضح صناعة الأسلحة عند قدماء المصريين .

المديية :

أما المديية فكانت أقصر من السيف ذات نصل واحد وقد استخدمت للقطع وكانت تحملها جنود الأسلحة الخفيفة والثقيلة على السواء .

السيف القصير : (Falchion)

وكان الضباط والجنود يحملون ضمن أسلحتهم سيفاً قصيراً، وفى كثير من النقوش يرى ملك مصر مشتبكاً مع العدو وهو يحمله ومعه البلطة ذات اليد القصيرة أو الثبوت (الصولجان) وكثيراً ما شوهد ضباط الجيش المصرى القديم وهم يحملون العصى الخفيفة كالتي يحملها ضباطنا اليوم . أما فى أثناء قيادتهم للجنود للاشتباك فكانت أسلحتهم كأسلحة الملك عندما يجارب على قدميه . وفى حرب العربات كانوا يسلحون بالقوس .

البلطة ذات اليد القصيرة :

وكانت البلطة صغيرة الحجم بسيطة الصناعة لا يزيد طولها على قدمين ونصف قدم لها نصل واحد . ولم تربلطة مصرية ذات نصلين كما كانت عند الرومان . وشكل هذه البلطة يشبه شكل البلطة التى يستعملها النجار المصرى ولم يكن القصد من حملها أن يستعملها الجنود كسلاح هام فى الاشتباك ، بل كانوا يهشمون بها أبواب المدن التى يهاجمونها أو يكسرون الأشجار التى يحتاجون إلى خشبها لمعداتهم . وكانت البلطة أقل جميع أسلحة القتال زخرفة وبمضها نقش على نصله صورة حيوان أو قارب أو رمز من الرموز الدينية ينتهى فى الغالب بقدم غزال . وكان الجندى خلال مسيره يحملها فى يده أو يعلقها على ظهره . ولم يظهر على النقوش الأثرية هل كان للبلطة غمداً أم لا . وكانت أيدى بعض البلطات قصيرة جداً لا تزيد قدماً عن طول النصل

وان كان طولها في الغالب يقرب من ثلاثة أقدام وكان شكل النصل في الغالب نصف دائري ، وقد تفنن الصناع في نقشه ورسمه .

الصولجان :

ومن أسلحة المصريين الصولجان الحشبي . وكان يحاط بأسلاك البرونز . طوله قدما ونصف قدم ، تشبك في احدى نهايته قطعة مثلثة من المعدن تسمى الحارس لتكسيم اليد فوقها حتى لا تقلت عفوا أثناء الضرب . له كرة معدنية تضرب بها الخوذات والدروع وكانت تسلح به الجنود المشاة أو جنود العربات الحربية الذين كانوا يحملون صولجانين معهم يعلقان على جانبي العربة . وكان للصولجان شأن كبير عند اشتباك فريقتي المعركة . فتظهر البسالة بأجلى مظهر لأن فرقة من الجنود الشجعان حملة القضبان يستطيعون إرباك العدو وتحطيم قواه بسرعة .

وكان لدى المصريين نوع آخر من الصوالجة منتظم السمك في طوله الكامل عريض في نهايته العليا وليست له كرة أو حارس . وكانت العصي المقوسة أو النبايت (اللسان) تستعملها جنود الأسلحة الخفيفة أو الثقيلة أو حملة الأقواس . وهذه العصي وإن كانت تظهر لأول وهلة كسلاح عديم الفائدة لسكن التجارب أثبتت أنها تفي بالغرض أثناء الالتحام ، وكانت قبائل البشاريين إلى عهد قريب تستعمل العصي بدلا من السيوف .

العربة الحربية :

كانت تسع العربة راكبين على مثال العربة الاغريقية وتسع أحيانا ثلاثة : السائق وقائدين . لكن كان ذلك نادرا ولم يشاهد إلا عندما كان الملك يصطحب أميرين في بعض الحفلات أحدهما يحمل الصولجان الملسكي أو الفلايلا والآخر يقود العربة ، وفي القتال كان كل ضابط يركب عربته ومعه سائقه وتعلق خلفه العلامة للميزة . له حزام عريض ، ويكون حرا في استعمال يديه للقوس والأسلحة الأخرى . وعندما يخرج للملك أو أحد الزعماء بقصد النزهة أو لزيارة صديق يستقل عربته وحده .

فيقودها بنفسه وأمامه تجرى السواس . فإذا وقفت العربية قبض هؤلاء على السروع ثم يأخذون جياد العربية الحرية لتسييرها بعيدا حتى عودة السيد . وكنت ترى دائماً في المعركة هؤلاء الاتباع على استعداد لآية إشارة . فإذا نزل قائد من عربته لقيادة جنوده فوق تل أو مرتفع لا تستطيع العربية تسلقه أو عند حصار مدينة محصنة أسرع هؤلاء الاتباع إلى الجياد وأخذوها إلى مكان أمين حتى عودة سيدهم ، أو تبعوه عن كئيب ، وفي الغالب كان يوجد فريق آخر يقود العربات في مؤخرة الجيش لاستبدال العربات للتقدمة عند حدوث مفاجئات أو عندما تضطره الأحوال العسكرية للتقهقر .

ويرى الملك في المشاهد العسكرية المنقوشة على جدران المعابد المصرية راكبا جواده وفي عربته وليس معه سائق . والسروع ملفوفة حول وسطه . ويرى كذلك وهو يحنى قوسه ضد الأعداء . ويحتمل أن الفنان المصرى تعمد عدم إظهار السائق بجانب الملك لاعتبارات فنية ولسكى يظهر الملك وحده واضحا على الآثار . واشتملت العربية الحربية على راكبين من درجة واحدة يشتركان معا في خطر القتال ومجده . فإذا كان سائق العربية الملازم للقائد لا يحمل رتبة عالية كان يعد تعيينه لهذا العمل فخرا وامتيازاً . وفي الغالب كان لا يعلأ هذه المناصب إلا أصحاب الأخلاق الحميدة والمنزلة الرفيعة والذين كانوا أهلا لاكتساب الشرف لملازمتهم أبناء الملوك والأمراء والقواد ، وكان أكثر الضباط المصريين ماهرين في قيادة عرباتهم الحربية لا يحتاجون إلى من يقود لهم عرباتهم ، وكانوا يعتبرون ذلك فخرا لهم ودليلا على مهارتهم في استعمال أسلحتهم في أثناء قيادتهم للعربة .

لم توضح الآثار عربات مصرية يجرها أكثر من جوادين وإن كان بعض أعداء المصريين استعملوا العربات التي تجرها أربعة جياد . وكان فيلق العربات المصرية كالمشاة مقسما إلى جنود خفيفة وثقيلة وكلاهما مسلح بالأقواس فالأول هو سلاح العربات الخفيفة فكان يستخدم لإزجاج العدو بمقذوفات الحجارة ولذلك كان يستلزم خفة الحركة أما الثانى وهو سلاح العربات الثقيلة فكان يستخدم لتفريق شمل الجماعات الكثيفة من مشاة الأعداء بعد أمطارهم بوابل من السهام الثقيلة .

أطقم جياد العربية الحربية :

كان يتكون طاقم رأس الجواد من خزام الأنف وقطعتين عموديتين من الجلد ينتهيان ، بوردة من الجلد ، ثبتت فيها قطع لتغطية الجبهة والرأس والاذنين وفوق الرأس على هيئة طاقيّة من الجلد تشبه الهاون ، ثبتت فيها زهور صناعية أو ريش نعام . أما الزمام والزمّام الإضافي فيبدأن من الشكيمة ، ويجد طوق يرتبط بطاقم الرأس يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية ، حزام من الجلد عريض نوحا ماذو شكل دائري يغطى الكتف ، وحزام أقل عرضا يحيط بجسم الجواد ورخو إلى حدا ما ، وحزام ضيق مشدود على الصدر ، أما بقية أجزاء الجسم فحرة ، وكانت صورة للمبود سوّخ سيد الخيول تنقش على الحاجب الذي يوضع على أعين الخيل .

وانتا لنشاهد كثيرا من أنواع الأسلحة القديمة معروضة في أهساء المتحف المصرى . فبرى الزائر مجموعة من أسلحة الظران (الصوان) التى ترجع إلى عصور قبل التاريخ فى مصر . كما يشاهد مجموعة أخرى من العصى والحراب والبلط والحناجر والعصى المعقوفة التى ترمى بها الطيور ومقابض للتروس .

ويين مكتشفات مقبرة توت عنخ آمون يشاهد هيكل عربية حربية من خشب مذهب ومزين برسوم بارزة ومطعم بشرائط من الزجاج المختلف الألوان . وفى الوسط « خراطيش » الملك والملكة يحملها صقر باسطا جناحيه وبين قة العربية وحاقها الخارجية جملة رسوم تمثل ستة من الأسرى الزنوج والأسويين . وبالتقرب من هذه العربية يشاهد الزائر مركبة أخرى عليها شارة الملك على شكل أبى الهول يطا أسراه بأقدامه ويرى أيضا أربعة سروج من عدة الجياد التى كانت تجر العربات وقد ازدان زوج منها برأسين مذهبين للآله « بس » .

وتحتوى مقتنيات مقبرة هذا الملك الشاب على مجموعة جميلة من الأقواس المطعمة والمكسوة بالذهب والعصى الخشبية المزركشة برقائق الذهب والصولجة والأقواس والمسدى والسكاكين والسهام التى لايزال كثير منها محافظا على ريشه ، ونصالحا مختلفة المواد والأشكال . فثما ما هو مصنوع من البرونز على شكل كثرى

أو رمانة ومنها ماهو مصنوع من الزجاج أوله أسنة من العاج أو من الخشب . ومنها ماهو مدب أو مخروطي النصل للعب .

توزيع الأسلحة والمهمات العسكرية :

عندما تقرر الحرب ، يتم توزيع الأسلحة والمهمات في حفل رائع يحضره الملك شخصيا . وعلى سبيل المثال كان رمسيس الثالث يتخذ مكانه على شرفة فوق ربوة عالية ، وقد اتسكأ بذراعه على وسادة ، فيتقبل التحيات ويسمع خطب ضباطه ، ثم يتحدث إليهم بنفسه : أخرجوا الأسلحة واعرضوها على الملأ ، حتى تحمد شجاعة أبى آمون البلاد النائرة التي تجهل قدر مصر . وكان يرتدى في هذه المناسبات الزي الكامل الذى يتكون من مئزر نخم ، وفى قدميه نعلاه ، ويتجمع حوله ولى العهد والسكاتب الملكى وعدد كبير من عظماء الضباط . فكانت ترص الأسلحة على اختلاف أنواعها : فهذه خوذات من النوع ذى الحواف الذى يغطى الرأس ، وخلف الرقبة على السواء ، ولها شريطان مدليان من أعلا . وترى السيوف والقسى المثلثة وجباب السهام والدروع التى تقي جسم المحارب ، والخنجر ذات النصال المقوسة على هيئة المنجل ، لها أيد طويلة تنتهى بقبضة كروية عرفت فى مصر باسم خبش : ثم يتقدم الجنود الواحد تلو الآخر فى صف طويل ، وبأيديهم الحالية يتسلمون الأسلحة ، ومن ثم يتحركون وفى الوقت نفسه يقيد الكتاب أسماءهم ونوع السلاح الذى يحملونه .

أعلام الجيش

ظهر العلم فى وادى النيل ثم عرفته جميع الشعوب القديمة الذين اختلطوا بالمصريين كالأشوريين واليهود والفرس واليونان والرومان .

كان لكل إقليم من الأقاليم المصرية معبود خاص ولكل معبود رمز خاص . فكان المعجل أيس رمز المعبود « بتاح » النازل من السماء — وابن آوى والحية والباشق وغيرها . وقد ذكر المؤرخ اليونانى « بلوتارك » أن قدماء المصريين اتخذوا تلك الطيور والحوانات آلهة لهم لأغراض سياسية .

فكر رؤساء تلك الأقاليم القديمة في أن يضعوا في مقدمة جيوشهم أعلاما عليها رسوم بعض الطيور وأنواع الحيوان لتمييز قوات الأقاليم بعضها عن بعض . فلما انتصر المصريون وفازوا على أعدائهم اعتبروا الطيور والرموز الأخرى المنقوشة على الأعلام حاة لهم واتخذوها فيما بعد رموزا مقدسة لمعبوداتهم المحلية .

وذكر بعض المؤرخين القدماء أن الأعلام استعملت في الدولة المصرية القديمة قبل اتخاذهم لبعض الطيور والحيوانات آلهة لهم . وان هذه الطيور والحيوانات والرموز اتخذت معبودات للمصريين ووضعت بعدئذ على أعلام قبائلهم لغرض سياسى وقال آخرون إن تلك الطيور والحيوانات أو الرموز عدت آلهة في الوقت الذى أنشئت فيه تلك الأعلام .

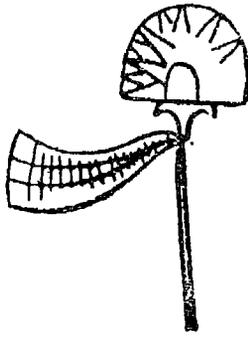
وكان لكل كنيية ولشكل سرية علم خاص يرمز لمعى أو لفكرة دينية أو يحمل اسم الإله من الآلهة أو ملك من الملوك أو حيوان مقدس . وكان الجنود إما أن يتقدموا العلم أو يتقدمهم العلم وكان ينظر الجنود إلى أعلامهم باحترام وتبجيل . وقال : « ديودور » أن الأعلام كانت تتركب على رح أو عود من خشب الزان يحمله ضابط يسير في مقدمة الوحدة العسكرية . وكان هذا العلم في الحقيقة بمثابة قائد للجند فهو الذى يحركهم وهو الذى يشجعهم ويث روح الحمية فيهم في أوقات القتال العصبية . وقد كان منصب حامل العلم أشرف وأهم المناصب التى يصبو إليها كل جندى فى الجيش المصرى القديم . فكان ينتخب لخدمة ضابط له شخصيه نبيلة ومكانة معروفة . كما امتاز عن زملائه بعلامه يضعها حول رقبتة وتمتد إلى تحتها قليلا وتتكون من أسدين وشارتين صغيرتين تمثلان فى الغالب ذباقتين .

وإلى جانب أعلام الوحدات كاللواءات والكتائب والسرايا ، كانت هنا الأعلام الملكية التى يحملها رجال البلاط للقربون إلى فرعون مصر . وكان معظم حاملها من الأمراء أو أبناء الاشراف الذين يؤلفون غالبية رجال حاشية الملك أو هيئة أركان حربه . وكانت رتبهم فى الغالب « قوادا » (جنرالات) . وكانت مراكزهم فى أثناء احتفالات النصر أو التتويج أو الحفلات الملكية قريبة جدا من الملك . كما كان يحمل بعضهم المزاوح الملكية أو الصولجانات . وكانت مراكزهم سواء إلى عين الملك أو يساره أمامه أو خلفه تتوقف على أهمية كل منهم .

الموسيقى العسكرية

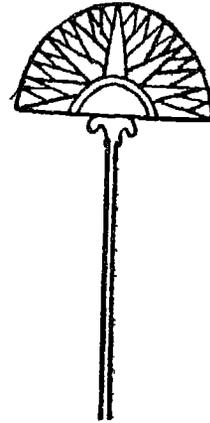
كانت تجميع جنود الوحدات على صوت النفير — وعرف المصريون هذه الآلة الموسيقية منذ أقدم العصور التاريخية . وقد خلد النقاش المصرى بفنه الدقيق على الآثار المصرية مواقع عدة « للبروجى » وهو ينفخ فى النفير لجمع الجنود . أو يرى فى طبيعتهم لتشجيعهم على الهجوم السريع ، أو للسير بخطوات متزنة . وقد ذكر المؤرخ « كليمنس » أن المصريين كانوا يسرون إلى ميادين القتال على صوت الطبول . وقد أيدت بعض نقوش الآثار هذا الرأى .

وكان النفير للمصرى (البوق) آلة يبلغ طولها ذراعا وتصنع من المعدن الأصفر ذات بوق للقم واضح الظهور — مخروطية الشكل تزيد نهايته فى الاتساع بوضوح والنفير على هذه الصورة لا يؤدي غير نغمة واحدة وجواها . وهو لذلك لا يستعمل الا فى الاشارات ، وكان أهم استعماله فى الحروب . فهو آلة حربية وإن كانت تستعمل أحيانا عند تقديم القرابين وأول ظهور النفير كان فى الدولة الحديثة إذ عثر على أول صورة فى نقوش عصر تحوتمس الرابع .



(شكل ٢)

علم عهد الملك أخناتون . وكان يحمله حراسه فى الحفلات . ويميز على علم عهد حتشيسوت بقطعة القماش الملته الألوآن (أحمر . أحمر . أخضر) المثبتة بمود العلم



(شكل ١)

أقدم أشكال العلم المصرى على شكل مروحة — منقوش على أحد جدران الدير البحري من عهد الملكة حتشيسوت . استعمل فى وحدات الجيش والبحرية

(ش ٢٥ - ٢٦)



(شكل ٥)

يلاحظ في هذا العلم أن
الريشة مثبتة في وسط
الجانب العلوي للمربع



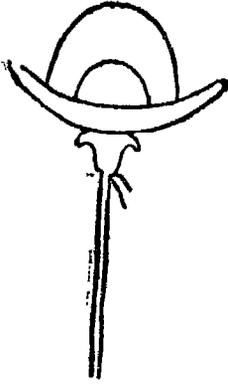
(شكل ٤)

علم مربع الشكل مثبتة في زاويته
العلوية ريشة نعام أو بدونها .
شاهد هذا العلم بين مشتملات
منظرينل رمسيس الثالث وهو
بورع المعتاد على جنوده قبل
المركة



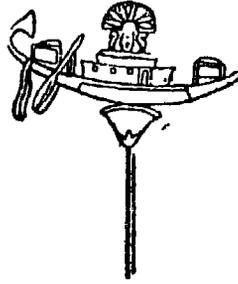
(شكل ٣)

علم مربع الشكل مثبت
بسمود، والمربع في
الغالب غير مزخرف
وكذلك العمود وقد
تثبت به قطعة القماش
اللونية ويكون بدورها



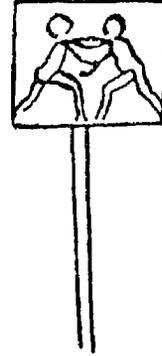
(شكل ٨)

علم سفينة قد تكون سفينة
الشمس - أو علم وحدة من
الجنود المقتربين في مقاطعة
هليوبوليس أو منطقة أخرى
اتخذت قرص الشمس حيازة لها



(شكل ٧)

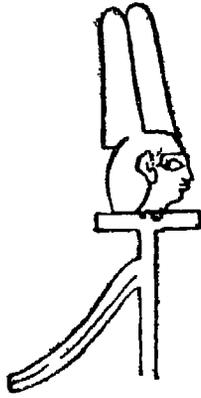
علم سفينة الملك واسمها «عجوبة
آمون» - وكان اسم حامل
العلم يليامون [المقبرة ١٩]



(شكل ٦)

علم كان يرفعه البحارة
(النوتية) النوبيون

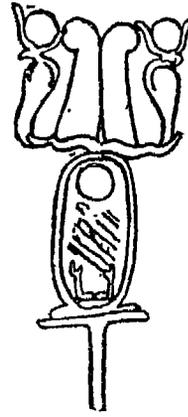
(ش ٢٧ - ٣٢)



(شكل ١١)
علم يمثل رأس بصرية عليه
ريشان

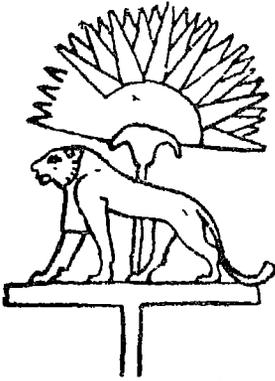


(شكل ١٠)
علم يمثل رأس Falcon
وقرص عليه ريشتان

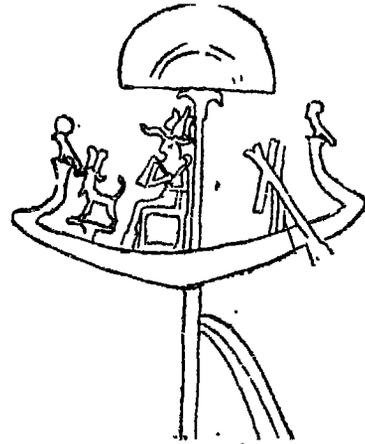


(شكل ٩)
علم وجد منقوشاً على جدران
البحر الأحمر . يمثل خرطوش
المسكة حتشبسوت . وعليه في
الوسط ريشتان ورموز أخرى

(ش ٣٣ - ٣٥)



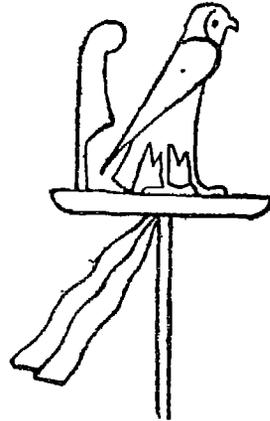
(شكل ١٣)
علم وحدة بحرية عليها أسد ومروحة



(شكل ١٢)
علم التدريب لاحدى الوحدات البحرية
وهذا العلم خاص يسئان الملك وعليه
صورة ملك جالس على العرش



(شكل ١٥)
علم وحدة بوليس العاصمة عليها الغزال
وريشة نعامة



(شكل ١٤)
علم وحدة بحرية عليها صفر وريشة

(ش ٣٦ - ٣٩)



(ش ٤٠) جواد عربية رمسيس الثالث الحربية

بعض الرتب العسكرية المصرية القديمه

مشع جندي
في الدولة القديمة



امير امشعو قائد الجيش
القديمة والحديثة



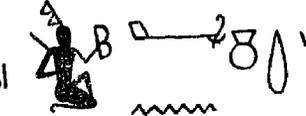
مرمشعو قائد الجيش



مرمشعو اور قائد الاعلى



ادلوان مشعو وكيل الجيش



مرسمون



رئيس النوارى

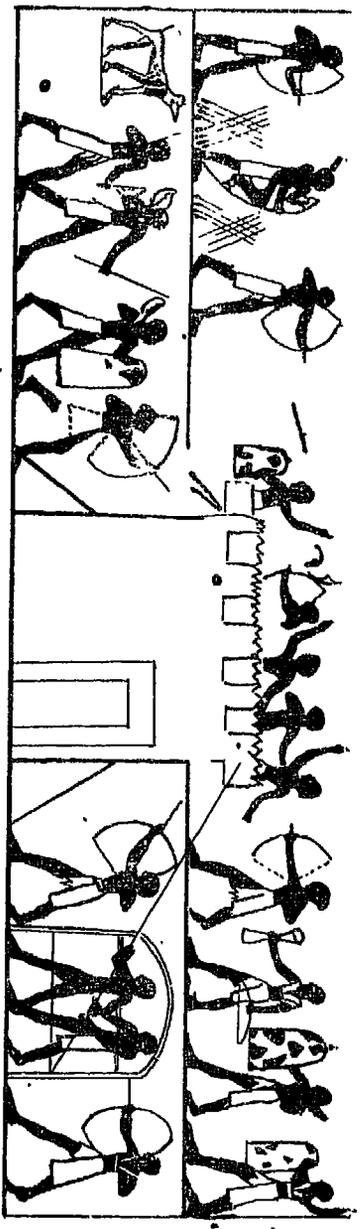
مشع ان دبت رئيس الاسطول
من الدولة القديمة



ملاحظات: جميع الشواهد من ماسار

(ش ٤١) شارات الرتب العسكرية في الجيش المصري
ومدلولها بالهيروغليفية

(ش ٤٢) الجنود المرميون يجامسون قلعة الأعداء



٢ - حروب مصر القديمة

معارك الأسرات المصرية

مينا وتوحيد مصر :

إذا عدنا إلى عصر ما قبل التاريخ المصري لوجدنا مصر قد غمرتها الحروب الداخلية . فقد نشبت المعارك بين المصريين أنفسهم ، بين سكان الشمال وأهل الجنوب وأستمر الصراع مدة إلى أن وحدت الأرضان في أيام مينا مؤسس الأسرة المصرية الأولى (٣٢٠٠ — ٣٠٠٠ ق . م) .

كان سكان مصر في عصر ما قبل الأسر يعيشون على جنبات وادى النيل ، في جماعات أو قبائل تخضع لكبير فيها . ثم دفعت الطبيعة المصرية تلك القبائل إلى المسير خطوة أخرى نحو المدينة ، فاتحدت وكونت مدنا لكل منها حكومتها ، وأتخذت كل مدينة لنفسها الهايحميا . غير أن وادى النيل وما تتطلبه الحياة فيه من تعاون ووثام ، مازال يلح على سكانه في الاتحاد ، حتى أندمجت المدن بعضها في بعض ، وتكون منها عدد من الأقاليم أو المقاطعات . وكانت هذه المقاطعات مستقلة في بادىء الأمر وإن لم يطلق على حكامها لقب « ملوك » . وبعد فترة من الزمن قامت حركة اتحاد جديدة في البلاد ، انتظمت على أثرها مقاطعات الدلتا في مملكة واحدة أطلق عليها اسم مملكة الوجه البحرى ، وكانت عاصمتها بوتو (دمنهور) ومعبودها الرسمى الإله « حور » .

وفي الوقت نفسه تكونت من مقاطعات الصعيد مملكة واحدة عاصمتها « نخن » ^(١) (السكوم الأحمر بمركز إدفو) واتخذت « ست » الها رهبيا لها .

(١) هيراكونو بوليس

ولم يكن ذلك التقسيم مما يتفق ومطالب الحياة على ضفاف نيل يربط الدلتا بالصعيد رباطا وثيقا يأبى أن يعوقه أى انضمام ، ففكر ملوك هاتين المملكتين فى الوحدة ، وأخذ التنافس يشتد بين الوجهين ، كل منهما يريد لنفسه السلطة فى المملكة المتحدة الجديدة . وتهيأت الأمور أخيرا لأمر من أمراء الجنوب يدعى « مينا » من أهالى طيبة بالقرب من العراة المدفونة « يدوس » بمركز البلينا .

وأستطاع هذا الأمير أن يضم مملكة الوجه البحرى تحت سلطانه حوالى سنة ٣٠٠٠ م ، وأن يضع على رأسه تاجا مزدوجا يتألف من تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى معا ، وشيد لمملكته عاصمة جديدة على مقربة من عين شميس سماها « من نفر » أى المدينة الجميلة ، وهى التى سماها اليونانيون ممفيس ، وأسمها الآن (ميت رهينة) ...

وهكذا بدأ عهد الأسر فى مصر القديمة .

ثم كانت معارك هذه الأسرة الأولى ضد البدو الرحل فى سيناء ، وضد أهالى الواحات فى الصحراء الليبية ، وضد النوبة ، لتأمين البلاد من الغزو .

وقاد ملوك الأسرة الثالثة حملاتهم إلى سيناء ، فغلبوا البدو ، ثم اتجهوا نحو جنوب فلسطين ، كما حاربوا فى إقليم النوبة . وجاء من بعدهم ملوك الأسرة الرابعة (٢٩٠٠ — ٢٢٥٠ ق . م) ، ومن بين ملوكها « سنفرو » الذى أرسل حملة بحرية لموانئ سورية ، فأخربى برية إلى سيناء لطلب المعادن ، وحارب جنوده ضد الساميين الرحل فى الصحراء الشرقية .

وكان الملك « أوسركاف » أول من أوفد حملة إلى بلاد بونت وشواطئ عدن .

ومن ملوك هذه الأسرة الحاربين « سحورع » ، فقد تجاوزت حملاته سيناء ووفيقيا والنوبة وبلاد بونت . (الصومال) .

وفي أيام الأسرة السادسة (٢٦٢٥ — ٢٤٧٥ ق . م) أرسل الملك « يبي الأول » عدة حملات ضد الآسيويين بقيادة أحد قادة الجيش وأسمه « أوني » .

وقد يكون من أهم مخطفات عصر يبي الأول — تلك النقوش التي تركها لنا قائده « أوني » ، وقص علينا فيها ما كان يقوم به من الأعمال ، وما حظى به لدى الملوك الذين عاصروهم . قال القائد :

« قام الملك بحملة تأديبية ضد الآسيويين رؤساء الرمال ، وقد جهز جلالته جيشا مؤلفا من عشرات الآلاف من الرجال من شتى مناطق الوجه القبلي — من جنوب الفنتين حتى أطفيح في الشمال . وقد وضع جلالته الجيش تحت امرتي ، على حين أن فيه الأمراء ، وحاملي خاتم الملك في الوجه البحري ، وأصحاب القلاع العظيمة ، ومديري القوافل ، ومدير السكنه ومديري الجيوش المرتزقة . وكان كل منهم على رأس فيلق من قلاع الوجه القبلي والبحري والضباع التي يحكمونها . وقد قدت هؤلاء الجنود بطريق جزيرة الشمال وبوابة أمحوتب . واستعرضت أمامي كل فرقة من هؤلاء الجند .

وعاد الجيش بعد أن خرب بلاد العدو ، وبعد أن أزال قلاعهم . لقد عاد هذا الجيش سالما بعد أن جاء معه بأسرى كثيرين .

وتعد حملة القائد (أوني) إلى فلسطين الأولى من نوعها في تاريخ مصر ، إذ أننا نعتبرها أول حملة اشترك فيها الجيش والاسطول ، فقد استخدم المصريون الاسطول لنقل مؤن الجيش وعدته ، وتجنبوا طرق الصحراء الطويلة .

ولما تولى الملك « مرن رع » الحكم عين (أوني) حاكما على الوجه القبلي بلقب حاكم الجنوب — وكان أهم عمل له هناك حفره خمس قنوات عند الشلال الأول لتسهيل سير السفن التي كانت تعترضها الصخور ، فهدد الاتصال بالسودان .

وفي أثناء حكم يبي الثاني أرسلت حملة بقيادة القائد حرخوف إلى النوبة ، وقد دون هذا للقائد مخاطراته على قبره .

ثم سادت الفوضى في أواخر أيام الأسرة السادسة ، وسقطت الدولة القديمة ، واستمر الحال فوضى حوالى قرنين . في خلال حكم الأسرات السابعة والثامنة ، ومن بعدها الأسرتان التاسعة والعاشرية ومؤسهما « خيقي الأول » ، واتسم ملوكهما بالضعف بينما أخذت سطوة الأمراء ، ولاسيما أمراء أسيوط تنمو . ولما توفى « منتوحتب الخامس » انتهت الأسرة الحادية عشرة .

الأسرة الثانية عشرة

(١٩٩١ — ١٧٧٨ ق . م)

أتيح لهذه الأسرة أن تقيم لها مجدا راسخا ، وتعتبر مؤسسة للحكم الطيبى المهيب ، وكان أول ملوكها أمنمحتت الأول ، الذى صادف حكمه صعوبات كثيرة في سبيل إعادة أحوال البلاد إلى ما كانت عليه في أثناء الدولة القديمة ، ثم استطاع بحذقه السياسى ، ودهائه وحزمه أن ييسط نفوذه على مقاطعات الأمراء وأن يوحد السلطة في البلاد ويستأثر بالحكم .

تمكن في السنة التاسعة والعشرين من حكمه التوغل بجيشه إلى أرض الواوات حتى بلغ كوروسكو في نهاية الطريق الصحراوى المحترق لمنحى النيل . ويحتمل أن أبنه الأمير « سنوسرت » الأول . وكان قد اشركه معه في الحكم ، هو الذى قاد هذه الحملة . كما أنه أخضع أقوام « الترجلوديت » وهم من البدو الآسيويين ، بشرقى الدلتا وكانوا قد شقوا عصا الطاعة . ثم قوى حصون الحدود الشرقية في نهايات وادى الطمليات الشرقية ، فاستتب الأمن في الشمال .

أما في الجنوب ، فقد انتصر على جيش كوش ، وقد دون منتوحتب قائد الحملة انتصاراته على لوح كبير بالقرب من وادى حلفا ، وقد اشتمل على ثبث بأسماء البلاد التى أخضعها . ثم تولى الملك « امنمحتت » الثانى ، فسنسرت الثانى ، ثم سنوسرت الثالث المعروف بـ (سيزوستريس) .

تمت في أيام هذا الملك الفتوحات المصرية في النوبة ، وأصبح النفوذ المصرى فيها قويا ، فشيّد حصنى « ممنة » و « قة » المتقابلين على النيل في آخر حدود



(منظر تجلی)

(ش ۴۳) شید سنوسرت الأول قرب السلال الثاني قلعة سحينة لحماية النوية .

مملكته الجنوبية ، ثم أقام نصبين حجريين على شاطئ النيل ، وقد عثر على أحدهما
وعليه النقوش الآتية : —

هذا هو الحد الجنوبي « للمملكة المصرية » في السنة الثامنة من حكم ملك .
الوجه القبلى والوجه البحرى « سنوسرت الثالث » معطى الحياة الأزلية إلى الأزل .
منوع مرور زنجى كل بطريق الماء والأرض سواء كان فى سفينة أم فى قافلة .
ويستثنى من ذلك الزنجى الذى يعبر الحدود من أجل التجارة ... أو توصيل رسالة .
فهؤلاء يعاملون بكل إكرام . ولا يسمح بأى حال لسفينة من سفن اللزواج
أن تمر ببلدة « حح » (أى سمنة) متجهة شمالا على مدى الأيام .

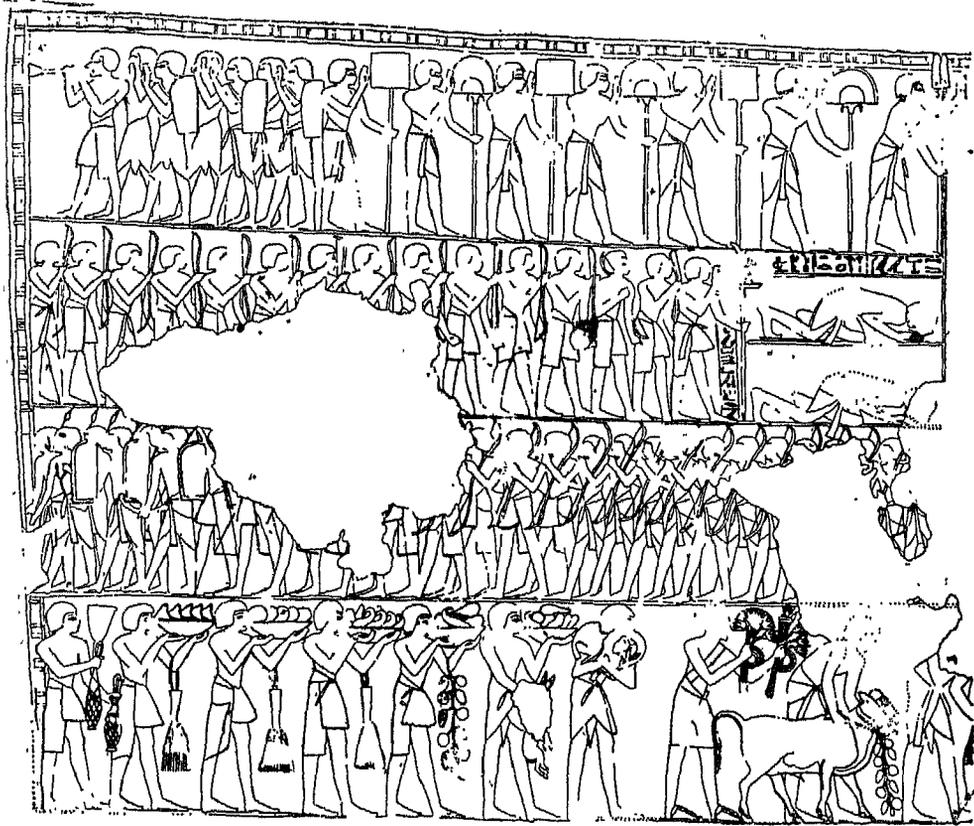
ولا تزال آثار هذين الحصنين باقية تشهد لمصري تلك الأزمان بالبراعة الحربية .
والكفاءة فى اختيار مواقع الدفاع الحصينة والقادرة على تشييد الحصون للنيعة (١) .

بعد ذلك بأربع سنوات حصلت بالنوبة اضطرابات فذهب الملك بذاته ليخضع
القبائل الثائرة . ومع أن مصر لم تدع ملكية أرض كوش الواقعة عند الشلال
الثانى ، فقد غز اسنوسرت الثالث تلك البلاد ليبسط سلطانه على مملكته الجنوبية .

وفى السنة السادسة عشرة من حكم الملك « سنوسرت الثالث » أغارت قبائل
كوش وزنوج شرقى النيل على الحدود المصرية فزحف عليهم الملك بجيش جرار
وفتك بهم فتكا ذريعا ، وعاقهم عقابا شديدا ، واستولى على أغنامهم ، وأقام فى
محراب حصن سمنة تذكارا حجرييا كالسابق بين فيه حدود مملكته وحض كل من
يخلفه على أن يحافظ عليها . وضاعف فى الوقت نفسه دفاعه فشيّد حصنا ثالثا
فى جزيرة « أورو نارتى » جنوبى سمنة . وأطلق عليه « صد الأعداء » وقرر
الاحتفال بعيد سنوى فى حصن سمنة تقدم فيه القرابين والهدايا .

ودلتنا الآثار على أن هذا الملك قاد شخصيا جميع حملات الجيش المصرى فى
السودان ووطدت نفوذه هناك .

١ — غمرتها مياه السد العالى .



(ش ٤٤) منظر من قبر « نب أمون » في طيبة ، وكان صاحبه ضابطا في عهد تحوتمس ٤
 (الأسرة ١٨) وفيه يرى نافخ النفير ورماحته بدروعهم وحملة الأعلام .



(ش ٤٥) خمسة من جنود « أمنحتب الرابع » (اخناتون) أولهم يرتدى النقبة ذات الثنيات
ويحمل الدرع والرمح والبلطة ، ومن خلفه ثلاثة من الجنود المساعدين الأجانب ومن
ورأهم ضابط مصري في يده عصا القيادة وسيف معقوف . (تل المهارنة)

وأقدم رواية وصلت إلينا عن غزو المصريين لسورية إلى عهد الملك « سنوسرت الثالث » وجدت على نقوش حجرية في جهة العرابة ، أقامها أحد القواد المصريين المدعو « سبك خو » (Sebek khu) المحافظ الحربى لعاصمة الملك . ودلتنا هذه النقوش أن « سنوسرت الثالث » أصطحب معه هذا القائد فى غزوة قام بها فى جهة سكم (Sekmem) حيث هزم السوريون وأستولى «سبك» على أسرى كثيرين وقد افتخر هذا القائد بذلك قائلاً :

« لقد أهدى إلى جلالة الملك عصا ذهبية وفضية وقوسا ومديّة من مخلوط الذهب والفضة وكذا أسلحة الأسير الذى استوليت عليه . كل هذه الهدايا قدمها لى ملكى يده . »

وبالرغم من ازدهار البلاد فى أيام حكم « أمنمحتت الثالث » فقد بدأت تعاني مصر الضعف على أيام أمنمحتت الرابع حتى سقطت الأسرة الثانية عشرة . وقامت على أنقاضها الأسرة الثالثة عشرة ، ولضعفها انفصل الجزء الشمالى من مصر عن الجزء الجنوبى ، ثم قامت الأسرات الرابعة عشرة ، والخامسة عشرة ، والسادسة عشرة .

وعلى أيام تلك الأسرة الرابعة عشرة تغلب الهكسوس (ملوك الرعاة) ، وملكوا البلاد حوالى مائة وخمسين سنة ، وأسسوا الأسرة الخامسة عشرة . وفى خلال ذلك العهد المظلم تعلم الشعب المصرى دروسا كثيرة فى مقاومة المحتلين لبلادهم ، ولا سيما فى الصعيد . وكان يمود نجاح الهكسوس إلى مباغتتها البلاد وهى فى أحوال سيئة من الفوضى والكوارث ، وإلى استخدامهم الحيل والعجلات الحربية فى القتال ، الشيء الذى كان يجهبه المصريون .

معركة التحرير وطرد الهكسوس

جاء في أخبار المؤرخ الوطني «مانيتون» أن الهكسوس قد استولوا على مصر في سهولة ، وملكوها دون أن يشعلوا نار الحرب ، لأن أمور المصريين يومئذ كانت مضطربة ، ولأن البلاد كانت مقبلة على السقوط ، فالقوضى قد عمت أمور المصريين جميعا منذ عام ١٧٥٧ ق . م وملكتم عوامل الضعف كيان دولتهم . (١) وتحدثنا بردية ساليه (Sallier) (٢) عما كان في مصر يومئذ من خطر ، وعما أصابها من فقر ، إلى رجال الحكم والنظام من أبنائها . وفيما جاء في هذه البردية ما يشير إلى أن أحوال مصر السيئة قد كانت كلها متفقة على الشر ، كأنما كانت وإرادة الغزاة على موعد . فبلغ الهكسوس دلتا الوادي وسيطروا على شمالها ، جاؤوها بنجيلهم وعجلاتهم الحربية ، وتطلع المصريون إلى ذلك الغزو ، فلامم الخوف والرعب من سلاح العدو الذي لم يكن لهم به عهد من قبل .

فن هم هؤلاء الغزاة الهكسوس ؟

من قائل إنهم من بطون القبائل السامية المنتشرة في فلسطين وفي ربوع سورية وبلاد الجزيرة العربية ، نزحوا إلى مصر بسبب ما أصاب أوديتهم من قحط

(١) الأستاذ الدكتور أحمد بدوي : أيام الهكسوس . المجلة التاريخية المصرية ، المجلد ١ ، عام ١٩٤٨ .

(٢) وجدت هذه الأخبار مدونة على جدران غار ، يقال له غار أرتيمس ، على مقبرة من جبانة بنى حسن . وقد ترجم هذه البردية العالم الألماني إرمان في كتابه عن الأدب المصري .

Literatur der Aegypter, Leipzig 1923

وجفاف ، ومن قائل إنهم هاجروا من الأقطار السورية حينما ضاقت عليهم أرضها بسبب ما حل بهم من ظلم حكام « ميتاني » من جهة ، وبسبب ضغط المهاجرين الآريين من جهة أخرى . ويرجح العالم إدوارد ماير أن غارة الهكسوس على مصر وقعت في الثلث الأول من القرن السادس عشر ق . م

جعل الهكسوس حاضرة ملكهم بعد ما تملكوا مصر (أواريس — سان الحجر) من شرقي الدلتا ، ثم أخذوا يمدون سلطانهم على أقاليم مصر . فتركوا غربي الدلتا تحت إمرة حكام من الوطنيين يسميهم « مانيتون » حكام الأسرة الرابعة عشرة ، ثم واصلوا زحفهم نحو الجنوب ، فوصلوا منف ، واتخذوا منها قاعدة الإدارة وشؤون البلاد الاقتصادية . وبين أخبار مانيتون ، ما يشير إلى الفظائع المروعة التي ارتكبتها هؤلاء الغزاة ، فقد حرقوا القرى والمدائن وخرّبوا المعابد والمعابد ، وذبحوا الرجال وسبوا النساء وساقوا الأطفال ، ثم وصل ملكهم سلاطيس إلى منف ، وكان يختلف إليها بين الحين والحين ، ثم ظلوا يواصلون زحفهم ويمدون سلطانهم حتى بلغوا حدود الأقاليم الوسطى من ناحية الجنوب ، ومن الجائز أن يكون الهكسوس قد بلغوا طيبة في بعض أيامهم ، ولاسيما في أثناء حكم ملكهم « خيان » الذي كان من أقوى ملوك الهكسوس وأشدّهم بأساً . وليس أدل على ذلك من كثرة ما خلف من آثار ، وهي لم تقتصر على مصر فحسب ، وإنما عدتها إلى سورية وفلسطين وبلاد النهرين وجزيرة كريت .

أعدى الهكسوس منذ بداية حكمهم على المصريين وعلى عباداتهم وتقاليدهم ، وأتبعوا أشنع الأساليب في القضاء على كل عزيز عندهم . ولذلك لاغروا ان تقوم بواكير ثورة الحرية في أيام أحد ملوك الهكسوس ، يسمي أبو فيس ، وقد كان ثالث ثلاثة يدعون بهذا الاسم . أخذ يتحدى الملك للمصري الحاكم يومئذ في طيبة ويتحرش به . ولقد كان حاكماً للمصري يدعى « سقن رع » ، وكان هو الآخر ثالث ثلاثة من أهل بيته يدعون بهذا الاسم . وأخبار الثورة من أيام ذلك البطله معروفة في الآداب المصرية من عهد الأسرة التاسعة عشرة ، كما زودتنا بها بزدية ساليه ، وجاء فيها كيف أن ملك الهكسوس أرهق للملك للمصري الحاكم في طيبة بمطالبه

لا يَحتملها، وكيف أنه ظل يتحداه ويبرح كرامته حتى أناره. وتشير أخبار الثورة في البردية للذكورة إلى قوة الحكومة الوطنية، واتساع نفوذها، وانتشار سلطانها بين أقاليم مصر، حين تزعم أن مصر كلها كانت تؤدي خراجها إلى بيت طيبة، ولذلك لاغسرو أن يثور بيت طيبة ويثور معه أعوانه من بيوت الصعيد للعزة الوطنية والكرامة القومية، ومن أجل العيش وتنازع البقاء وفضلا عن ذلك، من أجل الدين. فإن « أبوفيس » ملك الهكسوس جعل من معبوده « ست بعل » إله الآلهة يمكف على عبادته ويحرم على الناس عبادة ماعده، ثم يدعو الملك المصري إلى عبادته والإنصراف عن آمون، بينما يحرص ذلك الأخير على أن يكون آمون رب الأرباب، وهكذا يتنافس الاثنان تنافسا دينيا خالصا، ثم ينتهي الأمر إلى تلك الثورة، ثم الحرب التي أدت إلى مصرع ملك طيبة.

قام المصريون حينها وجدوا الزعيم الثائر، يدفعون الأذى عن نفوسهم، ويطلبون الحرية لحياتهم، ويسعون لتخليص وطنهم من الظلم، واستعان البطل « سقن رع » بأولياءه من بيوت الصعيد، ومن ناحية إدفو بنوع خاص. وكانت له في جهاده شريكة وسند قوى: هي زوجته الملكة « إياح حتب » وهي أم خليفته وبطل الجهاد من بعده « كاموسى » و « أحوسى » !

ثار « سقن رع » ومواطنوه، وصرع في ميدان القتال، وربما كان موته نتيجة لمؤامرة سياسية دبرها العدو ومن الإله من الخونة. ومن آثار مقتله طعنات ثلاث في فكه الأيسر، سقط بعدها فاقد الوعي، حيث أهوى عليه القاتل بطعنيتين أخريين، أصابت إحداها مافوق الحاجب الأيسر، بينما شقت الأخرى عظام رأسه، ولما أستيقن أعوانه من موته، أسرعوا إليه ولقوه بلفائف من الكتان، ثم وضعوه في صندوق من الخشب مموه بالذهب، وأودعوه قبره في طيبة.

حمل « كاموسى » لواء الثورة بعد سلفه، وقصة ذلك معروفة على أثر من آثار المصريين، يتمثل في لوح من ألواح أبناء المدارس، يعرف في كتب التاريخ

« بلوح كارنارفون » (١) وتشير الأخبار للنقوشة عليه إلى أن الملك كاموسى قد ضاق بنفوذ الهكسوس فى مصر ، وكان خطرهم يهدد ملكه من ناحية الشمال ، وضاق أيضا بتقدم النوبيين ، وكان خطرهم يهدد ملكه من ناحية الجنوب . فدعى ذلك إلى نداء رجال بلاطه وأمراء جنده ليشاورهم فى الموقف ، فلما حضروا قال لهم : « وددت لو أعرف ماذا تجدى على شجاعى ، فهذا أمير يجلس فى أواريس ، وهذا آخر يجلس فى النوبة ، وها أنا قد أحصرت بين آسيوى ونوبى ، وقد أخذ كلاهما يقاسمى أرض مصر ، وهؤلاء البدو (الهكسوس) قد توغلوا فى البلاد وما كنت أندر أن يصلوا إلى منف ولكنهم أدركوا « الأشمونيين » .

ولما جاء دور كلامهم أبانوا للملك أن نفوذ الهكسوس لا يمتد إليه ولا يؤذى سلطانه ، فضاق « كاموسى » بآرائهم وكره منهم ضعفهم ، وأقسم ليخرجن إلى العدو فيقرن بطنه ، لأنه يريد أن يحرر مصر ويضرب الهكسوس . وختم كلامه قائلا :—

« ألا فليعلم أهل طيبة أن كاموسى سوف ينقذ مصر ، ويحفظها من مهاوى الهلاك ، لسوف أخرج إلى العدو بأمر آمون ، فهو وحده الهادى سبيل الرشاد » .

وخرج كاموسى يحمل لواء الجهاد بعد أن جمع جيشه من خيرة أبناء الصعيد ، وضم إليهم بعض جنود الحدود من رجال النوبة ، وأخذ يعون جيشه على الطريق من البلاد الواقعة على شواطئ النيل ، ثم أخذ طريقه نحو الشمال ، حتى إذا بلغ نفروسي (٢) حاصر أميرها الدعو « تقي بن بى » ، وكان من أولياء الهكسوس ، فزال به حتى غلبه على أمره ، ثم خرب مدينته ونهب أرزاقها ... ثم غادرها نحو

(١) يرجع هذا الأثر إلى ما بعد أيام الهكسوس وقد سمي اللوح بلوح كارنارفون لأنه آل إلى مجموعة من كها اللورد كارنارفون من هواة الآثار المصرية وهو الذى تولى الاتفاق على بعثة للبحث عن الآثار ، نقتب أعواما طويلة فى مقبرة طيبة وأهتدى إلى الكشف عن مقبرة الملك توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ .

(٢) نفروسي بلدة كانت تقع شمالى أسبوط ولا يمكن تحديد مكانها تماما .

الشمال . (ولا يعلم بالدقة أين بلغ) وحرز المدن التي مزقتها من حكم الهكسوس .
ومن المحتمل أن يكون قد أستمر في زحفه حتى طهر الأقاليم الوسطى من شمال
أسيوط حتى منف ، ثم فكر كاموسى فى أقاليم الجنوب ورأى خطر النوبيين يهددها ،
فسار إلى أقاليم النوبة ، وأخضع الثائرين من أهلها ، وسجل أنتصاره على صخور
تشقا ما بين الدر وأبو سنبل .

ونستطيع بعد ذلك أن نقول: إن الهكسوس قد ارتدوا إلى الشمال واعتصموا
بمحاضرة ملكهم « اواريس » . ولم يعيش كاموسى بعد ذلك ، فقد عاجلته المنية ولما
يبلغ من تحقيق آماله ما أراد من تطهير الوطن من العدو . ولكن كتب الله لأخيه
الأصغر أن يحقق أمنية الشقيق .

الملك أحمس الأول

خلف كاموسى — أحمس شقيقه الذى سطر فى الجهاد أروع صورة للشجاعة
والوطنية . وقد أسهمت معه الأميرة « أياح حتب » التى كانت قد جاهدت مع زوجها ،
وجاهدت مع خليفته من بعده كاموسى وأحموسى .

تسلم أحموسى زمام الحرب بعد وفاة سلفه ، وحمل لواءها مندفعاً نحو الشمال ،
وأثناء القتال فى حملته الظافرة معروفة ، دونها أحد رجاله ويدعى « أحموسى »
أيضا فى قبر له ببيانة الكاب . وكان أحموسى هذا أميرا لإحدى سفائن أسطول
النقل الحربى فى ذلك العهد ، وورث ميله إلى أعمال القتال عن أبيه الذى كان جنديا
أيام الملك « سقن رع » ، وورث منصب أبيه فى إمارة سفينة يقال لها « الفحل البرى »
حدثنا ذلك القائد أنه اشترك فى حروب المصريين ضد الهكسوس ، وأن الملك قد
أعجب به وأظهر من شجاعته وحسن إصابته الهدف ، فزقاه إلى إمارة سفينة تدعى
« المشرق فى منف » ، وحارب فيها على اللباه المحيطة بأواريس والقريبة منها .
فقتل وغنم ، مما حمل الملك على مكافأته بالذهب أكثر من مرة . ثم يحددنا عن سقوط
أواريس ، وهى آخر معاقل الهكسوس فى مصر . ولما دخل الجنود المصريون

أواريس وأزدهت بهم المدينة أوغلوأ في الغنيمة ، وكان من نصيب أحوسى البحرى أربعة أسرى ... ثلاث نسوة ورجل . وقد وافق الملك على أن يمتلكهم جميعا .

وبعد سقوط أواريس ، نتيجة الحصار ، اتخذ المكسوس طريقهم في الصحراء الشرقية ، حتى إذا وصلوا الى جنوبي فلسطين ، استقبلهم أمراء أسيا المتحالفون ، وتبعهم الملك أحوسى بجيشه ، حتى لحق بهم عند حصن في جنوب فلسطين اسمه شاروهين ، كانوا قد لجأوا اليه وتحصنوا به . فضيق عليهم الحصار ثلاثة أعوام كاملة حتى اضطروا الى الجلاء عن الحصن . وكان أحوسى البحرى حاضرا في أثناء هذا الحصار ، وكافأه الملك لشجاعته .

وهكذا أتم أحوسى ما لم يتمه شقيقه ، وطرده المكسوس من الوادى وتخلصت البلاد من عبثهم وظلمهم . وهذا البطل احوسى ، هو الذى يعده التاريخ رأس الأسرة الثامنة عشرة وواضع حجر الأساس في بناء الامبراطورية المصرية . ولم يكد أحوسى ينتهى من طرد المكسوس ، حتى وجه قواته الى جنوبي الوادى ، فسكر راجعا الى أقاليم النوبة وكان أهلها قد استفلوا محنة المصريين أيام المكسوس فخرجوا عن طاعة الدولة المصرية وانشقوا عنها .

وقد حدثنا احوسى أمير البحر ، انه رافق الملك في حملته على بلاد النوبة وعن اشتراكه في القتال وحسن بلائه فيه ، مما جعل الملك يكافئه . ولما عاد الملك من حملة النوبة ، شبت ضده ثورتان فأخدها واتتصر على الثوار ، وكان اسم زعيم احداها « تيتيان » الذى قتل في أثناء المعركة وقضى على أعوانه .

عاد أحوسى الى مصر رافعا لواء الحرية وترجع على عرشه في طيبة وجعل منها عاصمة للدولة المصرية ، وقد حكم البلاد حوالى خمسة وعشرين عاما ، ولما مات دفن بجانب أسلافه غربى طيبة . وكانت وفاته عام ١٥٤٦ ق . م ، وخلفه ابنه أمنمحتوب الأول .

أثر الهكسوس في مصر

ظلت شعوب الشرق قرونا طويلة لاتعرف امنطاء الخيل على نحو ما نركبها اليوم الا في حالات نادرة جدا . وانما كانت تستخدم في جر عجلات الحرب . وغالب الظن أن يكون الآريون هم أول من استخدم تلك العجلات ، وأخذ الآسيويون عنهم ذلك الاسلوب وانتقل منهم الى شعوب الشرق القريب . ومن تلك الأقاليم دخل بها الهكسوس الى مصر عندما أغاروا عليها حوالى عام ١٧٣٠ ق.م ، وعنه اقتبس المصريون استخدام العجلات في القتال . وكانت أقوى معين لهم في طرد الهكسوس أنفسهم من البلاد . وكان هذا السلاح فيما بعد أقوى عامل في بناء الامبراطورية المصرية التي امتدت سعتها الى الفرات في الشرق وآسيا الصغرى في الشمال وقلب بلاد النوبة في الجنوب ... أثر ذلك السلاح الجديد في تقدم الحرب وسرعة حركتها . ومنذ ذلك الحين أصبح للخيملة المقام الأول في عالم الحرب بعد أن احتكره المشاه قرونا عديدة ...

وكان من نتائج طرد الهكسوس أن اتعشت الروح العسكرية في مصر ، اتعاشا لم تعرفه الدنيا من قبل ، ونهضت البلاد نهضتها السياسية والحربية في آن واحد . وأصابها التوفيق في بناء الامبراطورية المصرية ، على أساس التوسع وتأمين الحدود المصرية وضمان سلامتها (١) .

(١) د . أحمد بدوى : أيام الهكسوس . ص ٨٥ — ٨٦ مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، مجلد ١ ، عام ١٩٤٨ .

الامبراطورية المصرية الأولى

الأسرة الثانية عشرة (١٥٧٠ — ١٣٠٥ ق . م)

كان أول ملوك هذه الأسرة العظيمة أحس طارد المكسوس من وادى النيل ، وجاء من بعده أمنمحتب (أمينوفيس الأول) ، ثم تحوتمس الأول الذى وصل بفتوحه إلى جنوب الجنادل الثالثة ، وغزا سورية ووصل بجيوشه إلى نهر الفرات حيث أقام نصبا تذكاريا ، ثم خلفه تحوتمس الثانى — فالملكة حثشبسوت .

وفى هذه المرة قويت الروح العسكرية فى صدور أبناء الشعب ، وبهذه الروح الوثابة سار الملك تحوتمس الثالث على رأس جيشه ليحقق الأجداد الكبرى التى دونها التاريخ . فقاد سبع عشرة حملة عسكرية كبرى إلى مختلف الليادين ، ولا شك أن أهمها كانت الحملة الأولى ، وأنتصاره المجيد فى معركة مجدو .

يعتبر حكم تحوتمس الثالث من أجد العصور القديمة فى تاريخ مصر ... وفى أيام أبيه شقت بعض الإمارات السورية عصا الطاعة ، فخارهم تحوتمس الثالث سنوات متتالية إلى أن ثبت سلطان مصر فى تلك الاصقاع — بعد معركة مجدو — وكان أنتصاره فى تلك المعركة هو حجر الأساس الذى شيد عليه تحوتمس الثالث سلسلة أنتصاراته المتعاقبة فى حملاته السبع عشرة التى خاض غمارها .

تقدم هذا الملك على رأس ثلاثين ألف مقاتل ، وزحف بهم من مدينة ثارو^(١) لإخضاع أهل آسيا الذين تزعمهم ملك كادش ، وانضم إليهم بعض أهالى جنوب فلسطين وأمة الحيتانى الواقعة شرق الفرات .

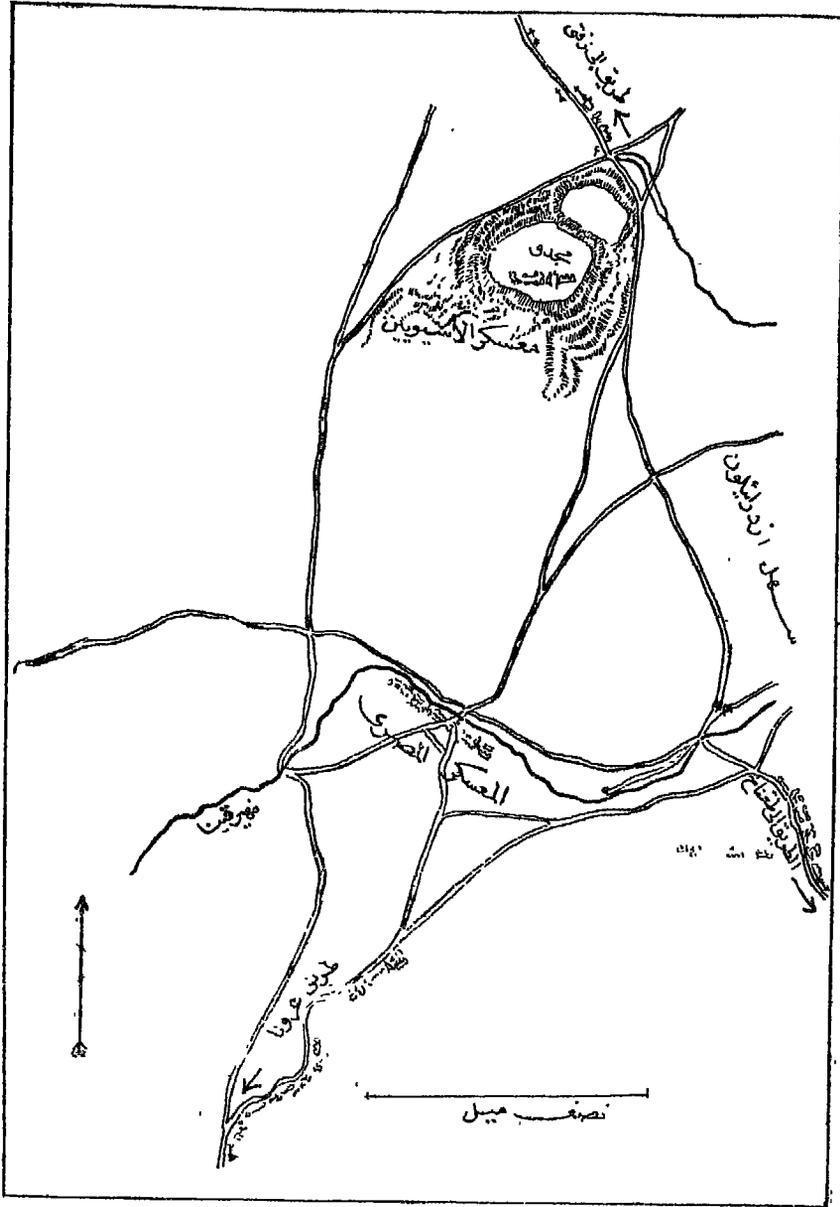
(١) كانت ثارو مدينة من مدن الحدود المصرية الشرقية الهامة ، وموقعها الحالى عند تل أبى سيفا التى تبعد نحو ميلين شرق مدينة القنطرة .

وكان الآسيويون بقيادة ملك كادش ، قد أخذوا مجدو (١) على المنحدر الشمالي لجبل كرميل ، وأخذوها قاعدة حرية . لو كانت مجدو تقع في المكان الذي يشغله الآن تل المتسلم وهي تبعد قرابة عشرين ميلا جنوب شرقي حيفا .

وعلى ذلك كانت مهمة الجيش المصري واضحة ، وهي أن يعبر الجبال الفاصلة بينه وبين قوات الأعداء ليلاقهم في الميدان الذي اختاروه لقهروا القوات المصرية .



(ش ٤٦) موقع مجدو



(ش ٤٧) خريطة توضح مواقع المعسكرات المصرية والآسيوية أمام مجدو

موقعة مجدو

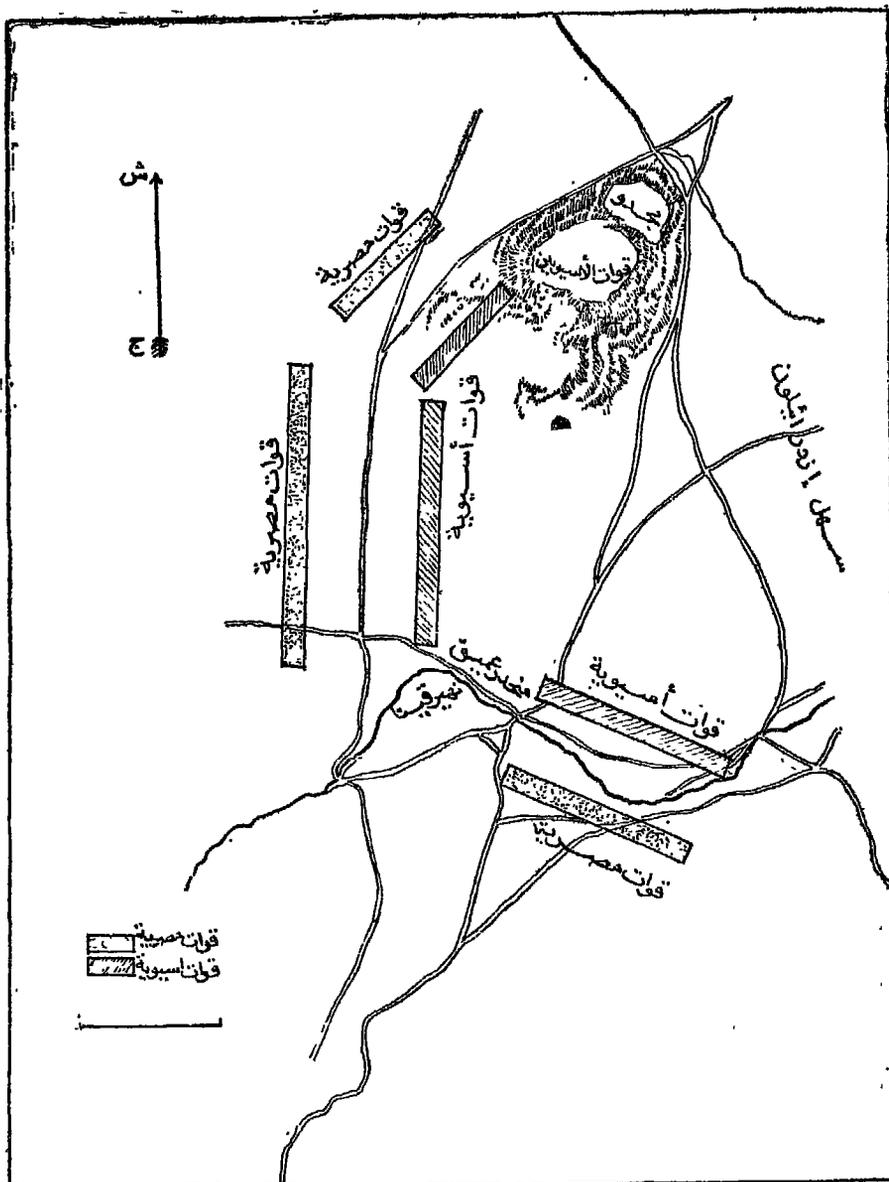
لمركبة مجدو في تاريخ مصر خاصة والشرق عامة مكانة كبرى ، فهي من أشهر أحداث العالم القديم . فإذا تناولناها بالحديث فينبغي أن نخوض في غمارها وأن نجول بموقعها أولا .

مرج بن عامر :

سهل فسيح الأرجاء منبسط بين جبال الجليل في الشمال والسامرة في الجنوب والكرمل في الغرب ، يضيق قرب حيفا لينفذ إلى سهل عكا الساحلي . ثم يتصاعد عند جنين في الجنوب وينحدر في تودة شرقا إلى ييسان (غور الأردن) ويخف به جبل طابور الجائم في شماله الشرقي . قلما تقع العين على أزهى من حملته القشبية التي يكسوه إياها الربيع حتى إذا جاء الصيف جرده منها ، فإذا جاء الشتاء هطلت الأمطار بقوة فأترعت نهره « المقطع » فتدفق « نهر الوقائع » إلى البحر وإذا بالمياه تفيض على جانبيه وإذا بالمستنقعات منتشرة (١) .

وليس مرج ابن عامر هذا بمنقطع عن الدنيا رغم انحصاره ، فإن الجبال أبت ألا أن تنحسر عنه قليلا في أطرافه فشكلت له أودية يتصل بها سهل عكا ومكنته من الاتصال بمنطقة بحيرة طبرية والحولة من الشمال قرب جبل طابور ومن ثم إلى دمشق وما إليها ، كما إنه يتصل بمجلون وحوران بطريق ييسان . هذا في الشمال أما في الجنوب فيتصل بالسهل الساحلي الجنوبي — سهل شارون — بطريق جنين — نابلس — طولكرم ، وبطريق وادي عارة الجبلية الضيق الوعر . وبطريق وادي الروحة الغربي عند ملتقى هذه الطرق وتقاطعها وفي نهاية وادي

(١) Sir George Adam Smith : Historical Geography of the Holyland .



(ش ٤٨) خريطة توضح حركة التفاف القوات المصرية بالقوات الأسبوية أمام مجدو

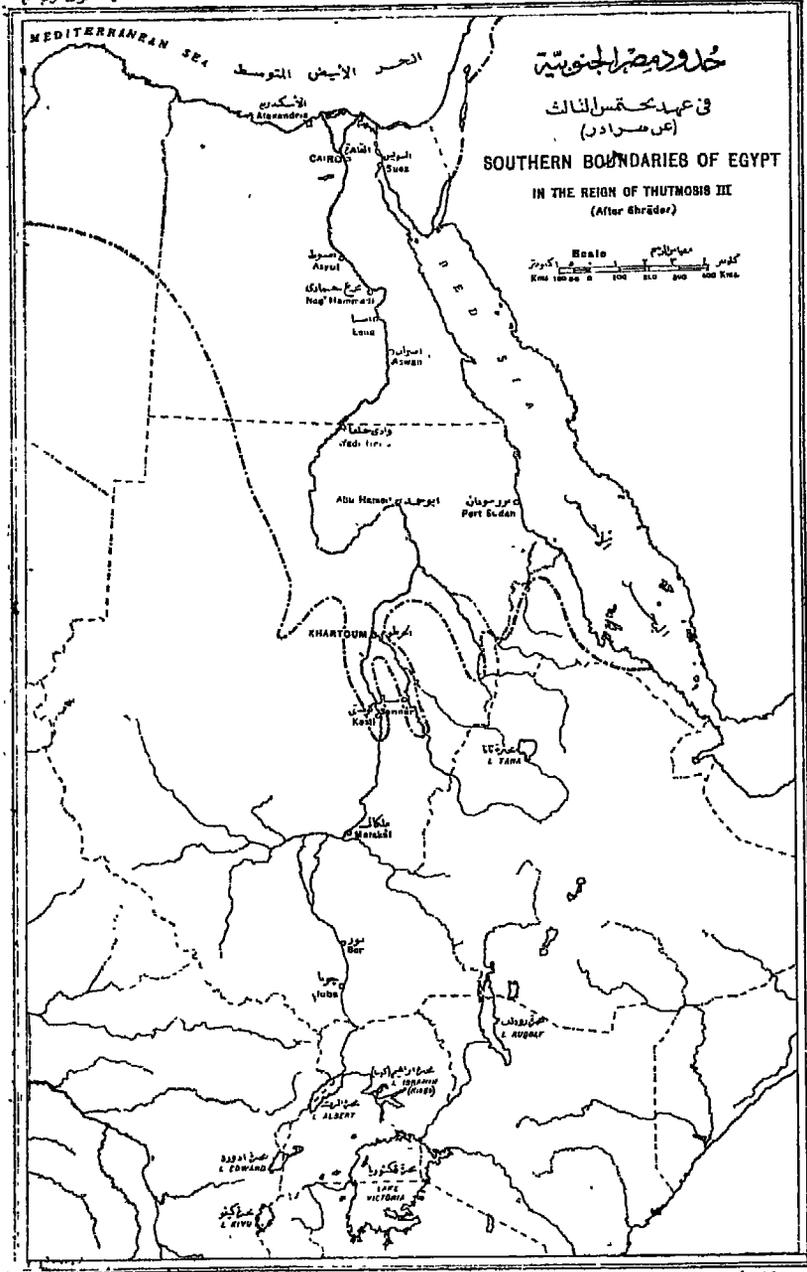
طارة وعلى الحد الفاصل بين السكرمل والسامرة وبين السهل والجبل ، وفي مكان يشرف على كل أجزاء المرج من أدناه إلى أقصاه وعلى مبعده نحو ثلاثين كيلو مترا إلى الجنوب الشرقي من حيفا يقع تل « مجدو » .

ولا شك في أن مرج ابن عامر هو طريق الاتصال الطبيعي بين شمال سورية وجنوبها ومن ثم بين العراق وآسيا الصغرى من جهة ، وبين وادي النيل من جهة أخرى ، وقد كانت القوافل التي تدخل مرج ابن عامر من سهل عكا وإنما تفعل ذلك لتعبره إلى السامرة بطريق جنين أو إلى شارون بطريق مجدو .

وهذا الموقع المهم حريا وتجاريا إسترعى نظر الفاتحين ورجال الحكم من أقدم الأزمنة إلى وجوب العناية بهذه المسالك ، والاحتفاظ بهذا السهل وجعله في قبضتهم فيسعى كل زعيم إلى الاستحواذ عليه . وقد أقيمت سلسلة من الحصون والقلاع قرب منافذ المسالك التي ذكرت وأهمها بيت شان (بيسان) وتغتك ومجدو (تل التسلم) ودور (الطنطورة) على الساحل ، وتكاد مجدو تكون أكبرها قيمة لتوسطها القلاع والطرق ، ويلى هذه الأربع في الأهمية قلعة طابور التي حصنت مرات عدة وبقنعمان أو قنعمان (القيمون أو الكيمون الآن) .

وتل مجدو هذا تبلغ مساحته قته نحو ٥٣,٠٠٠ متر مربع ، ينحدر نحو الغرب والجنوب الغربي انحدارا فجائيا، أما الجهات الأخرى، وهي للواجهة للسهل فانهدارها تدريجيا، إلى شماله عين ماء تسمى « عين القبة » ويعرف التل اليوم باسم « تل للتسلم » ذلك لأن أحد متسلمي عهد الدولة العثمانية أقام في ذلك المكان، ولعل إقامته كانت قصيرة. إذ لم يكن هناك آثار أبنية متسعة ولا غيرها ، والتسلم موظف عثمانى إدارى كان يلتزم بلادا بكاملها فيديرها ويدفع ما عليه من المال اللازم ويلاحظ أن هذا نظام إقطاعي إلى حد بعيد .

وقد عرفت مجدو قديما بأسماء كثيرة منها مجدو كما في يشوع والقضاء ومجدون كما في زكريا (١٢ : ١١) وهي مجدون كما في رؤيا يوحنا اللاهوتي (١٦ / ١٦) ومعنى الاسم « تل المارك » وقد أعطت المدينة أممها للسهل المجاور لها فمرف باسم « بقعة



(ش ٤٩) خريطة تبين حدود مصر في عهد تحتمس الثالث

مجدو» في عهد العبرانيين وبقى معروفاً بذلك إلى العهد الروماني فان جيروم (٣٤٠ م — ٤٢٠ م) يذكره باسم سهل مجدو ، سهل اللجون .

ولا تزال هذه البقعة أخصب سهول فلسطين وأوفرها ماءً وتمتاز بموقعها في منتصف الطريق العظيم الذي يربط بين مصر وبين بابل والشرق — فقد كانت بذلك خير أرض يعسكر فيها جيش ، وقاعدة تركز عليها العمليات الحربية فيما بعد في أي اتجاه ، وكانت تغل محاصيل وافرة وتهدى مرعى غنياً معظم أيام السنة لعدد من قطعان الماشية .

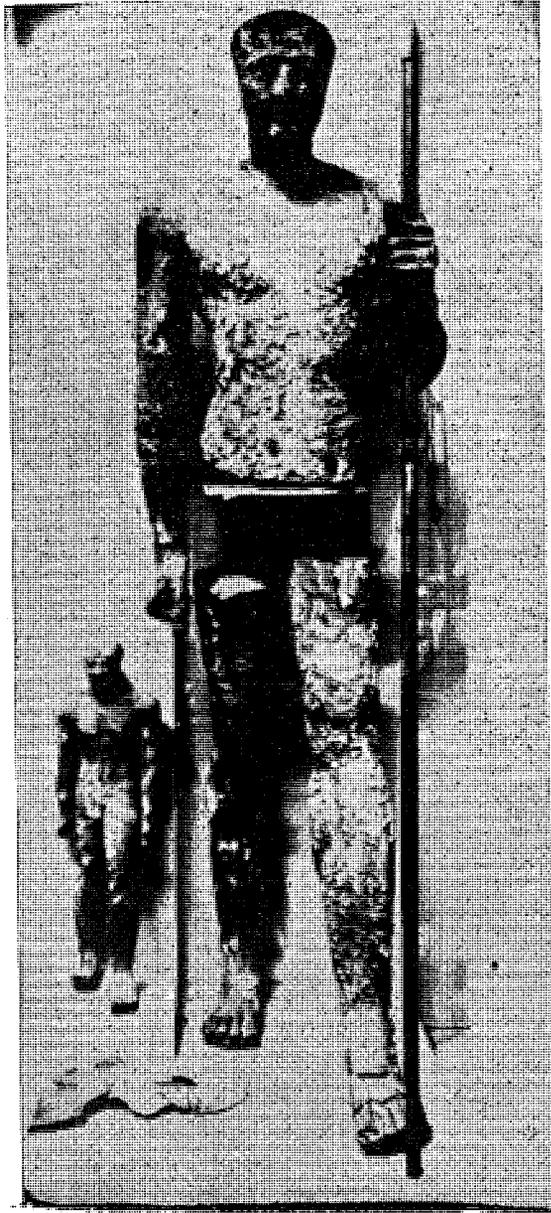
ومن فوق التلال المشرفة على الناصرة في يوم صحو فيه الأضواء والظلال مواتية يستطيع الإنسان أن يرى هناك في الجانب الآخر (الجنوبي) من السهل تنوعاً مستوي القمة مطمئناً في أحضان التلال التي تكون الحدود بين البحر وبين الأرض الداخلية الأكثر ارتفاعاً .

هذا هو موقع أرمجدون « تل مجدو » الذي كان يوماً مفتاح أمنلاك السهل برمته . أما الآن فقد أختفي كل ما يمكن أن يدل على أهميته حتى الاسم قد ضاع في التسمية الشائعة بين الأهالي وهي « تل المتسلم » غير أن المكان بتسميته القديمة قد ترك في صحائف التاريخ القديم أثراً لا يمحي .

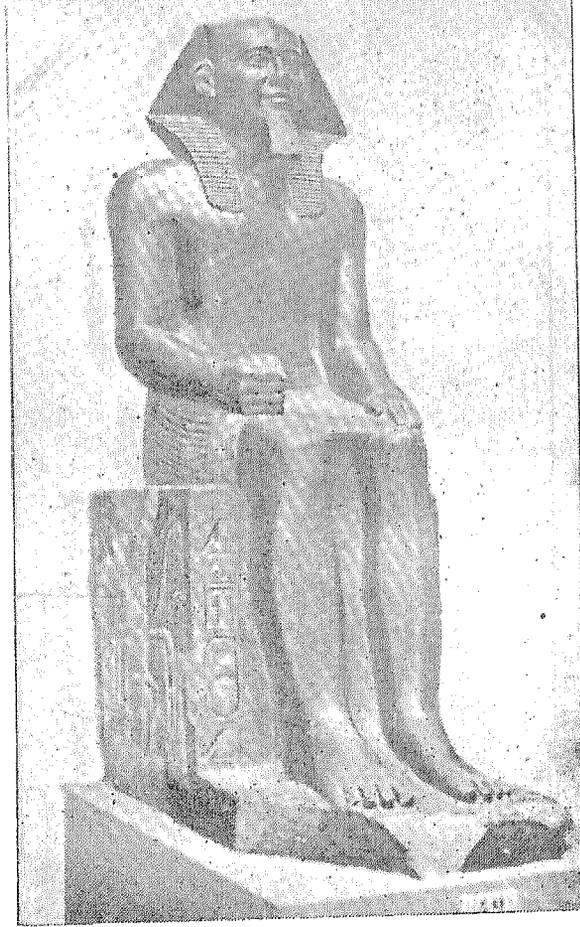
ولما كانت مجدو تتحكم هكذا في أكثر الطرق استقامة عند حاجز الكرمل المستعرض فقد كانت اذ ذاك معقلاً له أهمية استراتيجية حاسمة . فاذا تسنى الاستيلاء على هذا الحصن القوي تفتحت طرق كثيرة الى عدة بقاع الى الشمال والشرق ، وكان أولها الطريق المباشر النحدر مع السهل ماراً بجزر يل وبيسان ثم شمالاً صعوداً مع نهر الأردن . أما الثاني فكان يتحد مع الأول حتى جزر يل ثم يدور نحو الشمال عابراً المجرى الشرقية الصغيرة في هرمون حتى يصل الى وادي الأردن شمال بيسان وكان الثالث يحف بهذا التل ماراً خلال « نين » و « اردور » ثم يندمج مع الطرق الأخرى ، أما الطريق الشمالي الكبير فكان يعبر الممر العميق عند الناصرة ثم يتفرع ، فطريق يتجه الى بحر الجليلي والآخر الى حاذور ، ذلك المعقل القوي للملك الذي أذل إسرائيل في عصر القضاة .



(ش. ٥٠) واحد من وجهى لوحة نارمر (الأسرة الأولى)
تبين الملك نارمر وهو يقتل أسيرا بصولجانه وتحت
قدميه إثنان من القتلى (دار الآثار المصرية)



(ش ٥١) تمثال من البرونز للملك يبي الأول (الأسرة ٦)
(دار الآثار المصرية)



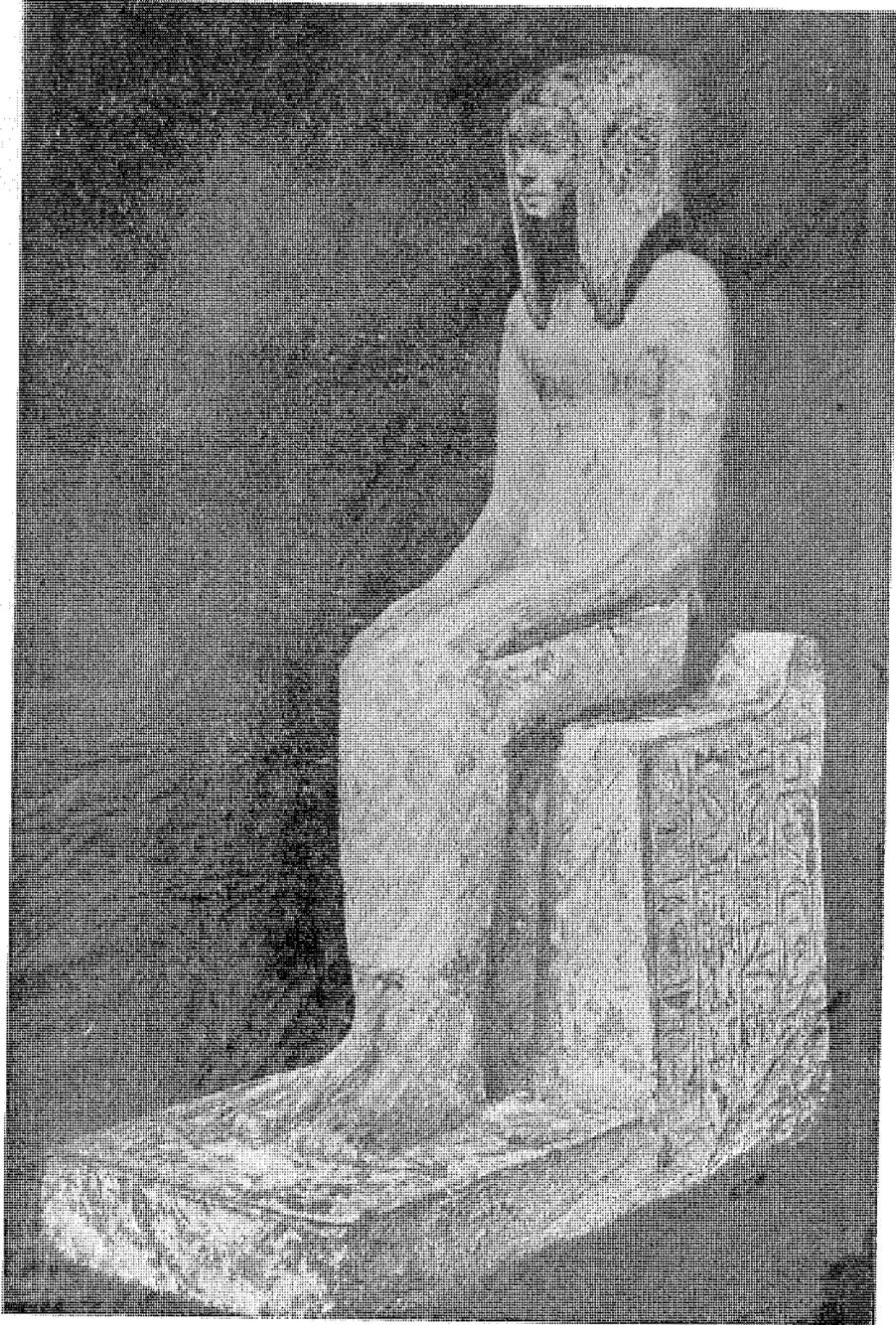
(ش ٥٢) تمثال من حجر البازلت الأخضر للملك خفرع
(الأسرة ٤) (دار الآثار المصرية)



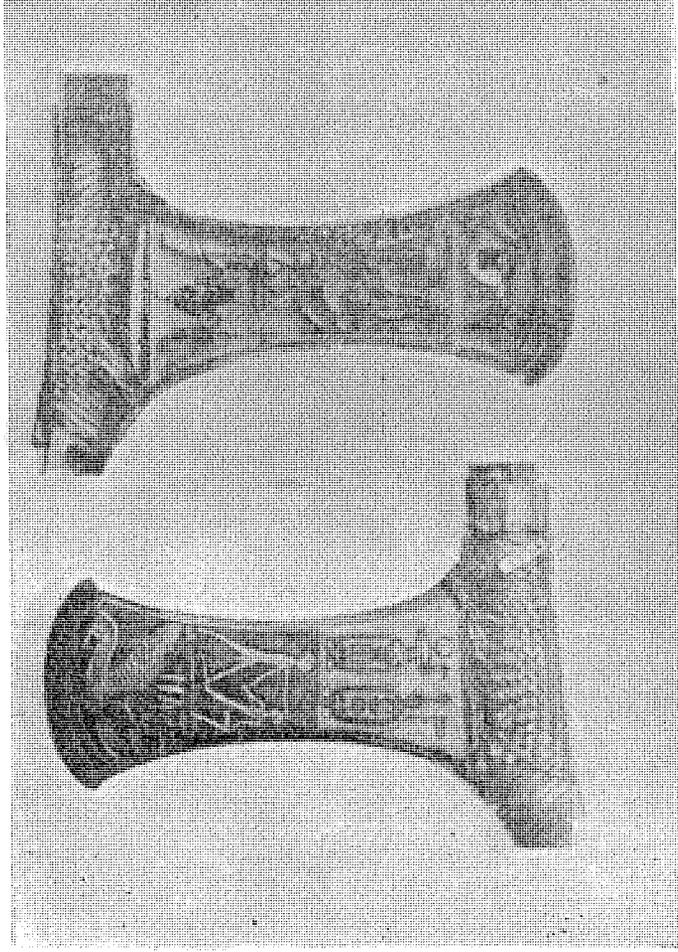
(ش ٥٣) تمثال من الحجر الرملي للملك سنوسرت الأول (الأسرة ١٢)
(في دار الآثار المصرية)



(ش ٥٤) تمثال من الجرانيت الرمادي للملك سنوسرت الثالث
في المتحف البريطاني (الأسرة ١٢)



(ش ٥٥) تمثال للملكة تيتاشيري جدة الملك أحموسى (الأسرة ١٨) طارد المكسوس
(بالمتحف البريطانى)



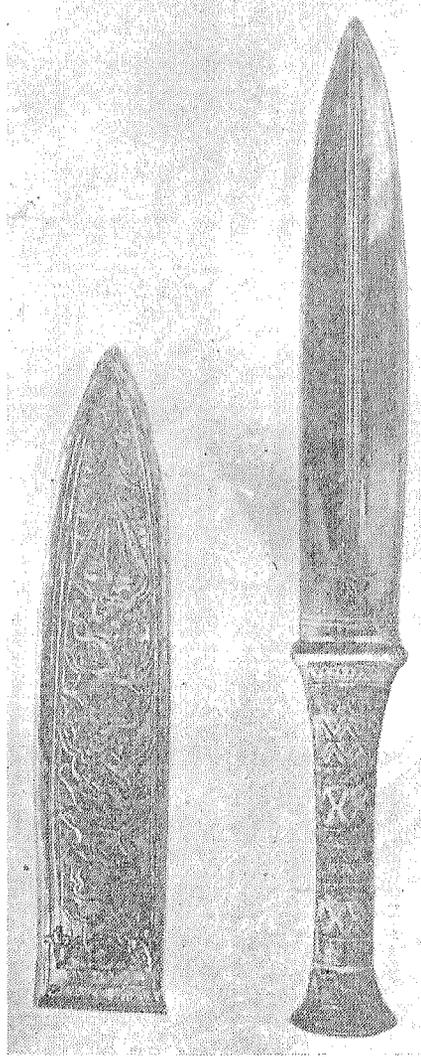
(ش ٥٦) بلطة قتال عثر عليها بمقبرة الملكة أحتوتب وعليها خرطوش
للملك أحموسى
(بدار الآثار المصرية)



(ش ٥٧) رأس تمثال للملك تحوتمس الثالث (الأسرة ١٨) من الشست الرمادي
(في دار الآثار المصرية)



(ش ٥٨) تمثال الملك توت عنخ آمون (الأسرة ١٨)
في دار الآثار المصرية



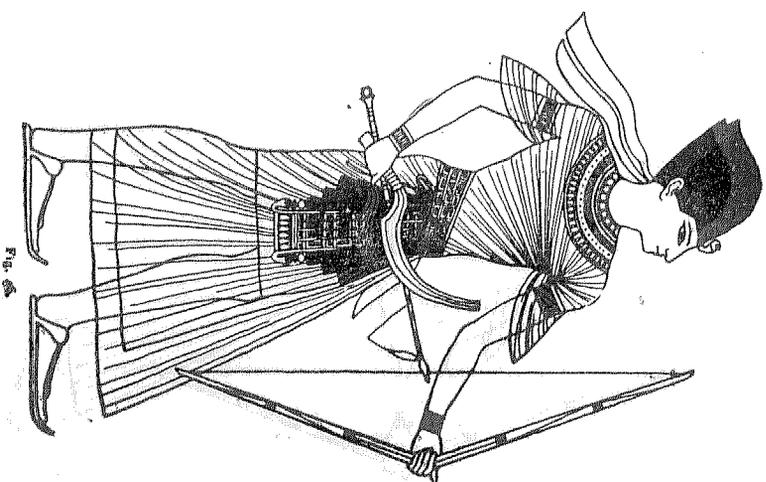
(ش ٥٩) خنجر ذهبي ذو مقبض منقوش للملك توت عنخ آمون
(الأسرة ١٨) بدار الآثار المصرية



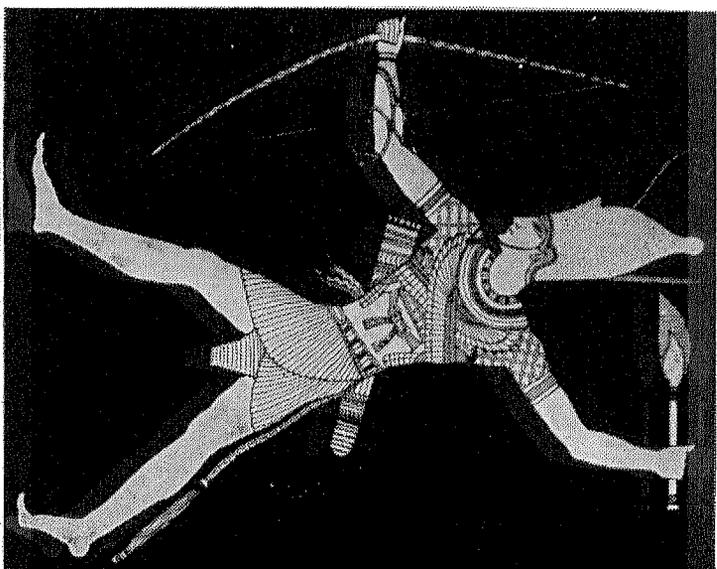
(ش . ٦٠) تمثال للقائد الملك حورمحب (الأسرة ١٨)
بدار الآثار المصرية



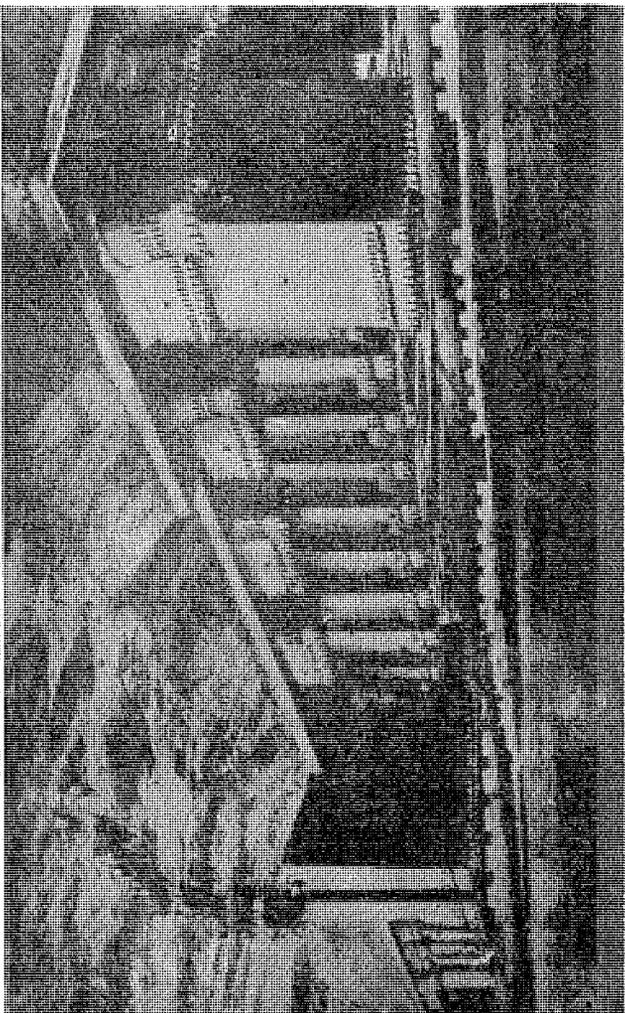
(ش ٦١) تمثال للملك رمسيس الثاني (الأسرة ١٩) بمتحف تورين
للآثار المصريه (إيطاليا)



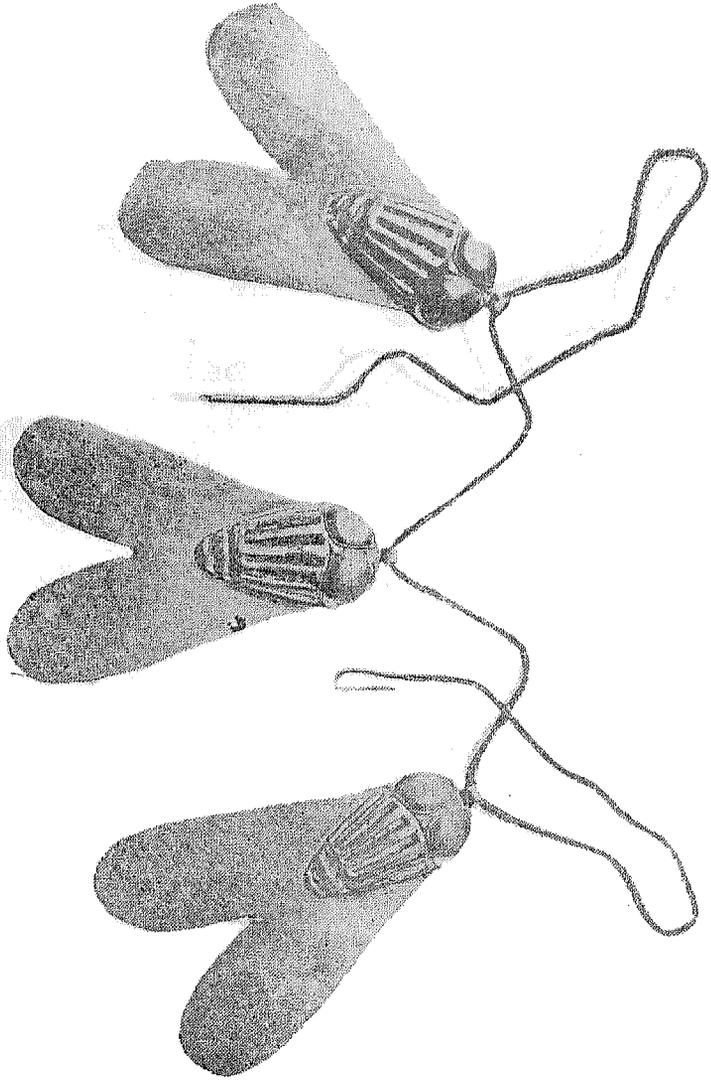
(ش ٦٣) رسمیں التات فابضا يده اليمنى على
سيفه المقوف ويده اليسرى قوسه



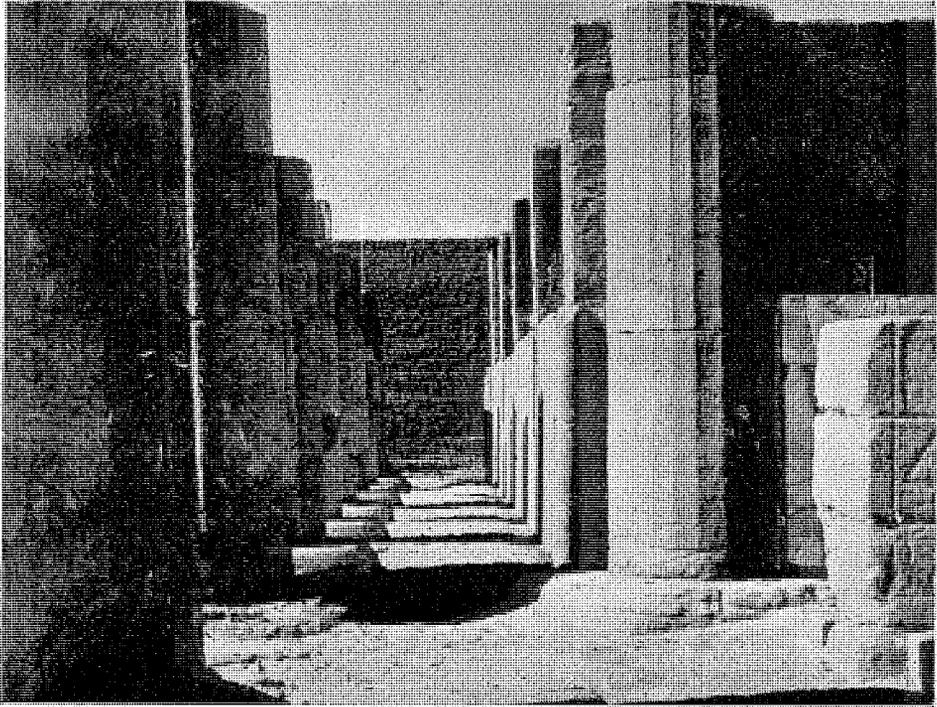
(ش ٦٢)
لوحة للملك رسمیں التات عن شاهبليون وبريس دافن



(ش ٦٤) نموذج تخيلي لحصن بوهين كما كان عليه حاله في عصر الدولة الوسطى
(من عمل الفنان البريطاني آلان سورييل وإشراف الأستاذ والتر إنزى عالم الآثار)



(ش ٦٥) تمارت الذبابة الذهبية التي يتم بها على الضغط المجهن



(ش ٦٦) معبد حصن بوهين بعد إعادة جزء من میناه

حملة تحوتمس الثالث

ان حملة هذا العاهل المصرى من الأحداث التي سجلها التاريخ ، واليوميات التي تركها لنا عنها تحوتمس الثالث على جدران معبد الكرنك نابضة بالحياة في تفاصيلها، وستظل دائماً صدارة مجيدة للأعمال الحربية في تلك العصور ، مع أنه لاشك قد تلاها كثير من حوادث العصور لاتقل عنها روعة .

معركة مجدو

طريق جيش تحوتمس الى مجدو : سنتكفي هنا بتلخيص حركات جيش «تحوتمس الثالث» الأولى التي قام بها لتنفيذ خطته التي رسمها لنفسه من بادي الأمر . فقد سار بجيشه من قلعة « سيلة » (وهي القنطرة الحالية) في اليوم الخامس والعشرين من الشهر الرابع من فصل الشتاء في السنة الثانية والعشرين من حكمه . وهذا التاريخ على حسب قول الدكتور « نلسن » يوافق ١٩ أبريل سنة ١٤٧٩ ق .م مخترقا الصحراء التي تقع على الحدود الشرقية والحدود الجنوبية لفلسطين ، فوصل « غزة » بعد مسيرة عشرة أيام فيها نحو مائة وخمسة وعشرين ميلا وكان قد حط رحاله فيها في اليوم الرابع من الشهر الأول من فصل الصيف في السنة الثانية والعشرين من حكمه، مما يدل على أن الجيش كان يقطع في سيره يومياً نحو اثني عشر ميلا ونصف الليل، وهي سرعة حسنة في بقاع معظم طرقها صحراوية قاحلة ، وبخاصة اذا عرفنا أن عددا عظيما من جيشه كانوا مشاة . ولم يمكث « تحوتمس » في بلدة « غزة » الا سواد ليلة ، وفي الصباح المبكر سار على رأس جيشه ميمما شطر « يحم » (يمحتمل أن تكون بما الحالية) وتقع على مسافة ثمانين ميلا من « غزة » وعلى الرغم من أن النقوش التي في متناولنا قد أغفلت ذكر يوم وصوله إليها ، نستطيع أن نستنبط أنه ألقى فيها عصا تسياره في اليوم الحادى عشر من نفس الشهر ، وذلك إذا فرضنا أنه كان يسير يومياً بنفس السرعة التي كان يزحف بها في ذهابه إلى غزة .

الجيش يعسكر في بلدة « يحم » ويعقد فيها تحوتمس مجلسا حربيا :

والظاهر أن الجيش قد ضرب خيامه فيها بضعة أيام استطاع في خلالها « تحوتمس » أن يطلق عيونَه ليقفوا على مواقع العدو ومكانه . وفي اليوم السادس عشر من نفس الشهر عقد الفرعون مجلسه الحربى ليتشاور مع ضباطه في أحسن الطرق التى يجب أن يقتحمها الجيش إلى « مجدو » . وسيقص المؤرخ المصرى علينا سير الحوادث (١) .

« السنة الثالثة والعشرون » ، الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر فى بلدة « يحم » لقد أمر جلالتَه أن يعقد مجلس حربى ليتشاور فيه مع رجال جيشه فيقول : ان ذلك العدو الحاسىء صاحب « قادش » قد جاء بجيشه ونصب خيامه فيها ، وهو مقيم بها فى تلك الآونة ، وقد ضم إليه كل أمراء الأقاليم الذين كانوا يدينون بخضوعهم لمصر حتى نهر الفرات ومعه السوربون وقوم « قودة » بخيلهم وجنودهم وعشيرتهم ، وأنه يقول على حسب ما وصل إلى مسامعنا ... سأقف هنا لمحاربة جلالتَه فى بلدة « مجدو » ، فحدثونى ما يدور بخلدكم فى هذا الخطب . فأجابوا جلالتَه قائلين : كيف يتسنى للمرء أن يسير فى هذا المضيق؟ ، وقد وصلتنا الأخبار بأن العدو على تمام الاستعداد هناك فى خارج المدينة ، وأن عددهم قد أمسى هائلا ، وهل يكون السير مستطاما إلا إذا سار الجواد والجندى أثر الجندى أيضا؟ ، وهل ستكون مقدمة الجيش بهذه الطريقة فى ساحة القتال فى حين أن المؤخرة تكون هناك واقفة هنا فى « عرونة » عاجزة عن محاربة العدو؟ ، على أنه يوجد طريقان آخران واحده منهما يؤدى إلى « تا عناخ » والآخر يقع فى الجهة الشمالية من بلدة « زفتى » مؤديا إلى شمال « مجدو » وبذلك لا تضطر إلى سلوك هذا المضيق الوعر .

(١) خلدت معركة مجدو بنقوشها فى معبد آمون بالكرنك ، وقد فقد كثير من تلك النقوش بسبب رداءة وتفكك الحجر الرملى الذى بنى به المعبد ، وقد ترجم لطان ونسخ أيضا عدة مرات بواسطة علماء كثيرين ، منهم برستد ، ونلسون . (أنظر للمراجع) .

وفي هذه الأثناء جرى بمعلومات عن ذلك العدو الحاسيء ، وبذلك استقر النقاش في موضوع الخطة التي كانوا يتحدثون عنها فيما قبل .

ثم أجاب الملك قائلاً :

أني مادمت حيا ومادام الإله « رع » يحبني ومادام والدي « آمون » يرعاني ، وما دام نفس الحياة يعنشي بالحياة والقوة ، فلن أسلك إلا هذه الطرق المؤدية إلى « عرونة » ، وليذهب منكم من يشاء في إحدى هاتين الطريقتين الأخيرين اللتين تحدثتم عنها وليتبعني منكم من يريد أن يسلك الطريق التي سيتخذها جلاتي لأن الأعداء الذين يعقهم الإله « رع » سيقولون : هل سلك جلالته طريقا آخر لأنه يخاف بأسناو بطشنا، وعندئذ أجابوا على جلالته قائلين : ليت الإله « آمون » والدك رب تيجان الأرضين وساكن الكرنك يرعى شعبك ويتمهده : تأمل ! إنا ستكون في ركاب جلالتك أينما توجهت لأنه من واجب الخادم أن يتبع سيده دائما . وعندئذ أمر جلالته بإصدار إعلان لكل الجيش جاء فيه : أن سيدكم الظفر سيكون في طليعتكم لاقتحام ذلك للسلك الوعر الضيق . تأملوا . لقد أقسم جلالته يمينا قائلاً أني لن أسمح لجيشي أن يشق طريقه إلا في هذا المكان ، لأن جلالته عقد العزم على أن يتقدم طليعة جيشه بنفسه . وقد وزعت التعليمات على كل جندي بالأمر بالزحف على أن يكون الجواد في أثر الجواد في حين أن جلالته كان يسير في مقدمة جيشه .

الجيش يعسكر في عرونا :

وفي السنة الثالثة والعشرين من الشهر الأول من فصل الصيف ، اليوم التاسع عشر ، استيقظ الفرعون في السرادق الملكي الذي كان قد ضرب له في بلدة « عرونا » ثم سار جلالته موليا وجهه شطر الشمال في رعاية الإله « آمون » رب تيجان الأرضين ليفتح الطريق أمامه .. وكان الإله « آمون رع » يشد ساعد جلاتي .. ورحف جلالته على رأس جيشه للنظم فرقا (ولم يجد للعدو أورا) بل كان قد عسكر جناحه الأيسر عند بلدة « تاغناخ » في الوقت الذي كان جناحه الأيمن قد ضرب خيامه في المنحنى الجنوبي من وادي مجرى « قنا » .

وقد نادى جلالته أن يسيروا في هذه الطريق ، فالتقى بالعدو فكسره وولى ذلك العدو الحاسىء الأدبار .. فبايها الجند مجدوا المليك وتغنوا بشجاعة جلالته لأن ساعده أشد بأسا من أى ملك، وأنه هو الذى سيحمى مؤخرة جيش الوطن فى « عرونا »

كانت مؤخرة الجيش المصرى لا تزال فى بلدة « عرونا » فى حين أن مقدمته قد ظهرت فى وادى مجرى « قنا » وملاً الجمود فم هذا الوادى .

وعندئذ قال رجال الجيش لجلالته . حقا أن جلالته قد ظهر بجيشه المنتصر وملاً جنوده الوادى فليصغ جلالته لقولنا هذه المرة فيحمى لنا سيدنا مؤخرة جيشه وقومه الذين معه ، وعندما تتصل بنا المؤخرة تحارب أولئك الأجانب، إذ لا نكون فى شغل شاغل من جراء مؤخرة جيشنا . وعلى أثر ذلك اتخذ جلالته مكانه عند فم الوادى حاميا مؤخرة جيشه المظفر ، وعندما تم خروج الفرقة الأمامية على هذه الطريقة كان الظل قد مال (أى عند الظهيرة) .

الجيش يعسكر عند مجدو للاستعداد للموقعة :

ووصل جلالته جنوبى « مجدو » على شاطيء مجرى نهر « قنا » فى مدة سبع ساعات بعد ميل الشمس . وقد ضربت خيام معسكر جلالته هناك ، ثم أصدر أمرا لكل رجال الجيش وهاك نصه: استعدوا أيها الجنود وانتضوا سيوفكم لأن الفرعون سيخوض غمار حرب مع ذلك العدو الحاسىء عند الصباح الباكر لأنه .. ثم ذهب الفرعون ليستريح فى السرادق الملصكى ، وقد أمد الضباط بما يحتاجون ، ووزعت الجرايات على الجنود ، واتخذ كل حارس مكانه بعد أن تلقى التنيهات بأن يكون ثابتا فى مكانه شجاعا .

مـعـرـكـة مـجـدـو

السنة الثالثة والعشرون ، الشهر الأول من الفصل الأول . اليوم الحادى والعشرون . وهو اليوم الذى أعلن فيه الضباط عيد الهلال الجديد ، وفيه ظهر

الفرعون في الصباح وقد أعطى كل رجال الجيش الأوامر للإستعداد للمعركة .
وبعد ذلك انطلق جلالته في عربته الذهبية الناصعة ، مدججا بدرعه وزرده مثل الإله
« حور » القوى الساعد رب البأس ومثل الإله « منتو » إله طيبة (وهو إله الحرب)
وكذلك كان والده آمون يشد ساعده .

وكان جناح جيش جلالته الأيسر يقف على ربوة جنوبي « قنا » ، أما الجناح
الأيمن فكان معسكرا في الشمال الغربي من « مجدو » وكان جلالته في وسطهما
يحميه الإله « آمون » في حومة الوغى . وكانت قوة بأس الإله « ست » (إله الحرب)
تدب في أعضائه ، ففاز جلالته فوزاً مبيناً وهو على رأس جيشه وقد رأوا (أى الأعداء)
جلالته والنصر حليفه ، ولذلك ولوا الأدبار نحو « مجدو » بوجوه يغمرها الذعر
والهلع تاركين خيلهم وعرباتهم المصنوعة من الذهب والفضة وتسلقوا أسوار هذه
المدينة بملابسهم (أى مستعملين ملابسهم ليتسلقوا بها) وذلك لأن أهل المدينة قد
أغلقوا أبوابها في وجوههم ، ولكنهم مع ذلك أدلوا بملابسهم ليجروهم بها إلى
داخل المدينة ولو أن جنود جلالتي لم يتهاكوا على نهب متاع العدو لكان في
استطاعتهم الاستيلاء على « مجدو » وقتئذ عندما كان عدو « قادش » الحاسىء
وعدو هذه المدينة يجرون متسلقين الأسوار ليدخلوا المدينة هرباً لأن الخوف من
جلالته كان قد سرى في أجسامهم وضعفت أسلحتهم ، واستولى جلالته على خيلهم
وعرباتهم المصنوعة من الذهب والفضة غنيمة بادرة ، أما صفوف جنودهم فكانوا قد
طرحوا أرضاً مثل السمك في حبال شبكة ، وجيش جلالتي المنتصر كان يفحص
متاعهم لأن سرادق هذا العدو الحاسىء الذى كان محلى بالفضة ... وقد أخذ
الجيش كله بأسباب الفرح مقدماً التناء لآمون لما وهبه من نصر لابنه في هذا اليوم ،
وكذلك قدموا الشكر لجلالته فخورين بانتصاره . ثم أحضروا الغنيمة التى إستولوا
عليها حتى الأيدي والأسرى والحيل والعربات المصنوعة من الذهب والفضة
والسكتان الجميل .

وقد درس الأستاذ سليم حسن المؤرخ المصرى — معركة مجدو — فى عدة
صفحات (مصر القديمة — الجزء الرابع) بعد مراجعة الأصول الأثرية للمعركة

على جدران معبد الكرنك وعلى لوحة جبل بركال بالسودان. وأفاد كثيرا مما كتبه عن المعركة المؤرخون الانجليز والألمان والأمريكان — ولذلك يعتبر ما كتبه المؤرخ المصرى مرجعا وافيا جدا .

وتناول وصف أطوار المعركة كالآتى :-

- (١) ما قيل فى الخيمة الملكية من المناقشات ورد تحتس الثالث على ضباطه
- (٢) حوادث المعسكر فى عروته
- (٣) حوادث المعسكر أمام مجدو
- (٤) الاستعداد للمعركة
- (٥) الهجوم على الأعداء والفوز عليهم
- (٦) وصف حركات الجيش فى معركة مجدو — ووصف الحصار .
- (٧) أهمية معركة مجدو فى التاريخ الحربى

وقد علق الأستاذ سليم حسن على أهمية مجدو فى تاريخ الحروب قائلا :

أن أهمية سرد حوادث هذه الواقعة لا ينحصر فى وصفها وحسب — بل كذلك لأننا نقرأ فى وثيقة تاريخية لأول مرة فى تاريخ العالم أن قائدا حرييالم تقتصر مواهبه على أنه جندى شجاع وقائد قدير ماهر فقط ، بل كانت لديه الشجاعة كذلك ليخوض غمار مخاطرة قد كان يعرف عواقبها من قبل ليصل إلى غرضه بسرعة خاطفة — بل قد أظهر فضلا عن ذلك مهارة حرية فى وجه العدو الذى جعله يتأرجح فى يده كاللعبة فى يد الصبي .

المعركة فى اليوميات التاريخية

وهذا ما نقرأه عن وصف المعركة فى اليوميات المدونة على معبد الكرنك « فى الصباح الباكر صدر الأمر إلى جميع فرق الجيش بأن تتحرك لتتخذ مواقعها وذهب القائد المعاهل فى مركبته الحرية وقد ارتدى ملابس الحرب مدججا

بالسلاح وكان يشبه الإله الصقر رب القوة وقد قوى ساعديه أبوه آمون وربط
الجناح الجنوبي لجيش جلالته فوق تل واقع في جنوب نهر قينا ، أما الجناح الشمالي
فكان في شمال مجدو الشرق بينما كان جلالته في قلب نصف الدائرة » وقد أوضح
المؤرخ ويحيل ذلك قائلا « في هذا الوضع تحرك الجيش المصرى جنوبا وكان
القلب يتألف من نخبة الجيش ، وانتشر الجناحان غربا وشرقا على شكل مروحة
للحيلولة دون التفاف قوات العدو بمدينة مجدو التي وقفت حاجزة بين الجيشين
وأبوابها موصدة وتحرس أسوارها حامية ضئيلة وقد أختبأ في المدينة الأمراء
المتحالفون الذين اجتمعوا هناك وعندئذ تقدمت قوات العدو بحركة استعداد للقتال
نحو الشرق ، وكان فرعون يقوم بمناوراته ليتخذ موقفه غربا ولا بد أن يكون
الاصطدام بين الجيشين قد حدث في مكان يقع على نحو ميلين من جنوب المدينة ،
وأخيرا قاتل المصريون في أسفل التل في اتجاه جنوبي شرقى ، وحينئذ — على
ما يقوله المؤرخ — هجم الملك ونخبة جيشه على العدو وألحقوا به الهزيمة — ففر
جنوده (أى جنود العدو) ووجهتهم مدينة مجدو والذعر أخذ منهم كل ما أخذ
تاركين خيلهم ومركباتهم المزخرفة بالفضة والذهب . أما أهل المدينة (مجدو) فقد
جذبوا اللاجئين إلى داخل المدينة بملابسهم لأنهم كانوا قد أوصدوا أبوابها فأدلوها
إليهم الثياب وجذبوهم بها (١)

يخيل إلينا أن تحوتمس باعتماده على السرعة في حركاته المحكمة واجتنابه
التعرض لعاملى البطء والانتظار ، وهما عاملان في الحرب الهجومية كان أول من
أبتكر الحرب الخاطفة التي عرفت في الحروب الحديثة ، وقد نجح فيها بدليل أن
هجوم مركبات فرعون الحربية أفضى إلى دحر جيوش يغلب على الظن أنها كانت
أكثر عددا من الجنود المصريين .

(١) أنظر سيرة نحوتمس الثالث المنقوشة على جدران معبد الكرنك وتاريخ فرعون
— جزء ثان ص ٣٤٩ لويجل

فإنه على الرغم من الجمود الحربي الذي ساد عهد حتشبسوت بدأت مصر منذ عهد
أحمس الأول وحروره لتحرير البلاد تصبح دولة عسكرية بمعنى الكلمة فقد كان
لها جيش مسلح أتم التسليح (١)

ويقول « دريتون » إن معركة مجدو كانت كارثة للأمراء المتحالفين الذين
فروا بلا نظام ولجأوا إلى مدينة مجدو المحصنة .

وبعد أن لجأ هؤلاء الأمراء الآسيويون إلى المدينة قرروا التأهب للدفاع
ويقول « دريتون » كذلك أن ملك مجدو أحاط المدينة بخنادق تقطع كل صلة
بالخارج ، ومع ذلك فبعد مضي وقت لا تستطيع تقديره لسوء الحظ — اضطرت
المدينة إلى الاستسلام ولم ينج من الأسر واحد من الأمراء المتحالفين إذا استثنينا
أمير قادش الذي استطاع الفرار . ويقول الأثرى للورخ ويجل أن حصار مجدو لم يدم
سوى بضعة أيام . ولما استسلمت المدينة وخضع الأمراء عفا تحوتمس عنهم وعينهم
موظفين أو جعل منهم حكاما تابعين للأمباطورية المصرية (٢) فأظهر بذلك تسامحا
عظيما ، والواقع أن ذلك كان دهاء من تحوتمس أو بالحري كياسة سياسية لأنه لم

(١) لم يكن هذا الجيش شبيها بجيوش مصر السالفة بل كان مزودا بسلاح جديد
هو المركبات الحربية وسرعان ما أتقن المصريون هذا السلاح والفضل في معرفتهم يرمى
لملوك الرعاة (الهكسوس) وكان السوريون يستعملونه والجنود الذين يركبون هذه
المركبات التي يجسر كلا منها جوادان كانوا يحاربون بسهامهم وحرابهم على مسافات
بعيدة فيقرر هجوم فرقتهم المتراصه مصير المعارك وكان للشاة كذلك مجهزون بأسلحة
حسنة لأن المادان حات في كل محل مكان حجر الصوان الذي كان سلاح العصور
القديمة ولم يكن معظم الجنود نصف عراه تقريبا كما كانوا في سالف الأزمان بل
أصبحوا يتقلدون دروعا مبطنه بالقطن ويفطون رؤسهم بمعائم تعيهم الإصابة إلى
حد ما (كتاب الحضارة المصرية وأصولها إلى فتح الاسكندر ص ٢٢٩ و ٢٣٠
لؤلؤه جاكبه أستاذ الآثار المصرية في جامعة نيوشاتل)

(٢) يؤخذ من سيرة تحوتمس الثالث التي ترجمها ويجل « أن الفرعون أعاد تعيين الأمراء »
أي أنه صفح عنهم وأعادهم إلى مناصبهم بصفتهم تابعين .

يستعمل حقه في الانتقام إلا من زعيم هذا الائتلاف ، ويعنى به أمير قادش الذى
لاذ بالفرار فقد قبض على أولاده واقتادهم إلى طيبة كرهائن^(١)

وجرى تحوتمس بعد ذلك فى كافة حروبه التى انتهت بالانتصار فى آسيا على سنة
القبض على أبناء أمراءها واقتادهم إلى طيبة كرهائن سواء أكان هؤلاء الأمراء
مهزومين أو حلفاء نوار أو خاضعين .

وهؤلاء الرهائن الذين كانوا يهبأون لحكم بلادهم تحت سيادة الامبراطورية
المصرية كانوا يرسلون منذ نمومة أطفارهم إلى مدارس أوقل إلى الأكاديميات
الحرية التى أنشأها تحوتموس فى طيبة لكي يتلقوا فى بيئة مصرية تعليماً مطابقاً لخطة
رسمها الفرعون وقصد بها إلى توحيد سياسى وثقافى ، وقد كان من وراء هذا
الأسلوب البارع فى التربية أن وجد لفراغة الأسرة الثامنة عشرة ولإعصافاً من
الأمراء الأجانب التابعين لهم .

وعاد تحوتمس إلى مصر ، وبلغ طيبة فى ١١ أكتوبر ١٤٧٩ ق . م فى أحتفال
رائع .

الغنم :

ان قائمة الغنم التى غنمها تحوتمس الثالث فى مجدو ، أتى ذكرها فى نقوش
الكرنك وهى تكشف لنا عن ثروة تلك البلاد المفتوحة وما كان يتمتع به أمراء
سورية من نعم العيش والأبهة ، فضلاً عن أنها تعطينا فكرة عن مدى ما كانت
عليه تلك البلاد من التقدم فى الصناعات والحرف وفنون الحياة .

(١) مما يحسن ذكره أن المصريين لم يقبضوا على عائلات الزعماء الواقفين فى أسرم فى مجدو
ولم يصادروا أمتعة بيوتهم لأنهم ظفروا بالعبو . أما ملك قادش فلكونه زعيم هؤلاء
الأمراء فقد صودرت أمتته الخاصة وأخذ أبناؤه رهائن ويظن أنه تمكن من
الهرب ووصل إلى قادش مدينته حزينا كئيبا وإن يكن قد نجح بحياته (كتاب تاريخ
فرعون ج ٢ ص ٣٥٦ لويجل)

وسنذكر هنا بالتفصيل قائمة هذه الأسلاب التي استولى عليها الجيش المصري من مجدو لنعطى فكرة عامة عن مقدار ثراء القوم واستعداداتهم التي كان لا بد للفرعون أن يقف أمامها وجها لوجه .

فاستولى على ثلثمائة وأربعين أسيرا وثمانين يدا (كان الجندي تقطع يده) وألفين وواحد وأربعين فرسا ومائة وتسعين مهرا وستة جياد وعربة مغشاه بالذهب وقضبانها من الذهب من متاع العدو . وعربة جميلة مصفحة بالذهب يمتلكها أمير مجدو ، وثمانمائة واثنين وتسعين من عربات جيشه المخدول ، مجموعها تسعمائة وأربع وعشرون عربة ودرع جميل من البرونز ملك الأعداء ، ودرع آخر من البرونز لأمير مجدو .. وطل مائتي درع من دروع الجيش الحاسر ، وطل خمسمائة قوس وسبعة قضبان من خشب المرو مصفحة بالفضة وهي من قضبان سرادق العدو « واستولى جلالته على شتى أنواع الحيوان من المدينة » ثلثمائة وخمسة وثمانين . وألف وتسعمائة وتسعة وعشرين من الحيوانات الكبيرة وألفين من الحيوانات الصغيرة . وعشرين ألف وخمسمائة من حيوانات بيضاء صغيرة .

هذا بالإضافة إلى كل السلع التي هي ملك تلك المدن التي خضعت وأحضرت لجلالته وهي : أربعائة وسبع وأربعون من نسائهم ، والأمراء الذين كانوا معهم وثمانى وثلاثون سيدة من سيداتهم وسبعة وثمانون طفلا من أطفال العدو من الأمراء الذين كانوا معه وخمسة من أشرفهم وألف وستمائة وستة وتسعون من الذكور والأنثى من العبيد والأماء والأطفال ، هذا غير المحاربين الذين استسلموا بسبب الجوع الذي لاقوه ، ومائة وثلاثة رجال فيكون مجموعهم ألفين وخمسمائة وأثنين (والعدد للدون فعلا هو ألفان وتسعة وعشرون فلا بد أن يكون العدد الناقص وهو أربعائة وأربعة وسبعون) قد جاء ذكره في الأماكن المهشمة من المتن . هذا إلى الأطباق من الأحجار الغالية والذهب وأوان أخرى . وأثناء ذى مقبضين من صنع خارو (البلاد الآسيوية) وأوان وأطباق مفرطحة وأقداح للشرب مختلفة وغلايات وسكاكين يبلغ وزنها سبعمائة وأربعة وثمانين دينارا (أى أن

الأدوات السالفة الذكر يبلغ وزنها ١٩١ رطلا من الذهب) هذا إلى خواتم من الذهب كانت في يد الصناع وفضة مصنوعة وخواتم عدة تبلغ زتها نحو تسعمائة وستة وستين دينا (أى ما يقابل ٢٣٥,٤٦ رطلا من الذهب) وتمثال من الفضة مصنوع ورأسه من الذهب وعصا بأوجه بشرية وستة كراسى للعدو من العاج والأبنوس وخشب الحروب كلها مغشاه بالذهب وستة مساند للأقدام من متاع العدو ، وست مواثد من العاج في هيئة صولجان من متاع هذا العدو أيضا وكلها مصفحة بالذهب وتمثال لهذا العدو من الأبنوس مصفح بالذهب ورأسه مرصع باللازورد وأوان من الشبه وملابس كثيرة للعدو .

وهذه المدن الثلاث التي استولى منها فرعون على الأسلاب الأخيرة تقع بعضها قريبة من بعض في الطرف الشمالى من لبنان ؟ وقد هاجمها تحوتمس الثالث عن قصد لغرض معين وذلك لأنه فسكراً أولاً في إيجاد وسيلة لمنع ملك قادش من الوصول إليها . وكان هذا لم يقهر بعد ، فزحف جنوباً ليجمع الطريق الشمالى الواقع بين جبال لبنان في قبضة يده لأهميته بالنسبة لحركاته الحربية ولذلك سار تحوتمس بجيشه شمالاً واستولى على هذه المدن . ومما يؤيد صحة ذلك أنه بنى هناك قلعه « تحوتمس قاهر الأجانب » .

وبعد أن تم لتحوتمس النصر على هذه الصورة وجه عنايته لتنظيم البلاد التي فتحها فقد أصبحت فلسطين ولبنان خاضعتين لسلطانه وكذلك الجزء الأعظم من بلاد فينقيا، وفي أعقاب ذلك لم يتحول نظر تحوتمس عن غايته الأولى ، وهي بسط السيادة المصرية إلى نهر الفرات لكي يقضى على دولة الميتانيين ، ولتحقيق هذه الغاية كان عليه أن يهزم بادىء ذى بدء من كانا يعاونان هذه الدولة وهما أمير قادش الذي تمكن من الفرار في معركة مجدو وأمير تونيب حليفه الجديد . وكان هذا الأخير يحكم بلاداً واقعة في شمال سورية تجاور نهر العاصى والنهرين ، ولكي يصل تحوتمس إلى شمال سورية التي كان طامعاً فيها عن طريق فلسطين وقد فتحها من قبل — كان مضطراً للاجتياز مضيق فينقية وإنشاء مراكز التموين في مختلف مواضعها تسهيلاً لنقل جنوده على وجه السرعة ، ويقول المؤرخ دريتون « ان الملك أدرك أنه لا يستطيع

مواصلة فتوحاته إلا إذا ضمن لنفسه قاعدة بحرية في فينيقية لأن السفر بحرا من مصر إلى سورية كان أقل مشقة وأقل نفقة وأقصر شقة ، ثم أن الأسلاب والغنائم التي كان للملك يحملها سنويا ، كان نقلها بطريق البحر أيسر منه كثيرا بطريق البر .

لهذا وجه تحوتمس جهوده فيما بعد الى الموانئ الفينيقية واستولى على مدينة (أوارتيت التي لا يعرف موقعها بالضبط) وعلى مدينة أرواد القريبة من البحر غيران الراجح أنه أنشأ قاعدة بحرية ثانية في مدينة بيبولوس التي كان لمصر فيها نفوذ عظيم منذ أجيال . وكان تحوتمس ينزل جنوده تارة في سيمير وتارة أخرى في أوارتيت وأحيانا في بيبولوس ليواصل السير الى هدفه الأكبر وهو اخضاع الميتانيين فتمكن بين سنتي ١٤٨٠ و ١٤٧٤ ق . م من دحر أمير قادش بعد مقاومة عنيفة واستولى على مدينته ، وكسر أمير تونيب وقع مانشب من ثورات فخضع له عدد كبير من عشائر المدن الفينيقية ، وحمل منها غنائم هائلة .

وهنا يقول المؤرخ ييرمونييه أنه تم الاستيلاء على أسطول بيبولوس وكذلك على سفن النقل المصرية لكي تنقل عليها الى مصر الاسلاب العظيمة التي غنمها الفاتح (١) وفي سنة ١٤٧٣ ق . م وهي السنة الثالثة والثلاثون لحكم تحوتمس كان هذا الباب قد بلغ ذروة مجده فسار الى بيبولوس مجتازا هذه المرة طريق غزة القديم حيث شيد سفنا من خشب الارز وحملها على مركبات تجرها الثيران سارت خلفه في زحفه الحثيث نحو النهر حيث استمرت رحى الحرب دائرة بين مصر وميتاني ، وبعد بضع مناوشات مع الطليعة التحم فرعون بأعدائه ، وقد انضم اليهم أمير كركميش ، ثم دارت بين تحوتمس وبينهم معركة حامية الوطيس في غرب مدينة حلب الحالية . ويقول دريتون أن الملك تمكن من قهر العدو ودخل أرض كركميش وأتت المعركة العظيمة في صالح مصر (٢) .

(١) مونييه : بيبولوس ومصر : ص ٣٧٩

(٢) دريتون : شعوب شرق البحر المتوسط ، ص ٣٨٨ . أنظر أيضا : فينيقيه : للمؤرخة بات بطوطة .

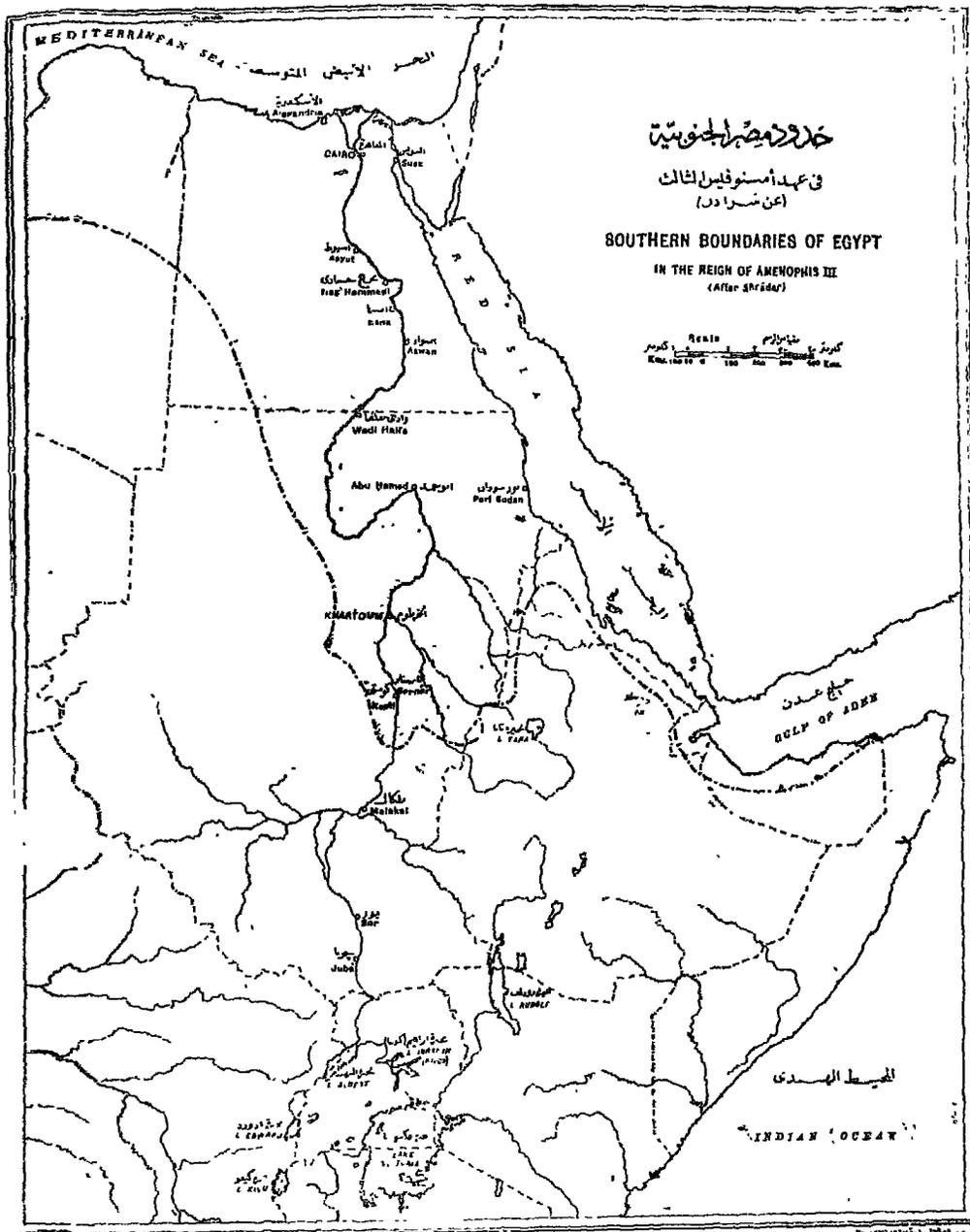
ويعتبر بعض المؤرخين معركة مجدو غير حاسمة ، فان الامارات الشمالية اجتمعت كلمتها ثانية لمقاومة الفرعون . فزحف اليها مرة أخرى ، ثم شن عليهم عدة حملات كانت القاضية عليهم في السنة الثلاثين من حكمه . ومع ذلك فانه لم يتغلب على الاسيويين تماما ، الا في أواخر أيام حكمه ، بعد أن أخضع غرب آسيا تماما . وفي ذلك العهد اتسعت رقعة الامبراطورية المصرية اتساعا لم تصل اليه من قبل .

لم يحافظ خلفاء تحوتمس الثالث على ملك مصر الواسع ، فقد انتهز الأمراء الآسيويون بزعامه ملك خيتا ، ضعف الحكام المصريين وأعلنوا عصيانهم ، ولكن من حسن التوقيت أن اعتلى العرش ملوك من طراز تحوتمس ، وهم الرماسية فوطدوا العزم على استرجاع ما فقد . وبدأ سبقي الأول في اصلاح طريق فلسطين الصحراوي ، ووجدد مباني القلاع وخزانات المياه . ثم أوفد جيوشه لتستعيد السيطرة على الأقاليم الآسيوية ، وأخضع قادش ، وعقد معاهدة مع الحيثيين . وأكمل رمسيس الأول ما لم يتمه أبوه .

رمسيس الثاني

وهاهو ذا ملك محارب ، ومؤسس امبراطورية .. جلس رمسيس ٢ على العرش وكان الحيثيون قد بسطوا نفوذهم على غرب آسيا ، واستولوا على قادش . فبدأ غزواته لاستعادة الممتلكات المصرية ، بأن استولى على الشواطئ السورية ليستخدم موانئها .

وبدأ يمد جيشه وينظمه ، استعدادا للضربة القاصمة ضد أعدائه الخارجين عليه وكان ملك خيتا زعيم الحركة الانفصالية في غرب آسيا .



(ش ٦٧) حدود مصر الجنوبية في عهد أمينوفيس ٣ ابن تحوتس الرابع

الامبراطورية المصرية الثانية

الأسرة التاسعة عشرة (ح ١٣٤٢ — ١٢٠٠ ق . م)

فإذا انتقلنا من فتوح تحوتمس ٣ والذين خلفوه من أمثال تحوتمس الرابع ، وأمنحتب ٢ ، ٣ لوجدنا أمامنا أمبراطورية عظيمة ... حتى يحكم البلاد إختاتون (أمنحتب الرابع) ، فينهمك في الشئون الدينية ، ويبدأ إنحلال السيادة المصرية في آسيا إلى أن تنتهي في أيام توت عنخ آمون ، وسرطان مايقوم البطل حورمحب فيمسك بمقاليد الحكم ويؤسس الأسرة التاسعة عشرة على أنقاض سابقتها ، فيصلح ما أفسده أسلافه ، ويأخذ في دعم أسس الإمبراطورية الثانية .

كان حورمحب (ح ١٣٤٢ — ١٣٠٣ ق . م) قائد الجيش العام في أيام إختاتون وتوت عنخ آمون ، ثم تزوج من شقيقة هذا الملك « نفرتي » ليدعم مركزه . ، واتخذ لقباً ملكياً « حبيب آمون » عندما استعاد ثانية كهنة آمون مراكزهم الدينية للمروقة بعد تخلى الشعب عن عبادة آتون . وقد عرف حورمحب بثقافته الممتازة ، وكان يعجب الناس بأقواله منذ كان يقف بين يدي مولاه توت عنخ آمون يتحدث إليه في أمور الدولة وسياستها ، كما كان الفرعون يسر بحديثه . ولمس في القصر نواحي الضعف أيام إختاتون وخليفته ، وأسهم في حركة الثورة الدينية أيام العمارنة وتغلغل في شئون القصر فعرف أسرارها ، كما فعلت زوجته ، وكانت مرضعاً لنفرتيتي^(١) . وعلى العموم ، فقد كانت مهارته السياسية ، ومعرفته بطبائع الناس ، وسلطانه على رجال الجيش ، يضاف إلى هذا قوة إرادته ، ولباقته في معالجة

(١) د . أحمد بدوى : حورمحب ، مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الأول) ، المجلد ١٠ ، ج ١ ، ص ١٢٥ — ١٤١ ، عام ١٩٤٨ .

الأمور ، كانت هذه جميعا من العناصر الفعالة التي أثرت في حياة حور محب ، وبناء مستقبله ... وقد فاز بتحقيق آماله فأصبح ملكا في ظروف تعصف بالبلاد الأزمات ، فعمل على إنقاذها وأصبح أبا للشعب وصديقا له . فأصلح القوانين وجعلها أكثر عدلا وانصافا ، وعنى بالجيش الذي خرج من صفوفه وأمضى صباه بينه والمعروف عنه أنه قاد هذا الجيش في حملة إلى سورية ليدعم سلطان مصر في الولايات التي كادت تستقل بأمورها ، بيد أنه لم يتوسع في حملته لضم أراض جديدة . كما أنه قاد حملة أخرى إلى السودان ، وأوفد بعثة إقتصادية إلى بلاد بونت .. ولما مات ، دفن بوادي الملوك حيث وجدت مقبرته ، ولسكن جثته لم يعثر عليه .

أعتلى العرش من بعده رمسيس الأول، ثم سبى الأول (١٣٠٢—١٢٩٠ ق.م) الذي استرجع فلسطين وأخضع البدو والفينيقيين في الشرق ، كما حارب الليبيين في الغرب ، ولسكن أهم حروبه وقعت في الشرق وفي سورية بالذات ووصلت جيوشه إلى لبنان حيث اصطدم بالحثيين، وسنقرأ في الصفحات التالية ماتم بمجهود خلفائه ...

معركة قادش

(١٢٨٩ ق . م)

مصادر المعركة الأصلية :

كان «شامبوليون» أول من اهتدى إلى قصيدة المعركة المسماة «قصيدة بنتاؤر» وكان «سالفوليني» أول من تولى دراستها عام ١٨٣٥ ، إلا أنها كانت دراسة بدائية وتبعه «لبنورمان» عام ١٨٥٨ بدراسة أخرى تضمنت أخطاء خطيرة في ذات الوقت لأنه لم يستخدم نصوص المعركة المنقوشة على جدران معبد أبي سنبل ، ومثل هذه الأخطاء كشفها «شاباس» وأضاف ملاحظاته عن المعركة معتمدا على التقارير الأصلية التي سنذكرها فيما بعد . ولم يكتف بذلك فحسب بل جمع متنا تضمن النقوش الأثرية للمعركة في الرمسيوم وأبي سنبل فجاء بحثا غاية في الدقة .

ثم أقبل بعدهم «ديروجيه» ، ولم يكن بحثه الرائع لقصيدة بنتاؤر المعروفة التي ندين اليها كأول مصدر عن معلوماتنا الأولى للمعركة ، تحقيقا للمعركة ، بل كان هدفه التثبت من النص والاضطلاع بالترجمة الصادقة ، لهذا كان بحثا أدبيا بحثا .

وجاء «بروجش» الألماني فأصدر مقدمة منمقة باللغة الألمانية، لكنه لم يحاول تحليل و«هضم» المعركة أو شرح تفصيلاتها وإيضاحها .

ولم يستفد الأب تومكنز في بحثه بكل المعلومات التي استقاها من النصوص ، إلا أنه قدم عرضا لا بأس به بما وصل إليه علمه . أما للـؤرخ إرمان فقد وُصف الحوادث كما هي مصورة ، وشرح أسلوب الحياة كما رآها منقوشة ، ولم يطلع علينا بدراسة تبين استعداد الجيوش وترتيبها . وبين ماير بحذقه وذكائه طبيعة هجوم الحثيين ، بيد أنه لم يشرح المناورات الابتدائية التي مهدت للهجوم .

وكان الملخص الذي أمدنا به « مولر » عبارة عن وصف جغرافي لقادش وما جاورها، وليس فيه شيء عن دراسة المعركة، ثم قدم المؤرخ ماسبيرو في كتابه كفاح الأمم، بحثاً مستفيضاً عن معركة قادش، وأبرز للناورات الجوهرية التي أدت إلى المعركة وكان ذلك في عام ١٨٧٥. ومن الغريب أننا نلاحظ بعض الأخطاء في آخر دراسة له عن المعركة لا نلاحظها في دراسته الأولى. ولا نعلم إذا كان هذا الخطأ وقع منه إهلاً أو عمداً. ومضمون هذا الخطأ أنه ذكر أن رمسيس كان يرى في معسكر « شابتونا » إلى جنوب قادش عندما بدأت المعركة بينما كانت جنوده قد قامت قاصده الشمال الغربي أو شمال قادش، وأنه عسكر هناك قبل المعركة — وقد أحتوت الصور البارزة للمعركة على نقش يبدأ بالعبارة : « وقف الملك حينما عسكر بجنوده في الشمال الغربي من قادش » بينما فرت فرقة رع نحو الشمال عندما هوجم للملك، إلى حيث كان الملك في الشمال.. فكيف تفرقوا إلى الشمال من معسكر للملك وانضموا إليه في الشمال. هذا ليس واضحاً، يجعلنا نضع قوات رمسيس في جنوب قادش. وبينما تؤيد المصادر أنه كان في شمال قادش. وأن جيشه كان في الشمال أي في مقدمة الملك فإننا نجد مصادر أخرى تؤكد بدون التباس. أو غموض أن فرقة رع كانت في مؤخرة الملك. ولكننا نجد فيما كتبه ماسبيرو عن ترتيب قوات للمعركة ما يرجع الوقائع إلى أصولها الصحيحة (١)، ومنذ خمسين سنة تقريباً عاد « شاباس » فصحح هذا الخطأ المحير وأزال الارتباك الذي كان يسود التفاصيل.

إن هناك كثيراً من نقط الخلاف في مصادر المعركة. ومن المهم أن نقدم بياناً وجيزاً عنها قبل الخوض في المعركة ذاتها، فهناك ثلاثة مصادر هامة.

المصدر الأول:

ملحمة بنتاؤر — « Pn-t-Wr-t » : أثبتت للسورخ إرمان أن بنتاؤر لم يكن إلا ناسخاً للقصيدة وليس مؤلفاً، وسنشير إلى هذا المصدر فيما سنكتبه عن موضوع المعركة بكلمة قصيدة.

المصدر الثاني:

تقرير المعركة للنقوش على جدران الهيكل في شكل نقوش بالهيلوغريفية..وهي تصوير للحوادث الرئيسية وسنشير إلى هذا المصدر بكلمة « تقرير » .

المصدر الثالث :

النقوش على جدران المعابد — كسجل لحوادث المعركة — تصحبها الكتابات المفسرة

فالقصيدية أهم مصادر معركة قادش — ولو أننا فقدنا الخمسة والعشرين سطرا الأولى منها — هي عبارة عن وصف سفر الملك من مصر إلى قادش . وبيان مواقع الفرق العسكرية الأربع التي تألف الجيش منها في تحركها إلى لحظة هجوم القوات الآسيوية عليها ولا تختلف القصيدة في الشكل ولا في الجوهر عن التقارير التي خلفها الفرعنة الآخرون ، كمنفتاح ورمسيس الثالث عن معاركهم . والقصيدة برمتها ليست شعرا من ناحية التركيب ولكنها في صورة شعرية زاهرة ، منمقة الأسلوب ، على نسق ماجاء في وصف انتصارات الأسرة الثانية عشرة . وما يتعين تبينه أن هذه القصيدة سجلت في أسلوبين : أولهما بالهيوغليقية والآخر بالهيرايطيقية .

وقد ذكر « بروجنش » أن النصوص الهيوغليقية منقوشة على جدران معبد الرمسيوم مرتين وفي معبد الأقصر وأبي ممبل وبيت الوالى ، ويقول ماسبيرو أن هذه الملحمة نقشت في كل مكان في النوبة وفي الصعيد وأبي ممبل وبيت الوالى والدر والأقصر والكرنك .

والراهن أنها لا توجد في أى مكان في النوبة وفي الرمسيوم ، بيد أنها توجد على جدران معبد الأقصر والكرنك وأيدوس وأبي ممبل .

أما النسخة الهيرايطيقية فواحدة ، عبارة عن لفافة من جزئين تسمى « برديه رافيه » وهي بالووفر وتشمل بداية وصف المعركة ، والثانية « برديه سالية » في المتحف البريطانى وهي لائتمة للجزء الاول .

ولما كانت النصوص التي جمعها لم تشر الى نسخة ايدوس ، فقد قام برستيد بترتيب كل النسخ بالهيروغليفية والهيراطيقية في أعمدة متوازية ، ثم جاهد الأستاذ لارمان في تنسيقها مستعينا ببردية سالية الأصلية الموجودة في المتحف البريطاني ليستخدمها في « قاموس برلين » وبذا تسنى تنظيم بردية ساليه ونصوص أيدوس ونقوش الأجزاء السفلية في معبد الأقصر وصور الكرنك الفوتوغرافية .

وكان التقرير « Record » هو السجل الرسمي للمعركة ، غير أنه ليس كاملا كالقصيدة في وصف سير ومواقع الحثيين ، الا أن روايته تامة عن التاريخ الداخلي الذي أفضى برميسيس الى توجيه تقدم جيشه بلا حذر الى شمال قادش ، وبدنك قدم لنا أول خدعة حربية عرفت في التاريخ العسكري ، وقد خلت القصيدة من هذه الحقيقة . وهذا التقرير محفوظ في ثلاثة أماكن ، على جدران معبد أبي سنبل وفي الرمسيوم وفي معبد الأقصر .

وعلى العموم فينبغي علينا أن نذكر أن هذه النقوش حفرها الفنانون على جدران المعابد سبع مرات في أيام حكم رمسيس الثاني في أيدوس والرمسيوم (مرتين) والكرنك والأقصر وأبي سنبل والدر . ومعظم نقوش أيدوس أيدت أما زميلتها في الدر فقد أندثرت ولم يبق منها شيء .

وتعاني كل هذه الأصول الأثرية للمعركة عيبا مشتركا ، ففرضها الرئيسي إنما كان لتصوير شجاعة الملك الشخصية ، أما تسجيل حركات الجيش فيلوح أن الغرض من نقشها كان لبيان جرأة الملك في أثناء هجومه على العدو حينما فصل عن قواته الرئيسية وتقهقرت بعض الوحدات .

والأحوال التي أدت برميسيس الثاني الى محاربة الحثيين اكتشفت بعد دراسة وسائل تل العمارنة ، فقد وصل الحثيون إلى أعالي منبع نهر الأورنت في تقدمهم نحو الجنوب وحشدوا قواتهم على مقربة من بحيرة حمص .

وكان رمسيس في السنة الرابعة من حكمه قد وطد اقدمه على الساحل الفينيقي بعد غزواته الأولى الى ما يجاور بيروت وأقام نصب حدوده على شواطئ نهر الكلب وطلق يعد نفسه لمقابلة الحثيين .

وأما عدد الجيش فلم نقف له على أثر أو دليل ، مع أنه تقابلنا أحصائيات للجيوش المصرية في حملات صغيرة (١) ليست لها أهمية معركة قادش ، الشيء الذي يفصح عن — أمهلم ذكر عدد جيوشهم في الحملات الكبيرة ا وقد ذكر ديودورس أن عدد حملة قادش بلغ ٤٠٠ر٠٠٠ من المشاة و ٢٠ر٠٠٠ من الخيالة ولكن مثل هذه الأرقام — ولا نزاع — مبالغ فيها .

وقد يكون أقدم إحصاء ذكره النبيل « أونا » (من قواد المملكة المصرية القديمة) لما قاد حملته إلى سيناء وفلسطين ، فقد قرر أن عدد رجاله بلغ عشرات الآلاف ، ولكن مثل هذا التقدير لم تدعمه مستندات أو مراجع أخرى ، فضلا عن أنه رقم مهم . أما حملة الحملات التي حشدتها الملك بنتوير امنحتوب (٢١٠٠ ق . م) فقد بلغ عدد رجالها عشرة آلاف مقاتل من البدو الرحل أهالي المديرية الجنوبية وثلاثة آلاف بحار من الدلتا فيكون مجموعها ثلاثة عشر ألف مقاتل . وأرسل الملك « سنكيبرى » من ملوك الأسرة الحادية عشرة الى الحملات في حملة أخرى قوامها ثلاثة آلاف مقاتل . وهناك حملات صغيرة أخرى نهض بها حكام المديرية ، تألفت الواحدة منها من ستمائة وأربعمائة مقاتل .

وهذا أمنمحت الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة أرسل جيشا من ألف مقاتل إلى محاجر الحملات — وكان معهم ٣٠ من صناع المحاجر و ٣٠ بحارا و ٢٠ من رجال الأمن . وقد أرسل كذلك قوة مؤلفة من ٧٣٤ جنديا إلى وادي المغارة في سيناء .

ولم تصل إلينا إحصائية دقيقة عن عدد رجال حملات الأسرة الثانية عشرة .

أما عن حملات الأسرة التاسعة عشرة فقد أرسل رمسيس الثاني جيشا إلى الحملات كان مؤلفا من الجنود المرتزقة / ١٩٠٠ من الشردانا و ٦٢٠ من كيبك (٢) و ١٦٠٠ من مشاواشا و ٨٨٠ من العبيد ، وبلغ مجموعهم ٥٠٠٠ مقاتل .

(١) حملات التناجم في سيناء أو وادي الحملات أو الحملات التي وجهت لفتح بلاد النوبة .

واتضح لنا من نقوش معبد الكرنك الكبير التي تبين الحرب الليبية التي شنها منفتحاح (القرن الثالث عشر ق . م) أن عدد القتلى من الأعداء قد بلغ ٩٣٧٦ ، ووقع في قبضته من الأسرى ما يقرب من هذا الرقم . وفي حرب ليبية أخرى مشابهة لتلك ، شنها رمسيس الثالث في السنة الخامسة من حكمه بلغ عدد قتلى الأعداء ١٢٠٥٣٥ ، وفي الحرب الليبية التالية كان عدد قتلى الأعداء ٢١٧٥ والأسرى ٢٠٥٢ وتألقت الحملة التي أرسلها الملك ذاته إلى محاجر جبل سلسلة من ٣٠٠٠ رجل — من بينهما ٢٠٠٠ من الجنود . ولم يكن غرض الحملة لأسباب عسكرية أو تأديبية بل كان القصد منها المعاونة في أعمال النقل .

وأرسل رمسيس الرابع حملة إلى محاجر الحمامات وصل عدد رجالها ٨٣٦٨ منهم ٤٠٠٠ جندي وكان الهدف منها حماية العمال في المنطقة وتقديم المساعدة لهم .

ومن المصادر القديمة التي تلقى قليلا من الضوء على عدد القوات في ذيك العهد خطابات تل العمارنة ، وقد تضمنت أرقاما ليست كبيرة بعكس الأرقام التي تصادفنا في المصادر القديمة للغاية ، كما ينبغي علينا ألا نعتمد على ما أورده هيرودت أو ديودور من الأرقام الضخمة المبالغ فيها . وعن جيوش البطالسة لا نقف على إحصائيات صحيحة وكل ما ذكره المؤرخون منها يعد أرقاما تقريبية .

وعلى كل ، فقد كانت جيوش مصر في العهد القديم الأول قليلة العدد ، بينما كانت الجيوش الليبية المهاجمة أكثر عددا من الجيوش المصرية للدفاع . وأقرب الأرقام إلى الصحة كانت ٢٥٠٠٠ أو ٣٠٠٠٠ ، وتألّف جيش رمسيس الثاني من أربع فرق بينها بعض القوات المرتزقة من شاردانا الذين تكونت منهم المشاة الثقيلة ولا يتيسر لنا أن نقرر بالضبط عددهم في الجيش . كما أنه من الصعب تحديد عدد قوات المشاة أو قوات المعجلات الحربية .

وقدر ماسبيرو عدد قوات الجيشين وحلفائهم بعشرين ألف مقاتل (١) . . ومن المستبعد أن يكون جيش رمسيس الثانى أقل عددا من ٢٠.٠٠٠ وهو أقل عدد يستطيع به القضاء على قوات الحيثيين . وعلى ذلك يكون قوام الفرقة الواحدة خمسة آلاف مقاتل — لأنه إذا كان قد أستطاع أن يوفد حملة صغير إلى الحملات تعدادها خمسة آلاف ، فمن السهل أن يصل جيشه فى حرب كبرى إلى عشرين ألفا على أقل تقدير، إن لم يك أكثر قليلا .

حملة رمسيس الثانى

فى أخريات شهر أبريل من العام الخامس من حكم رمسيس الثانى — كما ذكر فى القصيدة المنسوبة إلى بنتاؤر — قاد حملته مبتدئا من نارو فى الشمال الشرقى من حدود مصر . وكانت تتألف من أربع فرق — يقود الأولى منها وهى فرقة آمون التى كانت مقدمة الجيش — تتبعها الفرق الثلاث فرقة رع وبتاح وسوتخ .

والطريق الذى اتبعته تلك الفرق فى مسيرها فى فلسطين من الصعب معرفته بالناكيد . ولكن ما كادت تقترب من جنوب لبنان حتى اتخذت الطريق المحاذى — كما يتبدى من نصوص قصيدة بنتاؤر — وكان رمسيس قد ثبت قدميه عليه فى العام السابق للحملة — بعد احتلاله مكانا على الشاطئ أطلق عليه اسم رمسيس — هذا المكان يقع عند مصب نهر الكلب حيث أقام نصبا لا يزال فى مكانه إلى اليوم .

وعقب ثلاثين يوما (٢) من مغادرة الملك مدينة نارو أقام معسكره جنوبى مدينة قادش واتجه صوب الشمال إلى نقطة تقع جنوبى وادى الأورنت .

١ — دفع الحيثيون إلى الميدان لمقاتلة المصريين — ٢٤٠٠ عجلة حربية ثم أرسلوا ألفا أخرى . وكان فى كل عجلة ثلاثة جنود — فىكون مجموع القوات ١٠٠٠٠٠ — وكان تحت أمرتهم أيضا ٨٠٠٠ من المشاة — وبذلك وصل المجموع الكلى حوالى ٢٠٠٠٠٠

٢ — بمتوسط سير ١٣ ميلا تقريبا فى اليوم .

ولا يتعين علينا ان نتتبع رهسيس إلى المعركة التي كان ينتظر نشوبها في قادش .
 قبل التعرف إلى جغرافية أرض للمعركة— فعند هذا البحث نصطدم مباشرة بالحقيقة
 للعقدة حيث الجغرافية وطبيعة الأرض في فلسطين معروفة ومدروسة جيدا على عكس
 ماتم منها في شمال سورية (١)

والنقط الرئيسية التي تفيدنا في فهم المعركة وسيرها هي :

- ١ — قادش .
- ٢ — المرتفعات الواقعة جنوبي قادش .
- ٣ — شابتونا .
- ٤ — أرانامى .

قـادش :

عندما نذكر أن رمسيس أتجه شمالا محاذيا نهر الأورنت للوصول إلى قادش .
 وأن هذا الاسم كان يطلق على بحيرة حمص كما ورد في تاريخ « ابو الفداء » يتضح
 لنا أنه ينبغي البحث عن قادش على نهر الأورنت بالقرب من البحيرة المذكورة
 وقد وصف المؤرخ أبو الفداء (القرن الرابع عشر) بحيرة قادش كما يلي :

« بحيرة قدس وهي بحيرة حمص طولها من الشمال إلى الجنوب نحو ثلث مرحلة
 وسعتها طول السد الذي سنده كره ، وهي مصنوعة على نهر الأورنت فانه قد صنع
 في طرف البحيرة الشمالي سد من حجر من عمارة — الأوائل وينسب إلى الاسكندر
 وعلى وسط السد المذكور برجان من الحجر الأسود ، وطول السد شرقا وغربا
 الف ومائتان وسبعة وثمانون ذراعا وعرضه ثمانية عشر ذراعا ونصف ، وهو حابس

١ — لم نرجع في ذلك الى الخارطات التي عملت خلال الخمس والعشرين سنة الأخيرة ،
 فقد اوضحت عليها تفاصيل تلك البقعة التي دارت عابها معركة قادش والمرجع الطبوغرافي المفصل
 نجمده في خارطة (Blanckenhorn)

لذلك الماء العظيم بحيث لو خرب السد لفاض الماء وخرت البحيرة وصارت نهرًا وهي في أرض مستوية وهي تبعد عن حمص بعض يوم بغيرها ويصاد بها السمك «
ثم يعود أبو الفداء إلى ذكر البحيرة مرة أخرى عندما يصف مجرى نهر الأورنت .

وكنيجة لكل الأبحاث التي عملت للوقوف على مكان قادش ، يمكن القول بان قادش لا بد انها كانت على مقربة من موقع البحيرة حتى إذا كانت البحيرة قد تكونت فيها بعد . وان قادش المدينة كانت تقع على نهر إلى جنوبي البحيرة .

وإذا انتقلنا إلى الربوة المعروفة باسم « تل النبي مند » التي تقع على الضفة اليسرى لنهر الأورنت على مسيرة ساعتين شمال « ربله » ومسيرة ساعة من بحيرة قادش لوجدناها أهم الأغراض الطبيعية في تلك المنطقة ، حيث نستطيع تعيين موقع قادش . وسرى في أى المناسبات جاء ذكرها في نص العرقة .

يقول الملك رمسيس الثانى ان آخر نقطة عسكرت فيها قواته قبل وصوله إلى قادش كانت على « الربوة الواقعة إلى جنوبي قادش » ثم انه اتجه شمالا ووصل إلى جنوبي مدينة « شابتونا » ثم اتجه الى الشمال وصل الى الشمال الغربى من قادش . ويتفق هذا النص مع ما جاء فى نص قصيدة بنتاؤر . وقد تمت كل هذه التحركات بمحاذاة نهر الأورنت وكانت آخر مراحل السير « الربوة الواقعة إلى جنوبي قادش » ومنها قصد قادش ليحارب المعركة الفاصلة على رأس قواته ، وقد تم ذلك فى يوم واحد .

ولما كان من الممكن فى تلك الأيام السالفة ان تكون سرعة التحركات عبارة عن خمسة عشر ميلا فى اليوم تقريبا . فن المنتظر ان تكون قادش واقعة شمال هذه الربوة بخمسة عشر ميلا .

والواقع أنه كان لموقع قادش أهمية كبرى، فهي أهم مفترق للطرق الرئيسية الفاصلة بين السهول والجبال الشامية ومفتاح الطرق المؤدية من الداخل الى البحر — ولتلك الأهمية تفهم الأسباب التي كانت تدفع بملوك مصر الفاتحين فى العهود القديمة الى

الاستيلاء عليها . فقد استنفذت جهود ثمانية أعوام قضاها تحوتمس الثالث محاربا أعداءه قبل استيلائه عليها — الى أن وقعت في قبضته — ثم أصبحت فيما بعد مركز الحلف السوري الذي ناصبه العداء حوالي عشرين سنة من الجهاد المستمر بين الطرفين . فلما استولى على قادش ، بعد حصار طويل ، أصبح تحوتمس سيد الموقف وقضى على مقاومة التحالفين ضده .

وفيا بعد لما انحدر الحثيون وأحلافهم من جنوب آسيا الصغرى ، مكتسحين كل الدويلات التي أمامهم ، كان هدفهم الاستيلاء على قادش ، لتكون قاعدة أمامية لهم وحرمان ملوك الأسرة الثامنة عشرة المصرية من الانتفاع بها — وقد تم لهم ذلك — وعرفوا مزاياها مدة طويلة — وقاوموا رمسيس الثاني في تقدمه نحوهم في العام الخامس من حكمه .

وقد وقفنا على موضع الربوة التي تقع جنوبي قادش في خلال ما ذكرناه عن مكان قادش — وهذه الربوة هي « تل قنات الهرمل » أما « شابتونا » فلا بد أن تكون واقعة على نهر الأورنت بين الربوة للذكورة وقادش وقد مر بها رمسيس الثاني في ذهابه الى المعركة وهي المعروفة باسم « ربله » .

أما أرانامي فهي جنوب شابتونا — وقد مرت بها فرقة بتاح في تقهقرها الى الجنوب .

معركة قادش

تكلّمنا عن أهم مراجع المعركة المصرية ، ثم حددنا أمكنة أهم بقاع السير والتقدم والتحرّكات . ولنستهل الحديث عن أدوار القتال وتكتيكات المعركة .

في عام ١٢٨٩ ق . م بدأ رمسيس الثاني الحرب ضد الحثيين في سورية ، وكان العالم الأول تام اعداد وتجهيزت فوصل في نهايته الى نهر ليسوس على مدى سبعة أميال شمالي بيروت . وفي بيروت أو على مقربة منها أنشأ قاعدة لعملياته الحربية في العام التالي . فلما انتهى منها قفل راجعا الى مصر مع بقية جيشه .

وحين حل الربيع التالي—العام الخامس من حكمه— خرج الى ميدان القتال في نهاية ابريل ووصل قاعدته مجتازا فلسطين قبلها بعد ثلاثة أسابيع ، وهنا نظم جيشه في تشكيل القتال ، وضم حامية القاعدة الى جيشه الذي كان قد وصل الى عشرين ألف جندي مشكلين في أربع فرق سميت حسب ترتيب السير .

فرقة آمون — فرقة رع — فرقة بتاح — فرقة سوتخ .

وقد وضع جنود الحامية ، الذين تزعم بعض المصادر بانهم من الجنود الجدد أو صغار السن ، في قلب الجيش بينما كان الفرعون نفسه مع الحرس الأمامي لفرقة آمون وراكبي العربات بنسبة متساوية . وكان جنود المشاة مسلحين في الغالبية بالحرايب والدروع بينما كان راکبو العربات مسلحين بالأقواس والسهام .

وبالرغم من ان الجيوش لم تك تعرف في ذلك الوقت التنظيمات الخاصة بالامدادات والتموين وكان الجندي يعيشون على ما في المنطقة التي يقيمون فيها من طعام ، فان جيوش الفرعون لم تمش مالة على الأهلين ، ولهذا فقد كان في مؤخرة جيش الفرعون عدد كبير من الماشية والأبقار والماعز .

وكانت كل فرقة من الجيش مؤلفة من جميع الأسلحة وتستطيع أن تقاوم مستقلة عن غيرها ، وكانت القوى المنوية للجيش سامية وتنظيماته لسير الاقتراب في درجة من الروعة ليست قليلة .

على أن قوة جيش فرعون لم تكن في عدده وعدته ، بل كانت في شهرة ومهارة القائد الأعلى وهو رمسيس الثاني ، الذي لم يكن قد تخطى الثلاثين بعد أن كان وصل نهاية الحقبة الثالثة من عمره ، تلك الشهرة التي جعلته فذا بين محاربي عصره . ولقد يتسنى لنا أن نقارن رمسيس الثاني بالكثير من الملوك القادة الذين نالوا انتصارات حاسمة في فجر حياتهم كاسكندر الأكبر أو نابليون مع بعض الفارق في نواح أخرى .

والآن يتيسر لنا أن نتجه بالحديث الى الحثيين الذين هم أصلا من آسيا الصغرى وقلناهم في فجر هذه الحملة يتجمعون على مقربة من حماة وكانت قاعدتهم الأمامية في حلب



(ش ٦٩) خريطة تبين الوضع الأول لفرق الجيش المصري استعدادا لمعركة قادش

ولسنا نعرف اسم ملك الحِيثيين . . ولكنه لا ريب كان خصما عنيدا لرمسيس ولم يك جيشه يقل عددا عن جيش رمسيس الثاني ، كما كان نصفه —على وجه التقريب— من راكبي العربات بنسبة ثلاثة من الجنود لكل عربة ، ولم يك الجيشان الأساسيان قد التقيا في القتال في العام السابق ، وكان كلاهما يمثلان بروح هجومية قوية .

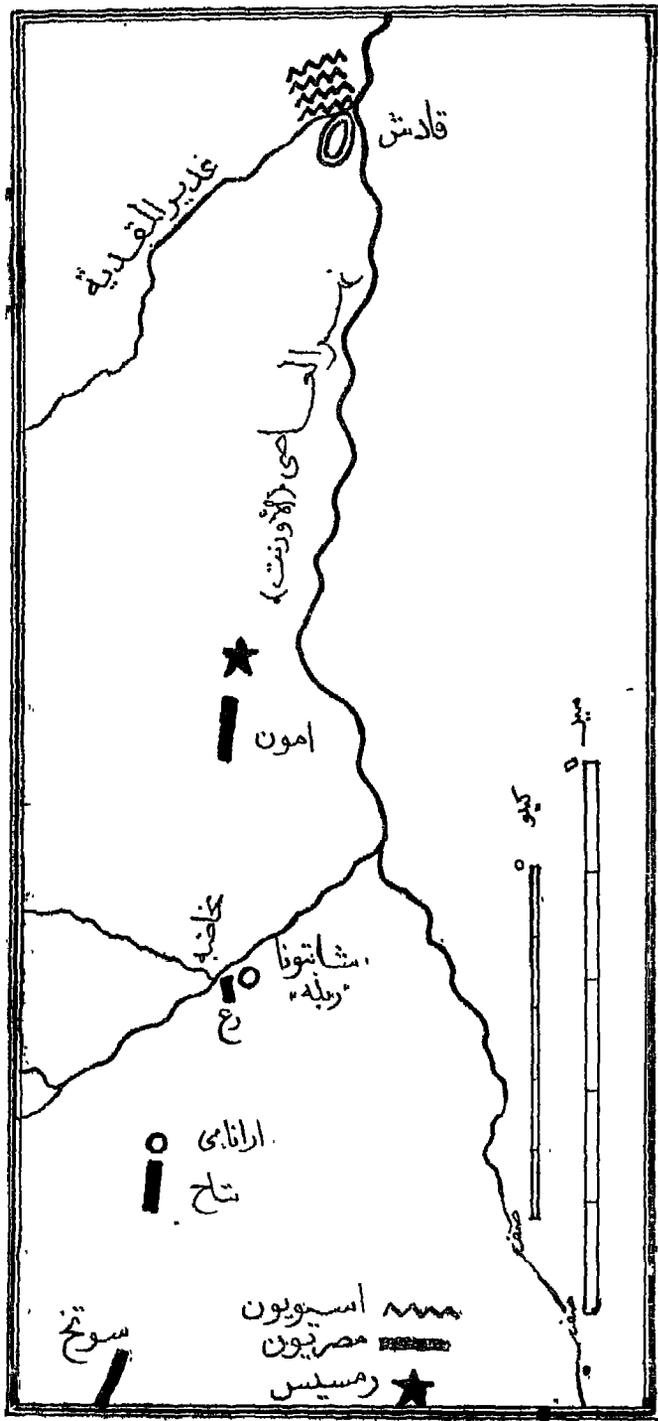
سير الاقتراب للمحاربين المتضادين

فاذا تركنا الحِيثيين في حماة يواجهون الجنوب ، وعدنا الى مصاحبة المصريين في الطريق التي سلكوها ، فانا نلتقي رمسيس لا يتوقف الا القليل جدا في قاعدته الأمامية ، ثم يتابع السير في خطوات سريعة ، هذه الخطوات التي بدت واضحة في مراحل سيره الأولى منذ ترك وادي النيل متجها للشرق ، فلما عبر سلسلة الجبال بين ممر في شرق بيروت اندفع في الوادي قاطعا طريقا من أقدم الطرق المعروفة في التاريخ . فوصل الكرمل بعد ثلاثين يوما من مبارحة مصر .

وكان قد قطع أربعمائة ميل في هذه الأيام الثلاثين . أى بنسبة ثلاثة عشر ميلا في اليوم الواحد ، وهي سرعة تدل على سرعة حركة تعتبر مثالية لجيش كبير نسبيا . في ذلك العصر . وفي ذلك المكان فوق مجرى النهر عند أعلا التل ، أقام رمسيس معسكره لقضاء الليل . ولم يك قد اشتبك بعد بقوة ما من جيش الحِيثيين ، أو وصل إلى علمه شيء من أنباء الاشتباك .

وكانت جميع الظروف توحى بحقيقة واحدة ، وهي أن الحِيثيين مازالوا بعيدين في الشمال .. وكانت مدينة قادش ذات الأسوار العالية لا تزال على مسافة خمسة عشر ميلا من معسكره . وقرر رمسيس أن تكون قادش هدفه في اليوم التالي .

واستهل جيش فرعون مسيره مبكرا مع ظهور الضوء . فلم يكن من سبيله للبقاء أكثر من ذلك لانعدام اليباء في ذلك المكان من التل . واندفع رمسيس بجنوده مسرعا نحو سفوح التلال صوب السهل عن طريق « ربله » .



(ش ٧٠) خريطة توضح الوضع الثاني لفرق الجيش المصرى وهى تقرب من قادش. ونلاحظ فرقة آمون فى المقدمة

وقبل أن يصل رمسيس إلى تلك المدينة بلغه نبأ هام . فقد أمسك جنود
الوقاية الآرامية بتلايب اثنين من البدو ربما كانا قد هجرا الصفوف من جيش
الحيثيين وأوريا أن زملاءها ، يتوقون إلى الفرار جملة والانضمام إلى المصريين .
وقال البدويان أيضا إن الحيثيين عندما صمموا باقتراب الفرعون توقفوا عن السير
بجوار حلب . كما أرشدا رمسيس إلى مخاضة في النهر لشمال المدينة هي أصلح طريق
لعبور جيش الفرعون .

وكانت هذه الأنباء في مجموعها كافية لأن تهب رمسيس الفكرة التي كانت قد
اخترت في رأسه من قبل . وهي أن الحيثيين لازالوا بعيدين .

وهكذا تابع رمسيس مسيره في ذات التشكيل ... وكل فرقة تصل المخاضة
تنتشر بالدور . الواحدة تلو الأخرى لترتوى ولتعد طعامها فيتناولها الأفراد .

فإذا رجعنا إلى الحيثيين فانا نلقى شيئا غريبا ، فإن ملك الحيثيين بدلا من أن
يرتد إلى حلب سار جنوبا بكل جيشه ، وكان إذ ذاك يحتمل مواعده شرقي قادش مع
قوة غير قليلة في المدينة نفسها .

وكان الهدف الذي عناه ملك الحيثيين هو أن يقوم بالهجوم ، وأن يدمر جيش
عدوه وكان هدف رمسيس مثله تماما ، إلا أن ترتيبات ملك الحيثيين كانت أوفر
تنظيما لأن هذين البدويين اللذين قالوا أنهما هجرا الجيش للانضمام إلى المصريين كانا
رسولى الحيثيين بعثوا بهما لتضليل الأعداء .

على أن الخطة كانت قد سارت شوطا أبعد من هذا . فإن الرجلين بمحدثهما
لم يعرضا رمسيس وجيشه لعامل « المفاجأة » وحده بل أنهما باغراهما رمسيس
على اتخاذ طريق خاص لسيره — هو الطريق الذي يجري على الشاطئ الأيسر
للنهر — فإنهما كانا يمكنان الحيثيين من الحصول إلى جانب المفاجأة على عامل
آخر هو تطبيق عامل الحشد لقوة أكبر في النقطة الحاسمة ، وهذا يمكن إدراكه
بوساطة توزيع قوات جيش المصريين وكانت الخطة بسيطة ، وكانت بساطتها من أهم

الأسباب التي تجعلها قوة مؤثرة عند تنفيذها . ولكن نستطيع أن تبين مدى قوة خطة الحثيين بإرسالها هذين الرجلين لخداع رمسيس ومدى تأثيرها عندما تم فصولها — ينبغي أن ننظر إلى الترتيبات التي قدرها ملك الحثيين في تطبيقها تبعاً لطبيعة أرض المعركة .

أرض المعركة

تقع مدينة قادش فوق التل وتحيط بها من كل الجهات تقريباً مجارى مياه طبيعية تخرج من الزاوية العمودية التي يسكونها النهر ، وتبعاً لاختفاء جيش الحثيين في الجانب الآخر من المدينة فإن المصريين عندما يصلون قبالة المدينة لن يرقبوا شيئاً منه لوجود التل والمدينة فيما بين الجانبين المتضادين ، وسيكون كل قول من القولات المصرية عند عبوره المخاضة وخروجه من الغابة التي تقع على مسافة أميال قليلة في الشمال غير منظم وغير ملتئم الصفوف .

ولهذا كانت خطة الحثيين في تلك المرحلة من المعركة هي أنه عندما يسكون رأس كل قول في مواجهة قادش تعبر النهر قوة كبيرة من وحدات العربات مجتازة المخاضة على مسافة ميلين جنوبى المدينة فتقطع قول المصريين في منتصفه وتطوى رأس القول ثم تستبك بمؤخرته ، وعند خروجها من الأحراج الكثيفة الأشجار في مجموعات صغيرة ، وينبغي أن نلاحظ أن وقاية قوات الحثيين قد وضعت على أساس الاستناد إلى النهر ، وإلى أعداد تقط للرقابة في أعلا أسوار المدينة ، وكانت الخطة على بساطتها قوية رائعة ، وتبدى قوة المصيدة التي أعدت لرمسيس وجنوده ... ترى هل كان القدر يقضى أن يقع فيها ؟

اقتراب جيش مصر :

وبدأت فرق جيش مصر ترتوى وتتناول طعامها ، هم يجتاز المخاضة ... وقد تم هذا دون أية حادثة ... ولا زالت القوات في تشكيلها الأول .

وكان رمسيس لا يزال يتولى القيادة في مقدمة جيشة بنفسه راكباً عربته

الحرية

وكان من الطبيعي أن كل فرقة ، تبعاً للإضطراب الذي يحدث في تنظيم الصفوف أثناء العبور ، كانت مقدمتها تتوقف عن السير عند الشاطئ البعيد لتمكن مؤخرتها من الاقتراب ، وهكذا كانت توجد ثغرة من ميل إلى ميلين بين كل فرقة وأخرى ، وفقدت القوات المسافة بين بعضها البعض ثانية في خلال اجتيازها الأجراس ، ولكن بعد أن وصل رمسيس إلى الشاطئ الشمالي للنهر لم يفكر في الانتظار حتى تنضم إليه فرقة آمون ، بل تابع سيره ، ثم أن مدينة قادش كانت قد بدت على
سمى سهم II

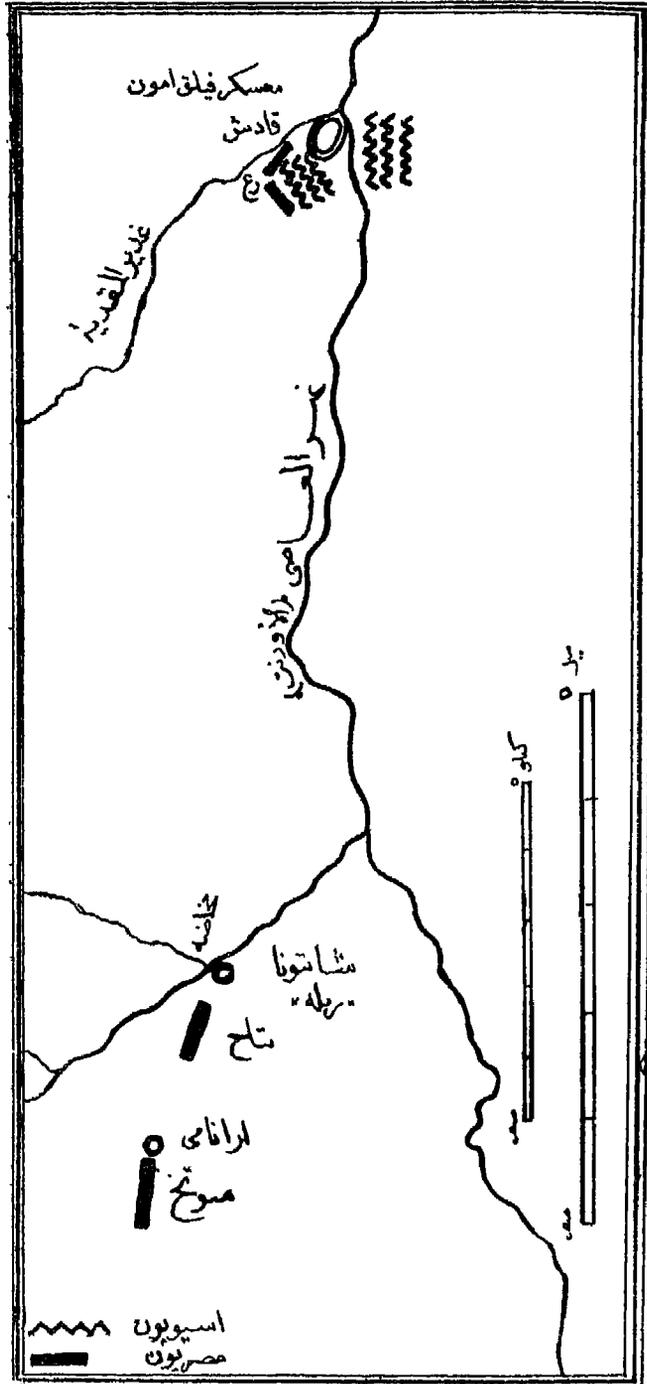
ووصلت مقدمة فرقة آمون إلى المكان المختار للمعسكر في المساء المبكر ، فكان هذا إيذاناً بأن الجيش قد أكمل مسيرة خمسة عشر ميلاً في أرض وعرة وفي يوم واحد وهذا نجاح منقطع للنظير .

ونجأة لاح في أعلا جدران المدينة جماعات من الجنود المسلحين ، ولهذا بعث رمسيس بدورياته وأقيمت زريبة من الدروع القوية حول المعسكر وحطت فرقة آمون رحالها .

وقد أقيم المعسكر على مسافة ميل تقريباً غربى المدينة وثمانية أميال شمال المحاذية وتقدم لنا المعلومات التي وصلتنا صورة طيبة لمسكرات الإقامة ، وهذه الصورة توضح لنا أن أصول الحرب لم تتغير ولن تتغير منها إلا وسائل وأساليب تطبيق هذه الأصول بل ولا شك أن أصول استخدام العربات والجواري لا يمكن أن تتغير ، فإن العربات تجمع بعضها البعض .

وتوقفت الخيول في صفوف متراصة على مقربة من العربات ، فإذا كان أحد الرجال مشغولاً بإعداد العلف للخيول ، فإن آخر يكون يقوم بسقيهم بينما يكون ثالث الرجال لكل عربة جالساً يتناول غذاءه .

على أن هذه الصورة صالحة لحياة السلم في معسكر للإقامة بعيداً عن العدو ولم يكن هناك من سبب يدعو لتعديل هذه الصورة . أليس جيش العدو وقد توقف عن السير عند حلب عندما وصل إلى الجيشين نبأ سير رمسيس . إذن فقيم الخوف ؟



(ش ٧١) خريطة تبين الوضع الثالث لفرق الجيش المصرى وفرق الجيئين أمام قادش

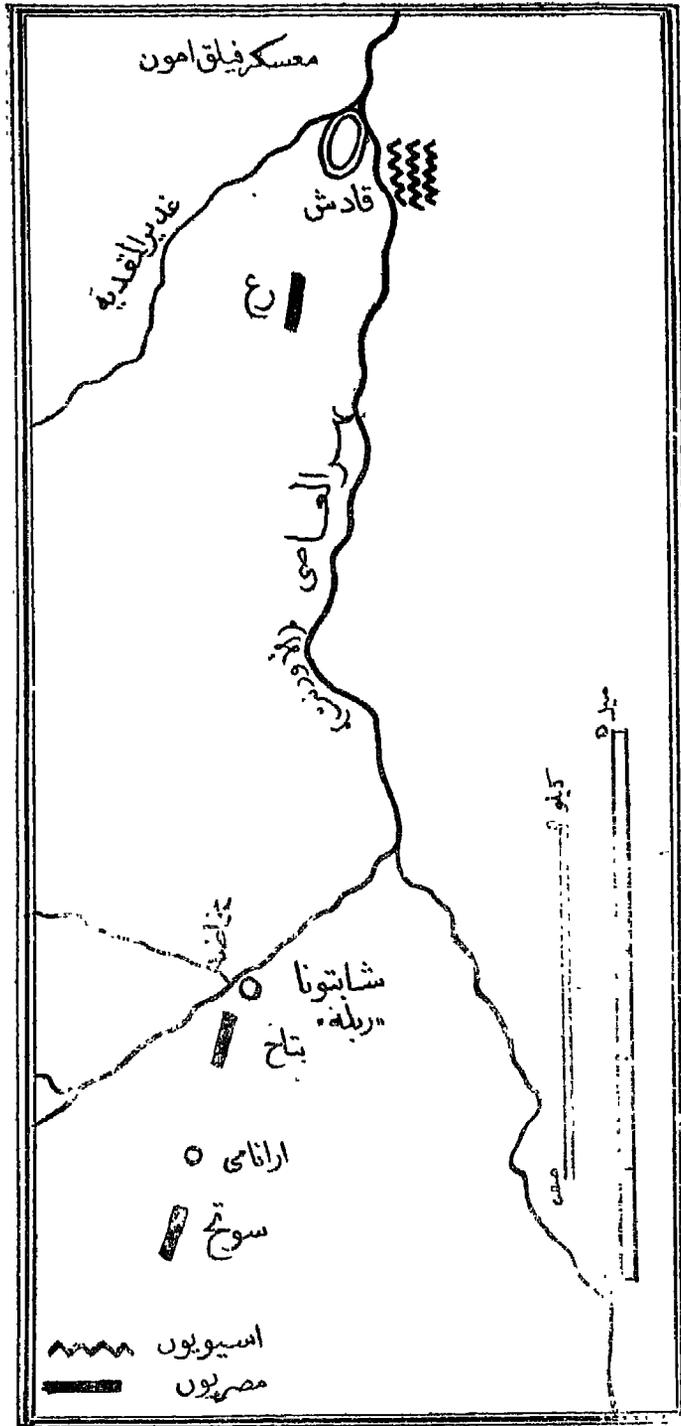
ونجاة اضطرب الجو .. فقد جاءت إحدى الدوريات باثنين من جنود استطلاع العدو أمسكت بها على مقربة من جدران المدينة وقد رفض الرجال أن يتكلموا حتى جلدا ، وإذ ذاك قالوا بأن جيش الحيثيين ليس بعيدا كما كان رمسيس يؤكد بنفسه بل إن العدو في الجانب الآخر من المدينة ، وكانت دهشة رمسيس بالغة وكانت ثورة غضبه كبيرة ، فقد التفت إلى أركانى الحرب مؤنبا إليهم على سوء ترتيباتهم لتسقط أنباء العدو ولكن ماذا يفيد اللوم والتأنيب والأنباء السيئة تجيء في أثر بعضها البعض ؟

على أننا قبل أن نغضى بعيدا في الحديث عن المعركة ، فمن الضروري أن ندرس موقف الحيثيين المتضادين ، هذه الدراسة التي تجدها واضحة في الرسوم التي تصحب هذا الفصل .

ففي أحد هذه الرسوم يبدو لنا الموقف الحرج الذي كان فيه جيش الفرعون ممتدا لمسافة ثمانية أميال بفواصل فسيحة بين فرقته ، بينما كان جيش الحيثيين متجمعا محتمدا متأهبا لتوجيه ضربته لجيش الفرعون .

وقد نظم ملك الحيثيين ضربته في ترتيب زمني جيد ، والحشد يمكن من التوقيت الزمني الجيد دون مراء ، سيما إذا قدرنا أن تطبيق مبدأ الحشد في صورة طيبة إنما معناه الحشد في المكان والوقت الصحيحين .

ووجه ملك الحيثيين ٢٥٠٠ من راكبي العربات و ٧٥٠٠ من المشاة تجاه الخاضة بعيدا عن نظر المصريين ، وعبرت النهر هذه القوة الكبيرة واندفعت نحو الجانب المعرض لفرقة رع ، ولم يكن للمصريون قد فكروا في حراسة جنهم ، ثم أن هذا الاندفاع العنيف جاء مفاجأة بدرجة كبيرة واستطاعت العربات أن تقسم فرقة « رع » من منتصفها وأن تدور الموجات التالية حول أجناب القسمين للتوزيعين وأن يقوم المشاة بهجوم اقتحامى قوى ، وفي ذلك الوقت استطاع ضابط مصرى من فرقة « رع » أن يشق طريقه وسط عربات الحيثيين وأن يصل إلى معسكر رمسيس حاملا اليهم النباء السئ بأن لهزيمة تدب في صفوف جيشه !!



(ش) خريطة تبين الوضع الرابع لفرق الجيش المصري وفرق الحيتيين أمام قادش

نشاهد الآن صورة فذة لهجوم القوات المدرعة وهي تفاجئ قوات في تشكيل السير لم تأخذ أهبتهما للقتال على أن الضربة على شدتها وعنفا لم تمزق أكثر من شرابين قليلة في جسم جيش مصر .

وهنا حانت الفرصة ليظهر رمسيس معدنه الصلب وتحكمه في أعصابه وتفكيره في اللحظات الحرجة كقائد مدرب له قدم موطدة في الصراع ، وانتهى رمسيس بسرعة من دراسة موقفه ، ولم يكن أمامه غير خطوتين اثنتين يتعين عليه أن يخطوها سريعا .

الخطوة الأولى أن يزيد من سرعة سير فرقته الآخرين ، وهذا أمر و كله إلى وزيره أي (رئيس أركان حربه)

والثانية ، أن ينظم هجوما مضادا بفرقة آمون ، الأمر الذي قدره وقرر أن يتولاه بنفسه واندفع رمسيس من مخيمه فامتطى عربته التي كانت معدة بعد أن بعث الانذار في جنبات المعسكر ايدانا بهجوم العدو فربطت الجياد إلى العربات وأسرع الجنود إلى أسلحتهم ، ولكن في تلك اللحظة زاد الاضطراب والجزع اللذان كانا سيدوان بجلاء في وسط المعسكر بوصول بعض جنود فرقة « رع » الذين كانوا قد اطلقوا سيقانهم للريح نحو المعسكر للفسكاك من المذبحة التي يقوم بها الحثيون ، وقد اندفع هؤلاء وسط المعسكر يتبعهم الحثيون الذين تعقبوهم مندفعين في موجات متتابعة وسط جنود رمسيس ، وتزاحمت عربات الحثيين تحيط بمعسكر المصريين . وبالرغم من انهمالك الكثير من المشاة للدفاع ولدفع هجوم الحثيين جانبا إلا ان ضغط هجوم الأسيويين كان كبيرا وبدا لرمسيس أن لا فائدة من البقاء لأمد أطول من هذا ، فجمع ما تبقى من فرقة آمون واتجه للشمال .

وسقط للمعسكر غنيمة باردة في يد الحثيين ، وهنا أضع الأسيويون الفرصة التي سنحت لهم وما كانت لتسنع لولا عامل المفاجأة والحشد اللذين فقدوا رمسيس في اول جولة نتيجة ضعف تنظييات مخبراته ، فإن هؤلاء بدلا من ان يتأهبوا



(ش ٧٣) منظر من معركة قادش بعد ما ضل رمسيس الثاني بأبناء زائفة فكان أن عزله من كيات لمدو عن قوائمه ولكنه استطاع وحده أن يلحقه، اللزيمية بأعدائه و فسقط عمار بوم و قتلت جيام (معيد أبو جميل)

لمطاردة المصريين المرتدين في صحبة الفرعون ، انصرفوا إلى نهب المعسكر واستطاع
رئيس أن يعيد تنظيم فرقتي آمون ورع وأن يعاود الهجوم بها لقتال الحثيين .

ويتعذر الاعتماد على المراجع التي وصلت إلى أيدينا وقد لا يكون هذا غريبا .
لأن القتال على ما يبدو كان مضطربا ، وهو لا يزيد على هجمات مضادة متتالية عنيفة
قطعت ثلاث ساعات طويلة من ذلك اليوم .

وفي أثناء هذا ألقى ملك الحثيين بألف من العربات للعاونة في القتال ولكنه
هو نفسه لم يعبر النهر ولم يعث بأي جديد من مشاته للقتال .

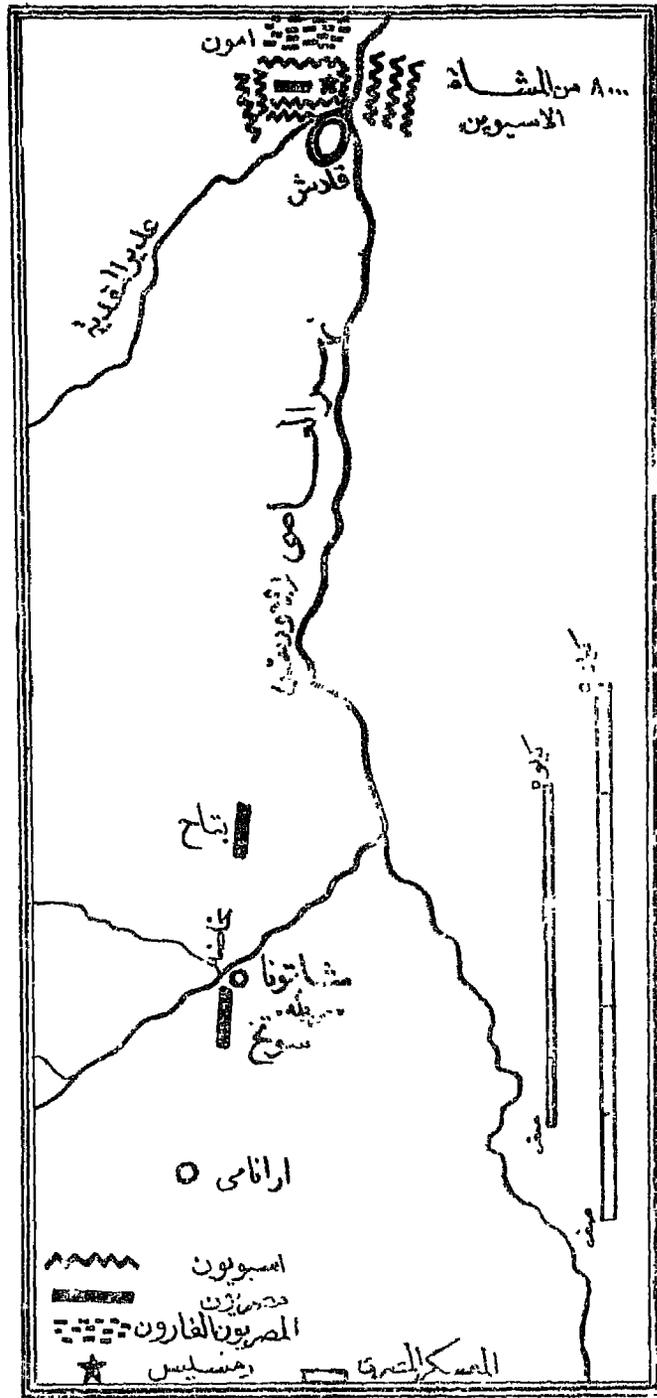
ولكن ماذا كان يحدث في الجنوب إذ ذاك ؟

كان وزير فرعون قد بعث ، عندما تلقى تعليمات رئيس وأوامره ، جنودا
لينقل الأوامر إلى الفرقتين اللتين تهيئان في المؤخرة للإسراع لنجدة فرعون ،
ويلوح أن الوزير أجمع أمره على أن الأصلح أن يذهب هو بنفسه واندفع بعرضه
في أعقاب رسوله ، بعيدا عن ميدان المعركة .

ولقي في طريقه جماعة كبيرة من جنود القاعدة عند طرف الأجراف فوجههم لمهاجمة
الحثيين الذين يحتلون المعسكر من الغرب ، ثم فسكروا في أن يندفع نحو فرقة «بتاح»
ليقود جندها بنفسه لمهاجمة المعسكر من الجنوب في هجوم أمامي .

وكانت فرقة «سوتبخ» لا تزال بعيدة في الجنوب وعلى مسافة لا تمكنها من
الاشتراك في القتال في ذلك اليوم ، وقد أتجه جنود القاعدة كما أمرهم الوزير الذي
تابع طريقه للبحث عن فرقة «بتاح» فوجدها . وبدأ سيره في الاتجاه الجديد يقود
بنفسه فرقة كاملة لنجدة فرعون .

ونتيجة لهذا كانت عربات الحثيين تاتي الأمرين ، فرئيس يقاتل بنفسه
وبجنوده قادمًا من الشمال ، بينما يتقدم الجنود الجدد من الغرب متجهين إلى الشرق
في قوة وعنفة ، فهم لم يشهدوا القتال بعد ولم يقابلوا الحثيين من قبل ، فهم لا يقدر ونهم



(ش ٧٤) خريطة تبين الوضع الخامس لمعركة قادش حينما اصطدمت فرقنا؛
أمون وروع بقوات الحيثيين التي أحاطت برميسيس

بأكثر مما يمكن أن يقدروا أيا من خصوم رمسيس الذين اعتاد ابائهم من قبل الانتصار عليهم . وفي أثناء هذا جاء هجوم جديد من الجنوب بفرقة كاملة يتولى قيادتها وزير رمسيس ورئيس هيئة أركان حربه .

وتلفت الحيتيون حولهم للبحث عن مدد ، بيد ان شيئا لم يبد في الأفق . فان مشاة الحيتيين بقوا في مكانهم في الجانب الآخر من النهر وفي المدينة ولم يبق ملك الحيتيين بأية محاولة جدية لمعاونة قواته الخفيفة على ما يظهر من المراجع التي وصلت إلى أيدينا ، وإن كان بعض الناس يقولون ان ملك الحيتيين قد حاول عبور النهر على رأس قوة كبيرة إلا انه قد غرق لأن المراجع المصرية القديمة تذكر ان جثته انتشلت من مياه النهر بسحب قدميه . ولهذا أمكن التعرف عليه من درعه وثيابه (١) وتعدل الموقف وتبادلت كفتا الميزان ولم يعد أمام الحيتيين من راكبي العربات إلا أن يستشعروا طعم الهزيمة فداروا على أعقابهم واسرعوا للفساك من قبضة المصريين . وكان الاندفاع نحو المخاضة غريبا فكل فرد يعمل على أن يسبق زميله لينجو . وارتطمت الجياد والعربات ، وبات التزاحم عند المخاضة أخطر من حراب المصريين الذين تابعوا المطاردة بعنف وهم يقذفون الحيتيين بغلالة كثيفة من السهام .

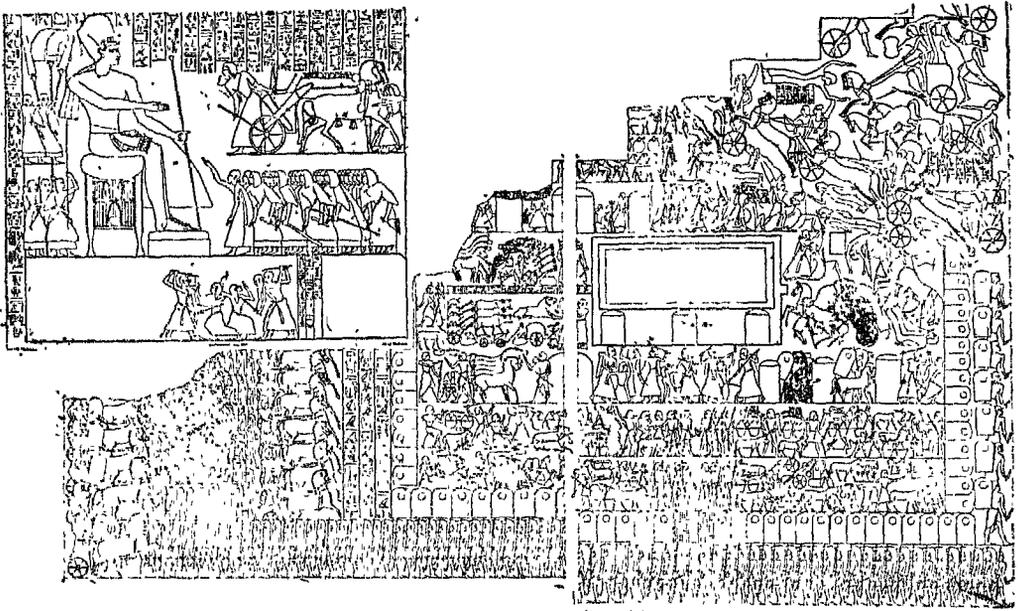
وانتهت المعركة ...

ولم يبق على الضفة الآسيوية (الغربية) أسبوى واحد ... وبات الفرعون سيد ميدان القتال بلا منازع .

نظرة الى المعركة :

ولكن لماذا لم يدفع ملك الحيتيين مشاته للقتال ؟
كثير هو ما يمكن ان نفكر فيه عند محاولة التعليق على المعركة ... بيد أن شيئا واحدا هو هذا السؤال الذي قدمنا به الحديث سيطر على رأس الباحث فلا يمكنه من التفكير في شيء آخر .

١ — نقلنا هذا الوصف من كتاب للكولونيل بيرن عن الحروب البرية .



(ش ٧٥) مناظر في المعسكر استعدادا لمعركة قادش على الباب الأول في معبد الرمسسيوم (طيبة)
وإلى اليسار يرى رمسيس الثاني جالسا على عرشه واجنود يقدمون له الولاء.

يبدو ان ملك الحيثيين قد فشل في إدراك عاملى « التعاون والحشد » وكان فشله فى المزج بين هذين العاملين هو المؤثر الأول فى اخفاق إدراكه من اصول الحرب الأخرى .

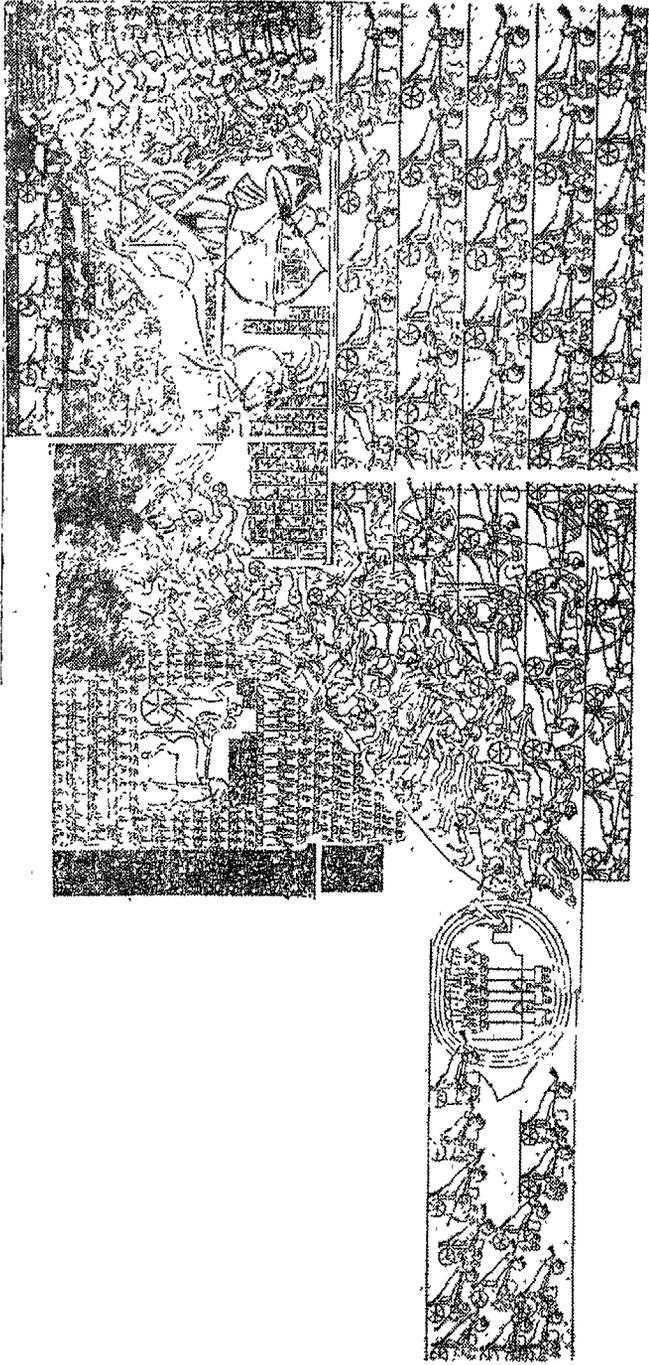
ولو كان ملك الحيثيين قد تابع للنجاح الذى استحوذ عليه فى المرحلة الأولى للمعركة بأن دفع كل عرباته للقتال وسار فى اعقابها بكل مشاته إما عن طريق الخاضة ذاتها أو بالدوران من الشمال للمدينة لحصل بلاشك على نصر حاسم .

على ان السبب الحقيقى لفشل ملك الحيثيين يمكن ان يكون نفسياً أكثر من أى شىء آخر ، فقد كان موفور القوة الذهنية وكان من هذه الناحية يضمن افضلية ساحقة على الفرعون ولكنه كان يحس فى قرارة نفسه بانه اضعف من خصمه ... ولهذا لم تتوفر فيه الجرأة فى تنفيذ خطته الحكيمة ..

ومن جهة أخرى نلقى الفرعون ووزيره يهملان فى بداية المعركة أصول الحرب من الوقاية إلى الحشد .. إلى الاقتصاد فى القوى، ولكنه لم يلبث أن استعاد السيطرة على كل هذه الأصول نتيجة لفشل ملك الحيثيين فى الاحتفاظ بها .

والواقع أن رمسيس الثانى كان صورة فذة وسط خصومه ، وقد بقى الساعة بعد الأخرى يقاتل ضد قوات تزيد عددا عن جنوده ، منقطعا عن بقية جيشه لا يستطيع حتى الاتصال بفرقيته اللتين لا تزال قوتها كاملة ، ولكن كانت ثقته برئيس هيئة أركان حربه كبيرة ... وكان يعرف أنه لن يخذله .. وهكذا استطاع الرجلان نتيجة تعاونهما معا أن يقلبا الهزيمة إلى نصر حاسم .

على أن المعركة فى الواقع بالرغم من أنها كانت صورة رائعة لفن القتال إلا أنها كانت أبعد من أن تكون حاشمة من ناحية النتائج . فإن مشاة الحيثيين كانوا لا يزالون فى قوة كاملة . وكان من الممكن أن يقاتلوا فى أكثر من معركة ، ثم أن الحيثيين كان لا يزال لديهم بعض العربات تهباً لجنودها أن يقاتلوا فى سلسلة من المعارك للارتداد شمالاً أو لانتظار امدادات أخرى من الشمال .



(ش ٧٦) بعض مناظر معركة قادش متقوذة على الباب الأول في الرسميوم ولى اليسار يتاهد رسميس الثانى
 ممطبا عربته الحربية وهو يقاتل الأعداء .

ولم يكن في استطاعة رمسيس كذلك أن يقا تل بقوة نظرا لحسائه الجسيمة، علاوة على أن تأثير المعركة في نفسه كان كبيرا . وذلك لم يكن مشار غرابة أن يقبل رمسيس الصلح وأن يعود بجيشه إلى مصر .

ولكن مع هذا فان المعركة تبين بدرجة كبيرة أن أصول الحرب ثابتة ، وأن الذي يتغير وحده هو تطبيق هذه الأصول .

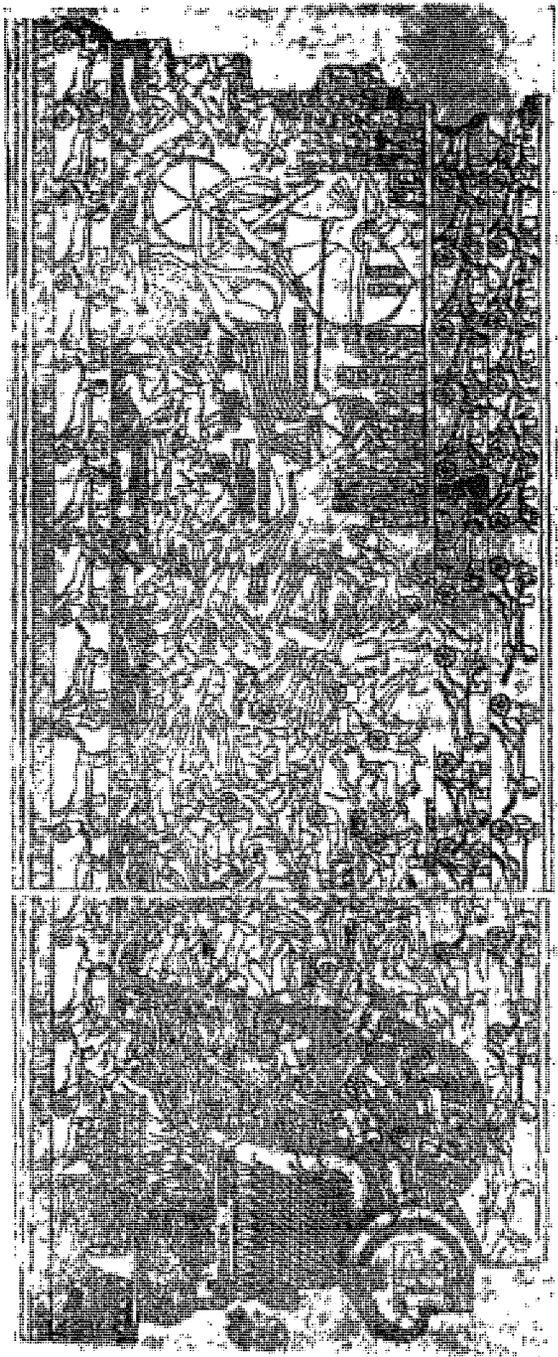
وانتهى القتال بأن وقع الفريقان المتحاربان معاهدة صلح حوالى عام (١٢٧٢) قبل الميلاد .

المعاهدة بين مصر وختيا^(١)

ذكر الأستاذ برستد أنه في السنة الحادية والعشرين من حكم رمسيس الثانى (أى حوالى سنة ١٢٧٢ ق.م) وصلت رسل « خيتا صار » ملك خيتا إلى القصر الفرعونى وكان وقتئذ بالدلتا ولا بد أن تكون الحكومتان المصرية والحيثية اتفقنا سابقا على صورة معاهدة بمساعدة ممثلهما لأن الأمار دلت على أن الرسل لم يرسلوا وقتئذ إلا للموافقة النهائية على المعاهدة وقد نقشت هذه المعاهدة على لوح فضى وتشمل ثمانى عشرة مادة رسم فى أعلاها المعبودة (سوتخ) محتضنة ملك الحيثيين وبجوارها المعبودة عينها محتضنة ملكة الحيثيين المدعوة (بوتوخيا زوج خيتا صار) وبجوار هذه الرسوم وضعت أختام (سوتخ) معبودة الحيثيين و (رع) و (رمسيس) و (خيتا صار) ويرجح أن ملك الحيثيين احتفظ بنسخة أخرى من هذه المعاهدة .

وتعتبر هذه أقدم معاهدة دولية معروفة وفيها يلى ترجمة ديباجتها وملخص موادها :

(١) برستد وترجمة الدكتور حسن كمال : تاريخ مصر القديمة ، القاهرة



(ش ٧٧) منظر من القتال الدائر في إحدى مراحل معركة قادش على 'الباب الثاني في عهد الريمسيوم
ويتشاهد ريمسيس الثاني في عربته الخيرية يتوسطه قتل الأعداء

١ — الديباجة :

معاهدة منقوشة على لوح فضى بين ملك الحيثيين (خيتا صار) الشجاع بن (ميراسار ملك الحيثيين الشجاع بن (سبل) ملك الحيثيين الشجاع فريقاً أول ورمسيس الثانى الملقب (أسره رع استيرع) حاكم مصر الأعظم الشجاع بن (سيقى) الأول حاكم مصر الأعظم ابن رمسيس الأول حاكم مصر الأعظم الشجاع (فريق ثان) .

هذه المعاهدة الطيبة دونت لحفظ السلام والأخاء واستنباب السكينة بين الطرفين إلى الأزل .

٢ — العلاقات السابقة بين الأمتين :

كانت العلاقة منذ بالأزل بين ملك مصر وملك الحيثيين ودية مانعة للمشاحنات . وموطدة للمعاهدة ثم أتى أخى (منلا) خارب (رمسيس الثانى) ، بعد ذلك أتى دور (خيتا صار) فأراد توطيد السلام بين الأمتين مانعاً بذلك الحروب إلى الأبد مستعيناً بالمعبودين (رع) معبود المصريين و (سوتخ) معبود الحيثيين .

٣ — المعاهدة الجديدة :

ومنذ اليوم أصبح (خيتا صار) ملك الحيثيين فى صفاء وأخاء مع (رمسيس الثانى) ملك مصر ، وستكون ذرية ملك الحيثيين الأعظم فى أخاء وصفاء مع ذرية (رمسيس الثانى) ملك مصر وستكون كذلك مملكة الحيثيين فى أخاء وصفاء مع المملكة المصرية .

٤ — عدم الاعتداء :

تبطل الحروب بين الفريقين إلى الأبد ويتعهد ملك الحيثيين ألا يفزو الأراضى المصرية للاستيلاء على شئ منها ويتعهد رمسيس الثانى ألا يفزو مملكة الحيثيين للاستيلاء على شئ منها .

٥ — الاعتراف بالمعاهدات السابقة :

يتعهد ملك الحثيين الحالى بمراعاة نصوص المعاهدتين اللتين أبرمها أبوه وجدده من قبل ويتعهد رمسيس الثانى بأن يراعى أيضا المعاهدتين المذكورتين منذ اليوم

٦ — التعهد الدفاعى :

إذا هاجم عدو المملكة المصرية واستنجد (رمسيس الثانى) بملك الحثيين، فعلى هذا الأخير أن يأتى بنفسه ويشترك فى صد العدو وإذا، لم يرغب ملك الحثيين فى الحضور فعليه أن يرسل قواته الحربية من مشاة وعجلات لقتال مهاجم مصر .

وإذا شقت مستعمرة مصرية عصا الطاعة على ملك مصر وأراد هذا الأخير أن يعاقبها ويخضعها، فعلى ملك الحثيين أن يساعد ملك مصر على ذلك .

وإذا هاجم عدو مملكة الحثيين واستنجد ملك الحثيين بملك مصر فعلى هذا الأخير أن يأتى بنفسه ليشترك فى صد العدو . وإذا لم يرغب ملك مصر فى الحضور فعليه أن يرسل قواته الحربية من مشاة وعجلات لقتال مهاجم الحثيين ، وإذا شقت مستعمرة حثية عصا الطاعة على ملك الحثيين وأراد هذا الأخير عقابها واخضاعها فعلى ملك مصر أن يساعد ملك الحثيين فى ذلك .

٧ — معاملة الهاربين السياسيين المصريين :

إذا هبط مصرى رفيع المقام أرض الحثيين وكان هارباً سياسياً فنحنتم على ملك الحثيين ألا يأويه فى مملكته بل يرسله الى فرعون مصر رمسيس الثانى .

٨ — معاملة المهاجرين المصريين :

إذا هاجر مصرى أو مصرىان من طبقة الشعب المحبولة (أى الوضيعة) الى مملكة الحثيين ليعاملوا معاملة رعايا الدول الأجنبية فان مثل هؤلاء لا يصرح لهم بالبقاء بالأراضى الحثية بل يرسلون الى رمسيس الثانى حاكم مصر الأعظم .

٩ — معاملة المهاجرين السياسيين الحيثيين:

إذا هبط حيثى رفيع المقام الأراضى المصرية وكان هاربا سياسيا فيتحتم على ملك مصر ألا يأويه فى مملكته بل يرسله الى ملك الحيثيين .

١٠ — معاملة المهاجرين الحيثيين :

إذا هاجر حيثى أو حيثيان أو ثلاثة من طبقة الشعب المجهولة (أى الوضيعة) الى المملكة المصرية ليعاملوا معاملة رعايا الدول الأجنبية، فان ملك مصر لايسمح لهم بالبقاء بالمملكة المصرية بل يعيدهم الى حاكم الحيثيين الأعظم .

ويلى ذلك ملحق يحض على استعمال الرأفة فى معاملة هؤلاء الأشخاص والاستشهاد بألف معبود ومعبودة من مملكة الحيثيين وalf معبود ومعبودة من مملكة مصر لهذه المعاهدة ، وقد علمنا منها عدة معبودات حيثية ومحل عبادتها، وتنتهى المعاهدة بسب اللعنات على كل من يخالف شروطها ويطلب الرحمة والسلام لكل من يحترمها . والظاهر أن الملاحظة الأخيرة صبغت فى آخر الأمر، وقد أمر رمسيس بنقش صورتين من هذه المعاهدة بسرعة على جدران معبدين له بطيبة قدم لها بوصف وصول رسل ملك الحيثيين ، وأورد بعد ذلك رسم العبودات والأشخاص الوارد ذكرهم فى اللوح المذكور .

ولم يرد بهذه المعاهدة بيان حدود المملكتين المصرية والحيثية ، ولكن يرجح أنها حددت فى معاهدة سابقة ، ومن الصعب وصف هذه الحدود بالضبط (١)

ومنذ ذلك الوقت انتهت الحرب وخيم السلام على المملكتين ، فوقف رمسيس الثانى بأسيا عند حده . والظاهر أن شروط المعاهدة جاءت فى مصلحة الفريقين كثيرا لأنه بعد ابرامها بثلاث عشرة سنة (حوالى سنة ١٢٥٩ ق . م) زار ملك الحيثيين

(١) عثر الأثرى وينكر على نسخة مبدئية لهذه المعاهدة منقوشة بالخط السهارى على قالب ابن فى بوغاز كوى بأسيا الصغرى .



(ش ٧٨) القتال في إحدى مراحل حصار قاذش أثناء احتدام المعركة (عن معبد الأقصر)

مصر وحضر الاحتفال بزفاف كريمة الكبرى الى رمسيس الثاني . ودلتنا الآثار على أن محيىء ملك الحيثيين اقضى اقامة احتفال عظيم فى القصر الملكى تقدمته كريمة جلالاته متبرعة بالهدايا الجزيلة ثم جلالة خيتاصار نفسه ثم ملك كوت . واختلط وقتئذ حرس الحيثيين بالجنود المصرية بعد ما كانوا ألد الأعداء ثم سميت الأميرة الحثية باسم مصرى هو (معات نفرورع) أى الناظرة محاسن الشمس . واحتلت مكانا مبجلا بالقصر الملكى (١) على أن رمسيس الثانى لم يفصل فى المعركة نهائيا ، إذ ترك قادش دون اسقاطها ، فكان ذلك ماثرا للتحرش فيما بعد .

جهة النوبة :

بعد أن وطد رمسيس الثانى صلاته مع الآسيويين وتخلص نهائيا من مشاغلة الشرق ، تطلع إلى توطيد نفوذه فى الجنوب والغرب حيث كان النوبيون والليبيون يواصلون الشغب والثورات .

ولم نجد على الآثار ما يهدينا إلى التواريخ التى قام فيها رمسيس بحملاته فى الجنوب ، على أننا نعرف أن النوبيين قاموا بثورة فى السنة الثانية من حكمه فأخضعها فى وقتها ، ثم جددوا هذه الثورة عقب صلحه مع الحيثيين ، فأخذ إليهم جنده ، فاضطروا إلى الخضوع والتسليم .

وطى جدران معبد « الدر » ومعبد « بيت الوالى » نشاهد نقوشا تمثل الملك عقب انتصاره على أهل النوبة وبلاد كوش وأمامه أمير تلك الأصقاع يقدم له الأسرى السود ومقدارا كبيرا من الهدايا .

ويظهر لنا رمسيس الثانى فى تلك اللوحة يقود المعركة الرئيسية راكبا عجلته الحربية ، وقد ظهر معه أسده الأليف المسمى « سمام خفتوف » أى الذى يقطع الأعداء لإربا .

(١) سليم حسن : مصر القديمة ، القاهرة . أنظر أيضا :

Erman : Aegyptens, pp. 696 — 701

Muller : Asien und Europa, pp. 215

Maspero : Struggle of Nations, pp. 390 — 398

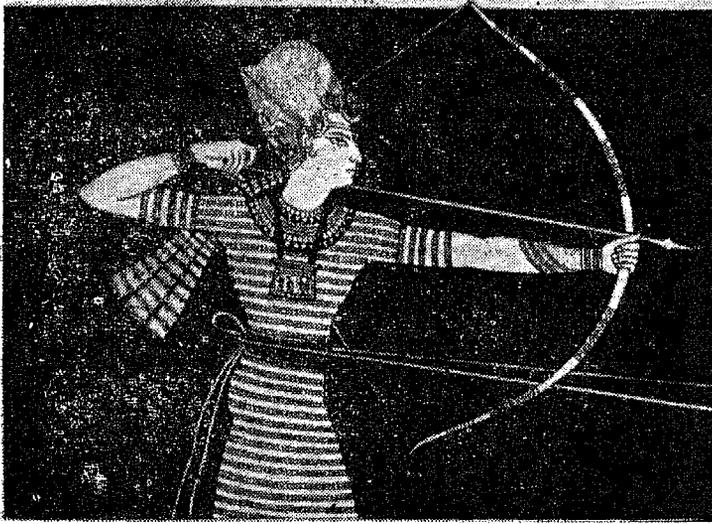


(ش ٧٩) مناظر عامة و متنوعة لتدريب الجيش على القتال استعدادا للمركة قاش
مقرونة على جدران معبد أبي سمبل (عن شاموليون ومقتبسة من برستد)

جهة الصحراء الليبية :

عقب وفاة رمسيس ، تجددت الفتن في ممتلكات مصر ، فاتخذ أهالي جزر البحر المتوسط مع الليبيين للهجوم على مصر ، وساعدتهم خيتا في غزوات شنوها في غرب الدلتا . بيد ان الملك منفتاح قمع تلك الثورة . وكان الليبيون (التخنو) يواصلون الضغط على غرب الدلتا بمساعدة أهل البحر ، واستطاع منفتاح رد هجومهم وكسر شوكتهم كما سنرى فيما بعد .

إن مصر القديمة معاملة العالم ، وأبناؤها أحق بنى البشر في الافادة مما ابتدعته في العلوم والفنون وقيادة الجيوش ، ولولا هذا التفرق لشيدت تلك الامبراطورية العظيمة



(ش ٨٠) لوحة للملك رمسيس الثالث وهو يصوب سهوه
(عن شامبليون بديس دافن)

منفتح ورمسيس الثالث

أتبعت الامبراطورية المصرية سياسة الدفاع ، وكان الأهالي يتزعجون بأعمال قواد تحتمس الثالث ويمتدحونها رغبة في الاحتفاظ بالروح الوطنية . ثم انتشرت الفوضى والنازعات عند حدود مصر ، وأخذ سكان البحر الأبيض المتوسط يزحفون على شواطئ شمال مصر للنهب والاستيطان ، ثم اتحدوا مع الليبيين وأهالي آسيا فضنفتوا على حدود الامبراطورية المصرية .

كان منفتح ، وهو الملك الذي جاء في أعقاب رمسيس الثاني مسنا . فلاندهش أن يرى الليبيين وسكان البحر الأبيض المتوسط يزحفون كالسيل على مصر من جهة الغرب دون أن يلقوا أية مقاومة . وبقيت علاقة منفتح مع الحيثيين ودية . والفضل في ذلك يرجع للمعاهدة التي عقدت بين الدولتين ، لكن هذا الود لم يدم طويلا ففي نهاية السنة الثانية من حكمه نقض ما اعترف به والده في معاهدة الحيثيين إذ تحقق له أنهم أخذوا يساعدون أهالي البحر المتوسط من «ليبيين» و«دردانيين» وهم الذين اتحدوا مع الليبيين في غاراتهم على غرب الدلتا . كما أنهم أوقدوا نار الفتنة في مدن ممتلكات مصر الآسيوية رغبة منهم في ضمها لأملاتهم .

حملة منفتح :

هبت الثورة بممتلكات مصر الآسيوية . فقام منفتح في السنة الثالثة من حكمه وقمعا على الرغم من كبر سنه . ومن المحتمل جدا أنه اقتصر جدا من الحيثيين . واستطاع أن يذل فلسطين إذلالا تاما . ولم يرجع منفتح من آسيا إلا بعد أن قمع ثورتها وأعاد الأمن إلى نصابه .

وأخذت الحالة في غرب الدلتا تتحول من سوء إلى أسوأ لأن الليبيين «التخنو» (Tehenu) واصلوا زحفهم على مصر بطريق مستعمراتهم على شاطئ البحر .

المتوسط . وتقدموا حتى بلغوا الشاطئ الغربى لفرع النيل الكنوبى (Canope) المعروف وقتئذ بالنهر الكبير . ثم استوطن ليبون آخرون الواحيتين اللتين فى جنوبى وغربى الفيوم . ولما زاد عدد الليبيين بالدلتا تطاولوا على فرعون مصر ، فجمعوا ثملهم وكونوا قوة نظامية للاستيلاء على بلاده . وكانوا وقتئذ تحت قيادة ملكهم المدعو مريى (Meryey) الذى أجبر بدو النخو أن ينضموا إليه . وكذلك استطاع أن يضم إليه قرصان البحر المتوسط . فبلغ مجموع قواتهم مالا يقل عن عشرين ألف مقاتل .

فلما أدرك منفتح الخطر للهدد لكيان دولته ، تحصن قلاع عين شمس ومنف . وفى آخر مارس من السنة الخامسة من حكمه بلغه خبر زحف الليبيين على مصر ، فاستدعى موظفيه بسرعة وأمرهم بحشد جيوشه وتجهيزها للقتال .

فلما حل منتصف أبريل ، كانت الجيوش المصرية معسكرة فى غربى الدلتا ، ثم وصلت إلى مواقع الأعداء بالقرب من « بربرع » ، وهى مدينة مجهولة الموقع بالضبط لسكنها تبعد عن القلاع التى على رأس الطريق الموصل للدلتا بصحراء ليبيا بعدة أميال . وكانت فى تلك المنطقة مزارع كروم فاخترقوا خطوط القلاع الغربية والتحموا بجيش منفتح وكان ذلك فى صباح اليوم الخامس عشر من أبريل . واستمرت الموقعة دائرة بشدة عدة ساعات حتى انتهت بطرد الليبيين بعد ما تكبدوا خسائر فادحة .

ويذكر برستد أن منفتح تعقبهم بجيوله ومزقهم شرمزق ، ثم واصل اقتفاءهم حتى بلغ « جبل قرون الأرض » وهو آخر حدود الدلتا الغربية ومنه فر الليبيون . أما « مريى » فقد هرب إلى بلده يأسا تاركا أفراد أسرته وأثاث منزله فى أيدي المصريين . وقدرت خسائر الأعداء بتسعة آلاف قتيل ثلثهم تقريبا من سكان البحر المتوسط . وبلغ عدد الأسرى ثلث هذا العدد ، ووقع بين القتلى أنجال ملك الليبيين الستة . وغنم المصريون فى هذه الموقعة أشياء كثيرة منها تسعة آلاف سيف نحاسى وعدد كبير من أدوات الحروب المختلفة البالغ عددها ١٢٠٠٠ .

وأسلحة أخرى ، واثاث بديع وجد في خيام ملك الليبيين ورؤساء بلاده . ولما نهب المصريون خيام الأعداء أضرموا فيها النار فالتهمت بها كلها . ثم عاد منفتحاً إلى قصره . وجمع أمراء مملكته ، وألقى عليهم خطاباً وبيننا ، كان يوجه كلامه إلى أمراءه وصل إليه نبأ من قائد قلاع غربى الدلتا بأن ملك الليبيين هرب مخترقاً خط الدفاع المصرى ليلاً وأن قومه خلموه وملكوا عليهم غيره من خصومه .

وهكذا سقط الحزب الحربى فى ليبيا ووقف كل هجومه من تلك الجهة على مصر فى عهد منفتح على الأقل ، ولم يكن الفرع الذى عم أهالى مصر لمجرد الفوز العسكرى ، بل كان أيضاً لخلاص مصر من الوقوع فى أيدي الأعداء . وبما يدل على هذا السرور ترنم الأهالى بأنشودة عرفت فى ذلك العهد تقتطف منها ما يلى :—

« شمل مصر فرح عظيم وصعدت من بلاد الدميرة (مصر) أصوات السرور - فأصبح الكل يتحدثون بنصر منفتح على التخنو قائلين ما أحب هذا الملك المنتصر . وما أعظمه بين المعبودات . وما أسعد هذا القائد الحاكم ، إجلس مسرورا وتكلم أو امش بعيداً حينما أردت فلاخوف الآن فى قلوب الخلق / القلاع تركت وشأنها والآبار فتحت من جديد . وأصبحت الرسل تنظر حول القلاع مستريحين فى ظل جدرها من حرارة الشمس حتى يتنبه الحراس من الداخل . أما الجنود فصارت تنام مستريحة البال ، وأضحى حراس الحدود يشتغلون فى حقولهم كالعادة .

ومن أعمال منفتح أنه حصن حدوده الآسيوية بقلعة سميت باسمه . وأخضع ثورة نوبية فى الجنوب أيضاً ، وتوفى منفتح عام ١٢١٥ ق . م بعد حكمه عشر سنوات . وقد أتى من أعمال الشهامة والاقدام ما يستحق الإعجاب . ومن بعده تولى الملك عدة ملوك كان آخرهم « سبتى الثانى » ولضعفه عجز عن الحكم وظهر أمراء البلاد بثورتهم الداخلية التى جزأت القطر إلى عدة أجزاء مستقلة .

انحدرت الامبراطورية المصرية بسرعة إلى الانحلال ، فانتهم الليبيون هذه الفرصة وأقبلوا على البلاد فاستولوا على شاطئ فرع النيل الكانوبى .

ومن حسن القدر أن اعتلى العرش أمير مصرى اسمه « ستخت » فوطد الأمن
موأطاد النظام إلى البلاد واستأصل شأفه اللويين . وقبل وفاة هذا الملك
(عام ١١٩٨ ق . م) عين ابنه رمسيس الثالث شريكاً له فى الملك . ويعد بعض
المؤرخين مؤسس الأسرة العشرين . وتصادف فى أوائل أيامه وصول سكان جزر
البحر إلى أمور حيث ضربوا خيامهم .

معارك الأسرة العشرين

(ح ١٢٠٠ — ١٠٩٠ ق . م)

تولى الملك رمسيس الثالث وهو آخر ملوك مصر الحارين (ح عام ١١٩٥ ق . م)
فأخذ يستعد لصد هجوم أعدائه، فحصى حدوده السورية، وجمع أسطولا ضخما وزعه
على الموانئ الشمالية، ولما كمل استعداداه قاد بنفسه الحملة الأولى إلى سورية ونجح
فى صد زحف أعدائه بالقرب من أمور، وانتصر عليهم . ويستدل من صور تلك
الموقعة أن جنوده السردنيين شقوا صفوف أعدائه واستولوا على عجلائهم . وقد
تمكن رمسيس الثالث من الوصول إلى ميناء على شاطئ « فينيقيا » راقب منها
سير المعركة البحرية التى دارت رحاها بين الأسطولين، وانتهت بانتصار البحرية
المصرية، ونجاة الامبراطورية المصرية بآسيا للمرة الثانية من الخطر الأجنبي .
وبعد الموقعة، عاد رمسيس الثالث إلى قصره بالدلتا .

الحملة الثانية :

اتحد الليبيون وسكان الغرب وقبائل المشواشين القاطنين غربى الليبيين على
مهاجمة مصر، فعبروا الحدود المصرية وكان ذلك فى الشهر الثانى عشر من السنة
الحادية عشرة من حكم رمسيس الثالث . فحاصروا قلعة هاتشو التى تبعد عن حدود
الدلتا بنحو أحد عشر ميلا وتقع بالقرب من ترعة « مياه رع »

فى تلك الجهة وتحت أسوار قلعة « هاتشو » هجم رمسيس الثالث على أعدائه
هجو ما عنيفاً فى حين أخذت حامية القلعة تمطر المصريين بسهامهم حتى عجزوا عن اللقوبة

ودب الذعر بينهم وفروا هارين . لكن قلعة ثانية أصلتهم بالنبال في أثناء هربهم فقضت عليهم . وبعد ذلك تعقبهم رمسيس بجيوشه لمسافة أحد عشر ميلا من حدود الدلتا حتى تاكد من خروجهم تماما من أرض مصر . ثم استراح في حصن هناك عرف بمحصن « مدينة رمسيس الثالث »

وانتهت هذه الموقعة بقتل قائد المشواشين « مششو » وقتل ما يبلغ ٢١٧٥ نفسا وأسر ما يبلغ ٢٠٥٢ نسمة بينهم نساء يزيد عددهن على ربع هذا الرقم . واعتبر الملك هذا النصر العظيم عيدا كان يحتفل به سنويا ومما عيد قتل المشواشين ، ولقب نفسه بعد ذلك بالألقاب الآتية :

« حامي مصر والمدافع عن الأقطار وغازي المشواشين ومنتلف أرض النمحو »
أما حملته الثالثة فكانت موجبة ضد الليبيين وسكان البحر وقد قضى على هجومهم في غرب الدلتا .

الحملة الرابعة :

لما انتهت الحملة الثالثة سافر رمسيس الثالث إلى آمور . ولم يصل لنا من أخبار هذه الحملة إلا اليسير ، ومنها يستدل على أنه استولى عنوة هناك على خمس مدن على الأقل . واحدة في آمور ، وثانية يظن أنها قادش . وثالثة واقعة على تل ولا يزال مجهولة . أما الاثنتان الباقيتان فتسمى احدهما « إرث » (Ereth) ، والأخرى مجهولة الاسم ، وقد دافع الحيثيون عنها ويظهر أن رمسيس الثالث لم يتوغل كثيرا في البلاد الحيثية رغم ضعفها وما اتناها من غارة أهالي جزر البحر للتوسط عليها .

بعد انتهاء هذه الحملة أخذ رمسيس الثالث ينظم مستعمراته الآسيوية . ويرجح أنه لم تمتد حدوده عما كانت عليه أيام منفتاح وشيد حصونا عدة عند المواقع الهامة من حدود فلسطين وسورية ثم أقام هناك تمثالا عظيما للمعبود آمون وأجبر أمراء آسيا على أن يقدموا الجزية السنوية لهذا للمعبود ، ولم تقسم بعد ذلك اضطرابات تذكر باستثناء ثورة صغيرة قام بها بدوصير (Seir) فأخضعت بسهولة وطاد السلام .

وقائع رمسيس الثالث خالدة على آثاره :

في سهل طيبة الغربي معبد كبير يعرف الآن بمدينة هابو وقد سجل رمسيس الثالث على جدران جميع أعماله الحربية سنة بعد أخرى . زفيخيل لزاره أنه داخل متحف حربى حديث التنسيق . فاذا اخترق الزائر باب الصرح الأول شاهد إلى يساره رمسيس الثالث يهزم الليبيين فى أثناء العام الحادى عشر من حكمه . وعلى الجدار الغربى نحو الشمال تشاهد احتفال رمسيس الثالث بانتصاره على سكان البحر الأبيض المتوسط الذين غزوا مصر برا وبحرا . ويرى المشاهد على الجدار الأيسر رمسيس الثالث يقدم ثلاثة صفوف من الأسرى للمعبودين آمون رع وموت — وبعد اختراق باب الصرح الثانى يرى الزائر مناظر بدية جدا على الجدار القبلى . فيشاهد العربة الحربية الملكية يمك جوادها سائمان بينما يفتش الملك أيادى الأسرى . التى قطعت وأمامها الكاتب المسجل والجند يمدونها ويسجلون عددها . وعلى الجدار المجاور يرى المشاهد انتصار الملك على الآسيويين وعلى نفس الجدار يرى الملك يقود عربته الحربية بنفسه وأمامه صفوف الأسرى ويحيط به الحرس الخاص وحملة المراوح ووراءه قواته المنتصرة . وبالاختصار فانك تشاهد جميع وقائع رمسيس الثالث البحرية والبرية منقوشة على جدران معبد هابو . ويجب بها هواة الآثار المصرية القديمة وخاصة العسكريون منهم .

حكم رمسيس الثالث مصر احدى وثلاثين سنة وأربعين يوما وتوفى حوالى عام ١١٦٣ ق.م ، فتولى الحكم من بعده كثير من الرمامسة الذين لم يخلدوا على صفحات التاريخ شيئا يذكر سوى ضعفهم وماجروه من الولايات على مصر . وأهم ما يلاحظ على عصورهم أن الحمية التى تولدت فى نفوس المصريين أثر غزوة الهكسوس انعدمت واستمضت بمقائد فاسدة ، فحل الجهل والضعف محل العلم والقوة . وليس لدينا ما نذكره من الأحماد القومية فى أثناء حكم ملوك الأسرة الحادية والعشرين .

الاسرة الثانية والعشرون واليهود

لما مات سليمان ملك اليهود (ح عام ٩٣١ ق م) ولى الملك ابنه رحبعام من بعده ، وفي أوائل أيامه انقسمت المملكة ، وخرج عليه عشرة أسباط منهم يربعام^(١) ولم يبق معه سوى سبطى يهوذا وبنيامين . وقد عرف القسم الشمالى من المملكة باسم اسرائيل . أما القسم الجنوبي ومملكة رحبعام ، فقد عرف باسم مملكة يهوذا ، و فكر رحبعام أن يزحف على العصاة بجيش كبير ويخضعهم ، واستمرت الحرب طويلا ، ثم انتشرت العبادة الوثنية فى المملكتين على السواء .

ولذلك انتهز شيشنق الأول^(٢) ملك مصر انحلال المملكة اليهودية ، فهاجم رحبعام حوالى ٩٢٦ ق . م فوصل بيت المقدس على رأس جيش فيه ١٢٠٠٠ عربية حربية ، وستين الف فارس ودمر المدينة ، وسبأ أهلها وأخذ كنوز بيت الرب يهوذا وبيت الملك وآلاف الأتراس الذهبية التى صنعت فى عهد سليمان . ونقرأ أخبار الحملة كاملة على جدران معبد جليل العمارة فى طيبة بمعبد الكرنك .

وللعروف أن شيشنق لم يذهب الى أبعد من حد شاطئ بحر الجليل شمالا وماهنايم التى هى بوادى الأردن شرقا . وفى هذه الحملة أرسل الملك قواته اللبية لتهب مدن سهل يزرل بإدثة برهوب وحفرايم ومجد وتناخ وشونم وبيت شين شرقى وادى الأردن ، أما فى الجنوب فنضمت الجنود يرازا وبيت حورن وابلونا وجبيون وسكو وشرحان وغيرها ، وكان من نتائج هذه الحرب الخاطفة التى لم تستغرق طويلا أن دمر شيشنق عشرات المدن اليهودية ومستعمراتهم كما ذكرنا ، ونهب الهيكل .

(١) كان يربعام قد هرب الى مصر فى أيام الملك ساجان وظل مدة فى حياية شبشقي فرعون مصر

(٢) أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين .

وهكذا دمرت مصر ملك الدولتين ، فلم تقم لها قائمة ، وأصبحتا خاضعتين
للفوذ المصري ، وكذلك كان أحفادهما . وبالرغم مما أصابها من المحن ، فقد استمر
النضال بين اسرئيل ويهوذا لأنها لم يستطيعا العيش في هدوء .



(ش ٨١) جندي آشوري مسلح بالأسلحة الخفيفة
(من حفائر نمرود)

الأسرة الخامسة والعشرون

(٧١٢ — ٦٦٣ ق م)

مرت اعوام طويلة حكم الليديون في خلالها المصريين (الأسرة ٢٢—الأسرة ٢٤). وانتهز بعنخى ملك إيثيوبيا (السودان) ^(١) فرصة ضعف البلاد المصرية . فاتصل ببعض زعماء الجنوب ليساعدهم على التخلص من سوء أحوالهم ومن أجل ذلك قاد جيشا (ح ٧٢٥ ق م) على متن عدة سفن نيلية ، وكان يستولى على مدينة أثر أخرى حتى دانت له معظم أنحاء مصر، ومن ثم عاد الى بلاده بعد ما اعترف له بسيادته . وقد بلغ من العمر عتيا بعد ما حكم بلاده حوالي ٢١ سنة . وكان قبل أن يغادر مصر نصب عليها حفيده شاباكا (ابن كيشتو) واليا من قبله . والمعروف عن شاباكا هذا أنه قاد جيشا الى فلسطين ^(٢) بيد أنه لقي الهزيمة من سرجون ملك آشور (ح ٧٢٠ ق م) . ثم تخلص من آخر للدعين بالملك « واهكيري بكن رانف » بعد ما هزمه وقتله في آخر معركة ، فاصبح ملك مصر وأسس الأسرة الخامسة والعشرين (ح ٧١١ ق م) . وقد نهضت مصر في أيامه ، واستعادت رخاءها ومكاتها في العمارة والفنون ، ويستدل على ذلك ما خلفه عصره من الأعمال الفنية الجليلة .

ولم يقف الأمر عند ذلك ، ففي عام ٦٩٩ ق م عقد حزقيا ملك يهوذا اتفاقية مع الملك طهارقة الذى خلف شاباتاكا ابن شاباكا ورفض (حزقيا) طاعة سنحاريب . ملك آشور ، فزحف هذا على رأس جيشه لمحاربهه وقد علم أن طهارقة سوف يهب لنجده . فلم ينتظر مجيئه ، بل سار على رأس جيشه الى مصر فوصل الى بلوسيوم (الفرما)

(١) كانت عاصمة مملكته نباتا بالقرب من الجنادل الرابعة .

(٢) حينما زحف سرجون على غزة كان أميرها قد حالف مصر ، ففر الى رفح واستنجد بشاباكا فأتاه بشجدة بعد ما وصل الى رفح ، وعلى أرضها دارت معركة حامية بين آشور مصر ، وانتصرت الأولى في معركة رفح (الأولى) .

حفتاح مصر من الشرق وحاصرها حصارا شديدا ، ثم وصل أسطوله لتجدة قواته البرية فاستطاع أن يحاصر بلوسيوم برا وبحرا وفي الوقت الذي كان فيه على استعداد للمعركة هبت ريح شرقية، أفقدت سفنه تنظيمها ، ولم تتمكن من جمع ثملها ثم تناثرت في عدة جهات . ولذلك اضطر سنحاريب الى الفرار ناجيا بقواته ولم يتمكن من تحقيق أحلامه لغزو مملكة يهوذا أو مصر .

ولما تولى « أسرحدون » ملك آشور بعد سنحاريب ، عزم على غزو مصر (ح ٦٧٤ ق م) فلحق الهزيمة . ثم حاول غزوها مرة ثانية في عام ٦٧٠ ق م فنجح . ووقعت منف عاصمة البلاد في قبضته ، واعترف له أمراء الدلتا بالطاعة ، في الوقت الذي فر فيه الملك السوداني الى الوجه القبلي . ولم يكد « أسرحدون » يعود الى وطنه في آشور حتى استأنف طهارة ثانية حكم الدلتا . ولذلك اضطر «أسرحدون» الى العودة ثانية (ح ٦٦٨ ق م) بيد أنه مات في الطريق ، فواصل ابنه آشوربانيبال السير الى مصر ، والتقى بطهارة في معركة حامية وفاز عليه . وفي أعقاب الهزيمة فر ثانية الى الوجه القبلي ليحتفى فيه .

اختر آشوربانيبال مصر يا اسمه « منبيري نيكو » ليكون نائب الملك في مصر السفلى أما طهارة ، وقد بلغ آنذاك (٦٦٥ ق م) السبعين من عمره ، فقد عين أحد أفراد أسرته « بكيري توتنامن ليشاركه الحكم ثم مات طهارة (ح ٦٦٦ ق م) عاد توتنامن الى نباتا حيث توج رسميا ، ثم رجع الى مصر للملاقة الأشوريين . وقوات نيكو في الدلتا ، فاستولى على منف وقتل نيكو ، وفي حوالى عام ٦٦١ ق م وصل جيش آشورى الى الدلتا ففر توتنامن مرة أخرى الى نباتا ، وانتصر الأشوريون . وسقطت طيبة وكنوزها في أيديهم ، وقد كان لأنباء هذه الكارثة صدى مؤثر في البلدان المجاورة ، وظل الناس يتحدثون بأهوالها عدة سنين طوال .

سقطت طيبة ذات المائة باب ، أعظم مدن العالم القديمة وأظهرها حضارة ، ومع أنها نهضت ثانية من كبوتها على أيام البطالمة ، لكنها لم تستعد مكانتها ومجدها التالدين ولقد اختفى توتنامن في أقاصى الجنوب من مسرح التاريخ ، وأجاس الأشوريون للانتصرون على عرش مصر كنائب عنهم أمير سايسن أصغر أبناء نيكو للمتوفى ، واتخذ اسم واحبرى ، أو بسيتيك الأول ، ويعتبره المؤرخون مؤسس الأسرة ٢٦ .

الأسرة السالسة والعشرون

(٦٦٣ - ٥٢٥ ق . م)

الصهوة فى أيام بسمايك

خدمت الروح الحرية فى مصر عقب وفاة رمسيس الثانى ، وتعاقب على عرش الفرعنة اللويون والأثيويون فالآشوريون . وظلت مصر فى سبات عميق حتى نهض أحد الأمراء المصريين وكان خاضعا لملك آشور ، وأعلن الثورة عليه للخلاص من سلطته وتحرير البلاد . وكانت حركة بسمايك بلغت حدا بعيدا لم يجرأ آشور بانبال بعد اضطرامها على ما يظهر أن يخاطر باخضاعها .

اتفق الأمراء المصريون فيما بينهم ووجدوا كلمتهم للوصول إلى غرضهم ولكى يفوزوا باستقلال البلاد بقوة اتحادهم ، فلموا شملهم فى كامل قوتهم . وكانوا اثنى عشر أميرا... الأمير باكرور من بسيناتو وبثوباستس أمير تيس ، وشيشنق من أبو صير وتافنخت من بروسوتيس ويكنيفى من أتريس وناخى من خير اكلوبوليس وبيامى من مندس ولا منتو من هربوبوليس ومنتوم أنخ من طيبة وغيرهم من أمراء الأقاليم . ونظموا قواتهم وألقوا منها جيشا واحدا جعلوه تحت قيادة بسمايك .

وفى ساحة منف على حدود الصحراء اللوية اصطدم جيش الأمراء تحت قيادة بسمايك بجيش آشور ، ولم تدر حى القتال على أحد الفريقين . وفى النهاية صمدت القوات الاغريقية والكارية وكانت تؤلف بعض وحدات الجيش المصرى وانتصروا على جيش الأعداء . وظفر بسمايك على أعدائه وهزمهم فى المعركة الأولى (١) .

(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ، ترجمة الدكتور حسن

سكال ، ص ٣٨٣ .

واصل بسمايتك منازلة الأعداء ومهاجمتهم في حماياتهم فوقت في يده مدن
الأمراء الذين كانوا لم يعترفوا بعد بسلطانه ، وأباد قواتهم . وقد تحققت مآرب
بسمايتك وأعاد إلى البلاد وحدتها واستقلالها الذي كانت قد فقدته . وأصبح الملك
الوحيد الذي لاينازعه في الملك منازع ، فأخذ مصر من حكم هؤلاء الأمراء وأتباعهم
الحربيين الذين جروا على وطنهم الذلة والهوان مدة أربعمئة سنة تقريبا . وصار
بسمايتك بفضل هذه الأعمال من أعظم وأكفأ فراغنة مصر . فساوى بسمايتك في
الشرف والمزلة امنمحت الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة ، وأحمس الأول طارد
الهكسوس .

وكان من أصعب الأمور على بسمايتك أن يحافظ بالسيف على ما كسبه بالسيف وان
ينشئ قوة حربية . ففكر في الأمر فوجد أمامه الليبيين الذين عاشوا بمصر عدة
قرون فأصبحوا مصريين ، وكان الملك من سلالتهم . فاستخدمهم في بعض وحدات
الجيش واحتفظ بقوات الجنود اليونانية والسكرية (Carians) وكانوا أرسلوا اليه
لمساعدته في حروبه ضد الآشوريين . وحشدهم بالقرب من مدينة دفنة (Darhnae)
وهي على حدود مصر الشمالية الشرقية التي كان يخرقها فرع النيل البللوزي . أماغربي
النيل فكان محميا بقوة حربية أخرى من هذا النوع بجبهة قلعة مريا (Marva) من
الاسكندرية . ووضع بسمايتك الحامية المصرية بجزيرة فيلة بأسوان لمنع غارات النوبة
من الجنوب .

قال هيرودوت فيما يختص برجال هذه الحامية ان مائتين وأربعين ألفا من جنود
مصر هجرت معسكرها جهة أسوان وعرضت مساعدتها الملك أثيوبيا لاستيائها من
بقائها ثلاث سنوات بمعسكرها ، ولا يخفى أن هذا العدد مبالغ فيه على عادة هيرودوت.
رأينا الملك بسمايتك يستخدم لحماية مصر الجنود المأجورة ، وهي خطة سبق
اليها رمسيس الثالث وآخرون من الفراغنة ، ويظهر أنه كان مضطرا إلى اتباعها .
لقد تعذر على بسمايتك أن يجعل مصر أمة حربية في غمضة عين . ومن هنا نشأ
اعتماده على الجنود المأجورة وان لم يهمل شأن الجنود المصريين والعناية بترقية الروح
للعنوية بينهم بعد أن فقد الشعب الحماسة والانطلاق .



(ش ٨٣) تمثال لأشور ناصر بال ملك آشور في المتحف البريطاني

وقد ذكر المؤرخ ديودور الصقلي أن بسمايتك منح الجنود الاغريقية هبات ثمينة ، وأسكنهم في مساكن كانت تسمى « ستراتويدا » ومعناها الخيام وأقطعهم أراضي كبيرة تقع على فرع النيل البللوزى بالقرب من دفنه كما ذكرنا . وكان الضباط ينزلون القلاع المحصنة المنيعة . وقد قام الأستاذ فلنדרز بترى بحفريات هامة بين عامى ١٨٨٥ و ١٨٨٦ كانت تبيحها اكتشاف أحد معسكرات الجنود المأجورة الاغريقية فى تل دفنه (١) وفى هذا المكان كان يعيش حوالى ٢٠ ألف رجل من الجنود المرتزقة . وكانت مركزا هاما لصناعة الأسلحة ومعدات الجند وصناعة الخبز أيضا .

ولما انتهى بسمايتك من توطيد دعائم ملكه داخل البلاد المصرية وقضى على سلطان الأمراء ونفوذ الآشوريين ، انتهز الفرصة الملائمة لغزو سورية . فجهز جيشا من المصريين والاعريقيين واللوبيين وسار فى طبيعته طابرا به الصحراء . واستولى على غزة وعسقلان وحاصر مدينة أشدود . ولم تتفق كلمة المؤرخين القدماء فيما إذا كان بسمايتك قد نجح فى الاستيلاء على تلك للمدينة الحصينة أم أن قواته لم تتمكن من القضاء على حصون للمدينة المنيعة . وأنها لم تتوغل فى بلاد الشام بسبب حصارها لمدينة « أشدود » مسدة طويلة . ولقد قام جنود الجيش المصرى المأجورة بدور هام فى فتح سورية وأبلوا بلاء حسنا فى المعارك . وقد ذكر ديودور أن بسمايتك بعد أن حازا النصر فى حملاته على سورية ، قسم جيشه إلى قسمين جعل الجنود المصرية فى الشمال ، والجنود الاغريقية فى اليمين . وهذا التوزيع أثار غضب الجنود المصرية وجعلهم يحسون بأن ملكهم يؤثر الاغريق على بنى جلدته . ويذكر المؤرخ أيضا أنه نجح عن هذا العمل أن هاجر إلى أثيوبيا عدد كبير من الجنود المصرية .

وأن مشكلة هجرة الجنود المصرية مازالت موضوع شك وجدال بين المؤرخين القدماء والمحدثين على السواء . فثمة من ينسكرك ذلك الحادث ومنهم من يثبته ، إنما بنص يختلف عن نص الآخر .

(١) تل دفنة مكان يبعد عن نائس بمقدار ١٧ ميلا انجليزيا وعن بوبسطة بمقدار ٤٥ ميلا فى وسط الصحراء بين الدلتا وقناة السويس فى ابتداء الطريق الذى كانت تسلكه القبائل التى كانت تعبر مصر إلى سورية . وكانت لموقع المعسكر أهمية حربية .



(ش ٨٤) فارس آشوري مسلح بالقوس

على أن هجرة الجنود للصربية إلى اثيوبيا قد تبعها حادث آخر يحيط به الشك ذلك أن بسمايك لم يترك جنوده المصريين وشأنهم بل أعد حملة لمطاردتهم وافتقاء أثرهم وهذه الحملة تركت أثرا في بلاد النوبة . وما زال هذا الأثر من اللوحات التي يعالجها المؤرخون . وهناك وصل بعض جنود حملته التأديبية إلى أبي سمبل وكتبوا أسماءهم على ساق أحد التماثيل العظيمة عند مدخل معبد هناك . وهذه الكتابات المنقوشة ذات صور ثلاث مختلفة بعضها اغريقية وبعضها كارية والبعض الآخر بلغة سامية . والنصوص الأخرى والكارية تلفت نظر علماء فقه اللغة الأخرى وكذلك علماء الكتابة الأخرى القديمة . وكل ما يستنتجه المؤرخ من نصوص معبد أبي سمبل أن ملكا يدعى بسمايك قد وصل إلى هذه البقعة على رأس حملة مؤلفة من ثلاث فرق : الفرقة الأولى اغريقية وكان يقودها قائد اغريقي اسمه بسمايك على اسم ملك مصر . والفرقة الثانية من الكاريين ، والثالثة من المصريين . على أن مسألة بسمايك هي موضوع الشك ونقطة الجدل ، لانتنا لا نعلم ما إذا كان الملك للنقوش اسمه هناك هو بسمايك الأول أم الثاني الذي وصلت جنوده إلى ذلك المكان ، فان بعض المؤرخين يقول أنه بسمايك الثاني وليس الأول (١) .

وصادفت الأعوام الأخيرة في حكم بسمايك وكان قد هزم واضطرابا واضمحلالا أصابا بعض الدول الآسيوية وعلى رأسها مملكة آشور ، فقد كانت تحتضر . وكان أمام الملك المصري ميدانا عظيما ليوسع مستعمراته لكن فتوحاته في فلسطين وسورية كانت قد أنهكت قوى جيوشه . فراجع مضطرا عن تحقيق . مرامية وترك ممالك آسيا للملوك الآسيويين ، يفعلون بها ما يريدون ونفض يديه نهائيا عن أعمال الفتح وترك لانه نحاو جميع مشروعاته الاستعمارية بيد أن أحكم له الأساس ومهد له التوسع الآسيوي بغزواته الفلسطينية .

لم يجد نحاو (٦٠٩ — ٩٩٣ ق . م) أمامه ما يمنعه من استرداد الامبراطورية المصرية بآسيا . فقد سبق القول أنه في الوقت الذي كانت فيه الامبراطورية المصرية

(١) بسمايك الأول و جنود الاغريق للأستاذ عبد الملك جرجس (مقال)

أخذة في التقدم كانت مملكة آشور تنحدر في طريق الاضمحلال . فلم يتردد نحاو في مهاجمتها، ولذلك أخذ يحقق مشروعات والده الاستعمارية فأعاد تجهيز جيشه وشيد أسطولين بحريين ضخمين ، أحدهما في البحر المتوسط والثاني في البحر الأحمر .

ففي العام الأول من حكمه بدأ حملته في فلسطين ، فاستولى على غزة وعسقلان ، ثم زحف شمالا ووصل مقاطعة يهوذا فظن ملوكها أنهم سيتمكنون من صد مصر . فجمع ملكهم يوشيا (Josiah) جيوشه وهجم على القوات المصرية بسهل مجدو حيث وقعت أول معركة حربية منذ تسعمائه سنة تمكن فيها المصريون من اخضاع آسيا وانتهت هذه المعركة بهزيمة يوشيا التامة ، فقد أصيب فيها بجرح ثم وافته المنية .

ظن « نحاو » أن آشور ستحاول استرداد أملاكها الضائعة ، فزحف مسرعا ميمها نهر الفرات ، ولكن آشور كانت تحتضر ، ولذلك لم يجد قوة تقاومه هناك ففضل الرجوع إلى مصر . وبهذه الوسيلة تمكن من استرجاع سورية كلها وجميع مستعمرات مصر التي كانت تابعة لها في أيام الامبراطورية في غزة و واحدة و عاد منتصرا إلى وطنه .

دامت امبراطورية نحاو الآسيوية ثلاث سنوات تمتعت مصر أثناءها بفرح الانتصار ، ودبت فيها روح الفتح والقوة . فلما استيقظ « نابو بلاصر » ملك بابل اتحد مع ملك ميديا للقضاء على آشور نهائيا واقتسما أملاكها نهائيا . وكانت سورية من نصيب « نابو بلاص » . لكنه كان مسنا فأرسل ابنه « نبوخنصر » لقتال نحاو . فلما سمع بذلك فرعون مصر جمع قواته وأسرع للاقائه على الحدود الشمالية على نهر الفرات بالقرب من سركيش (٦٠٥ ق . م) ، فالتحم الفريقان ودارت المعركة على الجيش المصري المختلط (١) .

رأى نحاو أن الوسيلة الوحيدة التي تنقذه هي أن يتقهقر مسرعا نحو الدلتا ليحتمي في مصر وراء الصحراء والنيل . وكانت تتعقبه جحافل البابليين . ولكن

(١) برستد : تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي ، ص ٢٩٤

وفاة والد ملك بابل أجبر نبوخذ نصر أن يتفق مع نخاو على فض المشاكل التي بينهما. وقد انتهى اتفاقهما على حد طمع المصريين بآسيا. وصمم ملك مصر على الاحتفاظ بدولته مكتفيا بترقية تجارة مملكته وتوسيع مشروعات أيه الاقتصادية وأعاد حفر القناة التي كانت توصل فرع النيل الشرقى بالبحر الأحمر، فعاد المشروع على مصر بالربح التجاري الكبير، كما أنه ساعد كثيرا من الوجهة الحربية.

ويستدل على شدة رغبة نخاو في ترقية الملاحة يبعثه الفينيقية التي قال عنها هيروdot، أنه أرسلها لارتباد سواحل أفريقية المعروفة وقتئذ باسم ليبيا، وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاث سنوات. فنرى أن السفن المصرية قد ارتادت القارة الأفريقية قبل ارتباد فاسكودي جاما بألاف السنين.

الأيام الأخيرة

مات نخاو بعد حكم دامت مدته ١٢ عاما خلفه بسمايتك الثاني. وقد رأى أن يتجه بفتوحاته نحو الجنوب، فغزا جيشه المختلط أثيوبيا كما يستدل على هذه الغزوة من النقوش المدونة على تماثيل معبد أبي ممبل. وفي أثناء عصر هذا الملك زار صولون للمشرع الأغرقي مصر وكان ذلك في عام (٥٩٤ ق. م).

وفي أيام خلفه «أبريس» اشتعلت الحرب بين مصر ونبوخذ نصر ودارت رحى المزيمة على المصريين فعاد الملك ولم يحكم طويلا وحده حتى شاركه فيه «أمازيس». لكن لم يدم طويلا ذلك للملك فقد غزا ملك بابل نبوخذ نصر وادى النيل واكتسح قواتها في الدلتا (١).

وجاء للملك أمازيس الثاني فرأى أن الوسيلة الوحيدة لحفظ كيان دولته أن يعقد المحالفات مع الدول المجاورة لمصر. فتعاقد مع برقة حيث نشر النفوذ المصري عليها وغزا جزيرة قبرص. وارتبط بمدة محالفات دفاعية مع الأغرقي واليبين.

(١) يقول بعض المؤرخين إن القوات البابلية دفعت القوات المصرية إلى أسوان.

واليابانيين ليضمن التعاون معهم على صد جحافل دولة فارس الناهضة ، لكن لم يجد ذلك نفعا . فقد غزا كيروس ملك الفرس بلاد ليديا وقضى على الأسطول المصرى بالقرب من قبرص ثم تقدم نحو الشام إلى الحدود المصرية لغزو مصر . لكن ارتدت الجيوش الفارسية ولم تنفذ خططها العسكرية لوفاة كيروس الذى أمتد ملكه إلى بلاد الهند .

وفى أيام خلفه بساتيك الثالث (ح ٥٢٥ ق م) بدأ قبيلز ملك فارس يهدد مصر بغزوتها ، فاستعد لها وقام بتجهيز معداتها من الرجال والأسلحة . وكانت مصر منيعة بمحصونها الشرقية ومن الصعب على أى جيش مهاجم اختراق هذه الحدود ، فكان من الضرورى معرفة أضعف مواقع الحدود لمهاجمتها والتسرب منها ، ولقد ذكر المؤرخون الأغريق أن قائدا إغريقيا اسمه فانيس (Phanes) أرشد مقدمة الجيش الفارسى على بعض تلك النقاط ، فهوجت مدينة البلازيوم (١) من البحر ، وتدفقت جحافل الفرس فى الصحراء ثم سقطت مدينة منف فى أيديهم ، كما وقع الملك بساتيك أسيرا فى قبضتهم . فأرسلوه إلى فارس حيث قضى نحبه وبذلك إنتهت أيام الأسرة ٢٦ .

اعترف المصريون بسيادة قبيلز (٥٢٥ — ٥٢١ ق . م) ملكا عليهم ، سواء أرغبوا ذلك أم كرهوه ، واتخذ ألقاب الفراعنة ، وشارك المصريين فى عباداتهم ومعتقداتهم وقد عرف عنه أنه أرسل حملة للوحدات الغربية ، واسكنها ضلت الطريق وهلكت ولاقت حملة أخرى لاختضاع النوبة الصير ذاته ، ثم عاد الى وطنه ، وخلفه داريوس (٥٢١ — ٤٨٦ ق . م) واتخذ فى مصر لقب « سى توترى » ، وكان حاكما حازما متنورا ، فأقدم على إعادة فتح القناة التى تربط البحر المتوسط بالبحر الأحمر . وفى آخر سنى حكمه ثار المصريون عليه ، وأجلسوا على العرش خبيثى (٤٨٦ — ٤٨٤ ق . م) ولم يعرف شىء عنه ، سوى أن أخشرشش الذى خلف داريوس على الحكم فى فارس (٤٨٤ — ٤٦٦) ، قدم الى مصر وقضى عليه ،

(١) تعتبر هذه المعركة فى نظر بعض المؤرخين بلوسيوم الثانية .

وأعاد البلاد إلى طاعته .. ولما خلفه أرتخرشش (٤٦٦ — ٤٢٥ ق . م) ثار المصريون مرة أخرى بزعمارة أحد الأمراء ، بيد أن سرعان ما أخذت الثورة وأُعيد الأمن إلى نصابه . ويذكر معظم البحاث أن هيرودت المؤرخ الاغريقي ^(١) ، زار مصر في أيامه .

وهكذا ... توالى على أيام الفرس ، الأسرات ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ . وقد ظهر في أثنائها قليل من الزعماء المصريين ، ممن تولوا الحكم مددا قصيرة ، ولم يخلد المصريون إلى السكينة . بل كانوا يواصلون ثورتهم ضد الفرس . فيطردونهم أحيانا ثم يعود الفرس مرة أخرى . واستمر الوضع على هذا الاضطراب بين الجانبين إلى أن استطاع الملك تاخوس طردهم من البلاد ، ثم غزا فلسطين .

وأخيرا جاء داريوس الثالث (أردشير عند العرب) ، فانه لما تولى العرش (٣٣٦ — ٣٣٢ ق . م) ، عزم على استعادة مصر وولاياتها في سورية ، فجمع جيشا كبيرا من المشاة الفرس والأغريق ، والفرسان ، ودعمهم بأسطول حربى وسفن للنقل . ثم زحف على صيداء ، ففتحها خيانة ، ثم عبر سيناء ، ووصل إلى بلوسيوم (الفرما) .

كان نقطان ملك مصر قد أعاد تحصين بلوسيوم ومعظم ثغور مصر ، وحشد جيشا قوامه ٢٠٠٠٠ من ماجورى الأغريق ، و ٢٠٠٠٠ من الليبيين ، و ٦٠٠٠٠ من المصريين ، ثم هاجم جيش فارس ، ولكنه لم يستطع رده ، ومنى ثم عاد نصف جيشه إلى منف ، فاستطاع الفرس محاصرة بلوسيوم ، ورموا أسوارها بالمنجانيق وفتحوا ثغرات فيها . واقتحم الجيش الأسوار ، واستولوا على المدينة . ثم انتهت المعركة بضم مصر إلى فارس .

وتعرف هذه المعركة بمعركة بلوسيوم الثالثة .

(١) د صقر خفاجه و د . أحمد بدوى : هيرودت في مصر . القاهرة

٤ - الجيش في أيام البطالمة

سياسة البطالمة العسكرية :

في أعقاب اندحار الجيش الفارسي في موقعة أسوس شمال الاسكندرونة (٣٣٣ ق . م) زحف جيش اسكندر الأكبر على سورية ، ففتح صيداء صلحا ، ثم صور بعد حصار سبعة أشهر ، ثم غزة وبعدها قصره قصده مصر بطريق سيناء ، وكانت سفنه تسير بمحاذاة قواته البرية حتى وصل إلى بلوسيوم (٣٣٢ ق . م) وكانت الجيوش الفارسية قد انسحبت من مصر للدفاع عن سورية ، فسلمت له بلوسيوم في يسر وسهولة . وانحدرت سفن الاسكندر في فرع النيل البليوسى حتى وصلت هليوبوليس ، ثم عبرت النيل . وتقدم الاسكندر إلى منف ، وكان عليها وال من قبل دارا ملك فارس فسلمها للفتح دون قتال ، وكان ذلك في عام ٣٢٢ ق . م . وأقام الاسكندر عدة أشهر في مصر ، خططت خلالها الأسكندرية . ثم استأنف القائد مسيره ليقضى على امبراطورية الفرس ، وتم له ما أراد ، ثم قضى نخبه . وانقسمت امبراطوريته بين قادته الكبار :

في الوقت الذي رغب فيه « بطلميوس » رغبة صادقة في أن تظل قوته في أمن وسلام في مصر مضى يتطاع إلى أقاليم مجاورة يحتلها لتكون مصر توابع وأن يكون له من الجزائر وشواطئ البحر المتوسط مواطن ارتكاز تأوى إليها قواته البرية والبحرية . ذلك بأن مصر البطلمية قد أصبحت دولة أكثر نشدانا لصالحها في حوض البحر المتوسط منها دولة أفريقية . على العكس من مصر الفرعونية التي كانت تمتد سلطانها أحيانا إلى جوف السودان . أما البطالمة فلم يعنوا بالاستيلاء على أرض تقع بعد الشلال الأول . ولكن بطلميوس أراد أن يملك جنوب سورية كما فعل الفرعنة الذين درجوا من قبله لتصبح دريئة من الشرق كما

كانت برقة دريئة من الغرب . وأحب أيضا أن يملك جزيرة قبرس كما فعل الملك أحس في القرن السادس قبل الميلاد ، وأن يتقدم خطوة أخرى ، فيبسط سلطانه على أغارقة جزر ايجة وعلى بقاع من آسيا الصغرى .

كان هذا برنامج التوسع البطلمى . والواقع أن مصر إذا شاءت أن تكون دولة قوية هائلة فانها لن تصل إلى ذلك إذا هى بقيت حبيسة فى داخل حدودها . فإن الأخشاب الضخمة التى كان ينتفع بها فى بناء السفن لا أثر لها فى وادى النيل ، وموردها جبال لبنان وتلال قبرس .

فى عام ٣١٨ ق . م . أمتلك بطلمىوس . سورية من حدود لبنان جنوبا . وهى الرقعة التى نسميها اليوم (فلسطين) ، وأنزل قواته البحرية على جزيرة قبرس وأخذ سلطانه يمتد ويثبت فى أطرافها حتى أتم غزوها . وكان يريد أن يتخذها قاعدة بحرية يناجز بها منافسه (انطيوخوس) الذى تملك كل اللوانى الفينيقية الواقعة على الشاطئ السورى . وفى سنة ٣١٣ ق . م . فقد بطلمىوس فلسطين ، ولكنه استعادها فى العام التالى . وعاد سلطانه على المدن الفينيقية ، وسرعان ما فقد سيطرته وسيادته على فلسطين مرة أخرى ، وإن ظل مالكا لجزيرة قبرس .

وفى سنة ٣٠٦ ق . م . تحطمت قوى بطلمىوس البحرية وحلت بها كارثة عظيمة فان دمطريوس حاكم سورية هاجم قبرس ونشبت معركة بحرية بالقرب من سلاميس فاوقع يبطلمىوس الهزيمة وقضى على حكمة فى الجزيرة . كذلك فقد بطلمىوس فى معركة واحدة نتائج كل الجهود التى بذلها خلال سنة عشر عاما ليملك فى خارج أفريقيا سورية وقبرس ولكن بقيت مصر وبرقة . فظل السيد اللطلق اليد فى مملكة النيل ، واستطاع بطلمىوس أن يترث وأن ينتظر انقلاب دورة الحظ .

وبعد أن فقد بطلمىوس كل املاكه فى خارج مصر فى سنة ٣٠٦ ق . م . انقلبت آية الحظ ثانية على (انطيوخوس) فقد حلت بجيوشه كارثتان فى خلال السنتين التاليتين ، فقد أراد مهاجمة مصر وأن يذل عقبيتها الخالدتين (الصحراء والنيل)

عباً جيشه في أنطيقونيا (انطاكيا) ثم تحرك إلى غزة (نوفمبر ٣٠٦ ق . م) وكان عدد جيشه كما قال « ديودورس » ٨٠,٠٠٠ راجل و ٨٣ (ثلاثة وثمانون) فيلا هندية مصحوبة بأسطول مكون من ١٥٠ قطعة حربية و ١٠٠ نقالة تحت إمرة ديمطريوس وقبل أن يبدأ الجيش اجتياز الصحراء وزعت على رجاله مؤن تكفي عشرة أيام . وأجرت فئة من البدو أدلاء على الطريق على أن يحملوا معهم ١٣,٠٠٠ مدمنى (وزنا من القمح والعلف والدواب) .

وقد كان من الأوفق — إذا نظرنا في الأمر من الوجهة الطبيعية المحضة — أن يؤجل « انطيجونس » هجومه على مصر إلى الصيف . فان النيل يكون فائضاً في الشتاء والملاحة البحرية صعبة إذ تعصف رياح شمالية غربية على الشاطئ . ولكن ضرورة القضاء على بطلميوس وهو مازال ضعيفاً بعد خسائره في قبرص حمل انطيجونس على أن يعجل بمحاولته . وكانت النتيجة أن اسطول « ديمطريوس » لم يستطع مقاومة الرياح وجنح كثير من سفنه إلى الشاطئ في رآفيا (رفح) . وأصبح التعاون بين الاسطول والجيش كما كان منتظرا من قبل في حكم المستحيل عملياً .

ولما وصلت قوات حلفاء « ديمطريوس » إلى بلوسيوم وجدها محصنة ، وان مدخل النهر موصدا بالسفن . هذا إلى أن النهر تغشاه سفن صغيرة متأهبة لمقاومة كل محاولة يقصد بها عبوره . وقد امتدت عدوى الفرار من الخدمة في جيش « انطيجونس » فدقق عدد جنده كثيراً .

وحين رأى أنه يتعذر عليه في (بلوسيوم) النزول أراد أن ينزل في مكان أبعد منها غرباً فامس الفشل . فقصده مصب النهر عند دمياط فصد أيضاً . ثم عاجلته عاصفة أخرى حطمت ثلاثاً من أكبر سفائنه . ولم يتمكن من العودة إلى معسكر أبيه ثمرق المصب البلوسيومى إلا بكل عناء . فارتد انطيجونس عن حدود مصر بأقصى ما يستطيع من سرعة لينجو بما تبقى من جنوده .

واستطاع بطلميوس فيما بعد أن يستولى على فلسطين ويسترد جزيرة قبرص (٢٩٥ — ٢٩٤ ق . م) وكانت قد انتزعتها منه قوات ديمطريوس وظلت بها ست

سنوات بعد موقعة إبسوس . وحوالى سنة ٢٨٧ ق . م كان للأسطول المصرى السيادة فى بحر « ايجية » كما استرد بطلميوس حمايته الفعلية على مجموعته جزيرة قوقلادس .

والآن لنعد لذكر بعض الحقائق الأولى الخاصة بالجيش .

بطلميوس الأول (ساتراب — سوتر) ٣٢٣ — ٢٨٢ ق . م :

عندما اختار بطلميوس مصر لتكون مقرا لحكمه وجد أنها قد وهبته أشياء عديدة . وهبته ارضا يسهل الدفاع عنها وثروة مادية عظيمة . سواء من مواردها الطبيعية أو من المناجر التى كانت ترد إليها على ظهر النيل . وخلعت على ملوكيته فوق ذلك عظمة التقاليد المصرية — وهبته نضارتها ولكنها مع كل ذلك لم تعطه كل الضروريات فانها لم تزوده بالقوة البشرية وكانت من أهم الحاجات اليه . والحقيقة أن مصر كان فيها عددا وافر من الرجال ولكنهم لم يكونوا حينذاك فى زعمه من الطابع الذى يستطيع قائد حربى أن يؤلف منهم جيشا يناجز كتائب مؤلفة من جنود مقدونية وأغارقة . فكان من الضرورى أن يحصل بطلميوس على عدته من المقدونيين أو الأغارقة ، ولكن أتى له بهؤلاء ؟ خطرت له فكرة انشاء مقدونية اصطناعية فى مصر ، وذلك بأن يكون طبقة من الفلاحين المقدونيين أو الأغارقة . فنشر ألوفا منهم فى عرض البلاد وطولها . يفلحون الأرض ويستولدون الماشية . فإذا أذن مؤذن الحرب هبوا إليها ، فحملوا الحراب راجلين . أو امتطوا صهوات جيادهم فرسانا . وخرجوا فيالق . أو صفوفًا يتبعون بطلميوس أو أحد قواده إلى حيث أراد .

ومن أجل أن تعمر المدن الأغريقية الجديدة كالأسكندرية وتثبت قدم العساكر المستعمرين فى البلاد ، استوفد بطلميوس ألوفا من الأغارقة والمقدونيين إلى مصر . لم يجلبهم كلهم من أغارقة مقدونية بل كان أكثرهم ممن يقعون فى الأسر بعد النصر كما كان من بينهم فرق تألفت جنودها من المغامرين الذين استقدمهم كرم بطلميوس . أثر أن ذاع عنه فى العالم الإغريقى أنه ذلك الجواد الكيس الكريم الشهيم . الذى يجدر بكل رجل فقى يود أن يعيش جنديا أن يعبر البحر ليكون تحت إمرته .

لما بدأ حكم بطليموس الأول في مصر كان الجنود الوطنيون يؤلفون طبقة مستقلة من طبقات الشعب للمصرى . تلك الطبقات كان من أهمها طبقة الفلاحين ورجال الدين . وكان الأغريق يطلقون على هذه الطبقة المحاربة كلمة ماشيموى (Machimoi) أو الرجال المحاربون^(١).

ويسود الشك إلى أى حد كانت تشترك الجنود المصرية في جيوش البطلمة قبل أن يعتلى العرش بطليموس الرابع (فيلوباتور) (Philopator) فقد ذكر المؤرخ (Polybius) بوليبيوس أن تسليح المصريين كمحاربين في عهد بطليموس ٤ (٢١٧ ق.م) كان عملاً وقتياً ، في حين ذكر المؤرخ ديودورس أن في معركة غزة (٣١٢ ق.م) اشترك الجنود المصريون مع بطليموس الأول وقامت بعض الوحدات المصرية بأعمال النقل بينما قامت أخرى بأعمال القتال .

ومن المحتمل أن يعود سبب استخدام الجنود المصرية إلى حاجة بطليموس الأول (سوتر) اليهم لمعاونة قواته في حملة (٣١٢ ق.م) الفجائية لكنه لم يكرر التجربة مرة أخرى حتى مر قرن كامل عندما استخدم بطليموس الرابع (فيلوباتور) الجنود المصريين في ميادين القتال . وإذ ذلك سلحت الجنود المصرية بأسلحة القتال التي كان يتسلح بها جنود الأغريق تماماً ونظموا في فيالق نظامية .

وكان المصريون قبل ذلك الوقت يسلحون بالأسلحة والدروع الخفيفة التي كانوا يحملونها في أواخر أيام الدولة المصرية . كما كان لا يطلب منهم سوى الاشتراك في بعض العمليات العسكرية كأعمال الاستكشاف مثلاً .

(١) انظر المصادر الآتية :

1. Lequier : les institutions militaires d'Égypte sous les Lagides
Paris II Bevan : A History of Egypt under the Ptolemaic
Dynasty.

راجع أيضاً : إبراهيم نصحي : مصر في عصر البطلمة . القاهرة ١٩٤٦ .

ويرى المؤرخ الفرنسي ليسكيه (Lesquier) أن القوات الوطنية (ماشيموى) استخدمها بطلميوس الأول ومن جاءوا بعده كحاربيين ، أما بطلميوس ٤ فقد أقدم على تسليح المصريين كلهم ، ولم يجند رجال الطبقة المحاربة فقط . وإن كان هذا الرأي يختلف عما ذكره المؤرخ بوليبيوس .

وعلى أى حال ، ففي الأيام الأولى من حكم أسرة البطالمة استخدم رجال الطبقة المحاربة في أعمال الأمن الداخلى او في الأعمال البحرية كحراسة السواحل والأسطول النهري ثم نظمت القوات المصرية في الأيام الأخيرة لحكم البطالمة ، في فيالق اسمها (Laarchiai) يقود كل واحدة منها ضابط يدعى (Laarché) وكانت القوات الأولى التى حاربت في جانب بطلميوس الأول بعد وفاة الاسكندر ضد منافسيه قوات مقدونية وكان قد أحضر منهم عددا كبيرا استعان بهم في حروبه ومنحهم مستعمرات عسكرية واستمرت عملية الاستعمار العسكرى في نمو واطراد في أيام بطلميوس الثانى و بطلميوس الثالث . وصار المندونيون وغيرهم من الجنود الإغريقية الأوربية يسكونون أغلبية قوات البطالمة حتى معركة رفح التى أسيجىء الكلام عليها .

ويجب علينا أن نميز بين القوات النظامية والقوات المأجورة ، فقد كان رجال القوات الأولى من المقدونيين ، وبمرور الأيام انضمت اليهم عناصر أخرى ، فوجد البعض من الأغريق المقدونيين المتوطنين في الاسكندرية أو باتوليس (مدينة جرجا) وكانت الأغلبية العظمى من رجال الجيش بعد الجنود المقدونيين من الاغريق وسكان الجبال البلقانية فكان رجال تراقيا يكوونون العنصر الأكبر الذى يلى رجال مقدونية ثم الكرتيين من الاغريق . وكانت هناك نسبة صغيرة من الآشوريين وفيهم بعض اليهود . وكان للخيالة اعتبار يسمو على المشاة فقد كانت أقطاعات جنود الخيالة أكثر اتساعا من أقطاعات جنود المشاة . وكانت تميز فيالق الخيالة عن بعضها بالأرقام كما هو الحال في هذه الأيام . فيقال الفيالق الثانى والثالث والرابع .. وهكذا — وفى بعض الأحيان كان يميز فيلق عن آخر باسم مقاطعته التى ينتمى اليها ، فيقال فيلق المسييين وفيلق التراقيين وهكذا ..

وكانت للفيالق المرقومة (Hipparchies) اللقام الأسمى . أما الفيالق التي تنتمي الى الأجناس المذكورة فكانت كما يعتقد للؤرخ ليسكيه تجيء بعدها في المنزلة ، وكانت الى أوائل عصر فليوباتور تتألف من جنود من أجناس ومن أوطان مختلفة دون تمييز لسنهم احتفظوا بالزرد والدروع كما تمسكوا بتقاليد أبناء وطنهم في وسائل القتال

وكانت المشاة للنظمة (Pezoi) تسليح طبقا للأساليب المقدونية بالحرب الطويلة . ومنها تألفت الفيالق الثقيلة . وفي موقعة رفح كان عدد الفيالق ٢٠٠٠٠ جندي وكان ينظم الفيالق في وحدات تسمى (Chibirchia) ميزت عن بعضها بأرقام ، وكانت للكلمة الاغريقية التي تدل على كلمة ضابط المشاة (Hegemon) أما ضباط الحيلة فكانت تطلق عليهم كلمة (Hipparchoi)

وكان القواد الذين اضطلموا بالقيادات العليا في الجيش البطلميوسى من كبار الجنود المغامرين الذين كانوا يقدون من البلاد الاغريقية من وراء البحار ليقودوا قوات الملك المنظمة وكانوا قد تدرّبوا بين أفراد المصائب الجبلية منذ شبت أظاقرهم .

والى جانب الجيش البطلميوسى للمنظم المؤلف من الاغريق والقديونيين ، للثوطينين في مصر — والجنود المصريين — كانت هناك جنود مأجورة كثيرة العدد جلبها وأشرف عليها زعماء عصابات سابقون تدرّبوا على أعمال القتال في جبال وغابات آسيا الصغرى — وقد جمعهم من بين رجال المقاطعات التي تألفت منها بلاد اليونان في تيارم ويلو بونيز واسبندوس . فكان الزعيم اذا جمع أفراد جماعته قدم نفسه ورجاله الى الملك أو المدينة التي تقدم اليه أجرا أكبر من غيرها .

قلنا إن ثروة أسرة البطالمة اجتذبت جنودا كثيرين من هذا الطراز ، جاءوا من شعوب فيها وراء البحار في أفواج كثيرة . كما أن كثيرا من مسلوك البطالمة استمدوا قواتهم للمأجورة من المحاربين الذين امتازوا في استعمال بعض الأسلحة الخاصة كحملة القسي والدراقات الثقيلة وحملة السيوف ذات اللصامين من أهل كريت وتراقيا ، أو من رجال بلاد الغال ذوى الشعر الطويل الناعم وسكان الشمال للمسلحين بالدروع الطويلة

الضيقة والسيوف ذات الطول الممتاز وكانت لهؤلاء سطوة تؤثر على أعدائهم ومن استخدمهم ودفع لهم مرتباتهم .

وفي موقعة رفح كان جيش بطليموس الرابع مؤلفا من ١٠ر٠٠٠٠ مأجور (خيالة ومشاة) منهم ٣٠٠٠ جندي كريتى و٦٠٠٠ تراقى ومن بلاد الجال وكانت الجنود المأجورة تستخدم لعدة سنوات يتفق عليها . ومن بين الستة آلاف جندي المذكورين كان لأربعة آلاف منهم على الأقل اقطاعات وفيرة في مصر . كما كان الجنود المصريين في الجيش للنظم ، وكان للملك الآيات خاصة من الجنود المختارة وهى تؤلف حرسه الخاص يقيمون في ثكنات مجاورة للقصر الملكي غالبا في الاسكندرية ، وكان الحرس مؤلفا من الخيالة والمشاة وكان بين جنود الحرس وحدة مؤلفة من الجنود المصريين سلحوا على نسق الفيالق الاغريقية في رفح وعلى حسب الأسلوب المصري القديم .

جلس بطليموس الرابع على العرش بعد وفاة أبيه . وقد ورث ملكا واسع الأطراف مدعم الأركان، اشتمل على جنوبى سورية ومصر وقبرس وبرقة، وكانت البحرية المصرية أقوى بحريات دول شرقى البحر المتوسط وقد امتد نفوذ سفنها الى جزر بحر ايجه وبعض أجزاء تراقية حول اينوس وماروينا . وكان منافسه العظيم انطيوخوس — ملك دولة السلوقيين وميديا .

فرأى ان ينشئ جيشاً مصرياً لمحاربة قوات انطيوخوس المدربة . ولم يكن هذا العمل الحربى أمراً صعبا على دولة لها مقام مصر وقدرتها على الثروة والانتاج ففي استطاعة الملك استدعاء الخبراء العسكريين لتنظيم القوات الحربية التى تحتاجها البلاد فى تلك الظروف . واعدادهم لميادين القتال ويعتقد المؤرخ « ماهافى » أنه ليس من المعقول أن تفقد مصر قواتها الحربية الوطنية بعد ثلاث سنوات من وفاة بطليموس الثالث . ويضعف شأنها إلا إذا كان الجيش قد أهمل اهالا تماما أثناء الأعوام الأخيرة من شيخوخة الملك ومرضه .

صحيح جدا أن الجيش أصابه الاهال فى ذلك الحين ، ويدل على ذلك أن رجال البلاط الاسكندرى عندما شعروا بوطأة الأزمة التى هددت سلطانهم خارج البلاد

عملوا على زيادة عدد قوات الجيش بإضافة عدد من المجندين الجدد واهتموا بتدريب الصفوف الموجودة ولما كانت الزيادة المنشودة تتطلب وقتاً طويلاً في حين كان انطيوخوس يهدد حدود مصر رأى رجال البلاط أن يدخلوا في مفاوضات مع انطيوخوس كسباً للوقت إلى أن يكملوا وحدات الجيش ويكونوا آلهة حربية تقوم بالدفاع عن البلاد . وكان غرضهم أن يمرقوا مشروع الحرب لغزو مصر (في عام ٢١٩ ق.م) فاستدعت القوات الموجودة وتجمعت في مدينة البلازيوم تحت قيادة الملك الشاب . وأوصلوا الترع بالنهر بوسائل تجعلها صالحة لتسكون خطوطاً للدفاع والمعروف أنه إلى ذلك الحين لم يكن انطيوخوس قد تقدم إلى مصر. فلما قدم شتاء عام ٢١٨ — ٢١٩ لم يكن مسيطراً تماماً في قلب سوريا ولم يكن الساحل في قبضته كما أنه لم يكن قد زحزح القائد نيولاوى من نهر دورة (Dora) واذ ذلك بدأ المفاوضات المصرية مع انطيوخوس والذي فهم أن المصريين مستعدون لقبول شروطه معها كانت ورضى انطيوخوس بهدنة أربعة أشهر مادي أثناء لقضاء فصل الشتاء .

وفي أثناء الشتاء استمرت المفاوضات بين مندوبي العاهلين . ولكي تستمر المفاوضات معقدة وتتطلب زمناً طويلاً ، اتصل البلاط الاسكندري . رجال بعض الإمارات الصغيرة ليتدخلوا بصفة وسطاء في الصلح وقد برعوا في تأدية هذا الواجب السياسى في صالح مصر ، فبينما كانت المفاوضات تبلغ الذروة اذ يسود المفاوضات روح النشأوم فتتعقد بعض المسائل وتذهب جهود المفاوضات هباء منثوراً ثم تتجدد ثانية وهكذا .

أما في الاسكندرية وفي فصل الشتاء فقد كان النشاط سائداً جميع النواحي ، فكان الجنود الجدد يصلون إليها من جميع الجهات ، وتنشأ لهم العسكرات ، ويبدءون التمارين بواسطة ضباط من الأغريق فأصبحوا قادرين على القتال واشتركوا في معظم الميادين المقدونية تحت راية ملكين .

وكانت تصنع للمقاتلين الحرية ومعدات القتال بنشاط وسرعة ليكون كل شيء على أتم الاستعداد بمجرد اعلان القتال . وكانت الجنود المأجورة تتدفق سفنهم على

ميناء الإسكندرية وسرمان ما ينضمون إلى معسكراتهم ويؤلفون وحدات جديدة في الجيش المصري .

وفي ذلك الوقت حرم على رجال البعثات الأجنبية النزول إلى شاطئ الإسكندرية لكي لا يلاحظوا النشاط العسكري الذي سرى في البلاد والاعداد القائم للحرب المقبلة ولكي يكون السر مجهولاً في الشتاء انتقلت عاصمة البلاد (الإسكندرية) إلى مدينة منف حيث كانت تستقبل الوفود الأجنبية . وفي هذه المدينة القديمة وبين أحراش النخيل العالية ، لم تكن تظهر دلائل الاستعداد للحرب .

ونعلم مما كتبه بوليبوس كيف أعيد تنظيم الجيش المصري ، فأصدرت الأوامر بتسريح القوات القديمة وأعيد تنظيم الجنود في وحدات جديدة حسب أجناسهم وطبائهم وأعمارهم ومهارتهم في استخدام أسلحة خاصة للقتال تختلف عن الأسلحة التي تدربوا على استعمالها للقتال .

كان هذا الطارئ المفجأى باعثاً على اتخاذ عمل جديد ، فقرر البلاط إنشاء فيلق من الوطنيين مع الفيلق المقدوني والإغريقي ، وتألفت قوات مصرية وطنية بلغ تعدادها عشرين ألف مقاتل مسلحين ومنظمين على الأساليب المقدونية ، وتدريبوا على استعمال (الساريسا) للمقدونية . وهم في تشكيلات منظمة . وتألفت من المصريين وحدات كبيرة من الحياطة درهم بوليكرات الأرجوسى (Polycrates of Argos) الذى نشأ في أحضان أسرة شريفة من قدماء الأغريق وبجانب وحدات المصريين تجندت قوات من آلاف اللوبيين ، وأهالى برقة للمصريين إندمجوا في الجيش المصري (في الحياطة أو في المشاة) وقد تسليح ثلاثة آلاف منهم حسب الأساليب المقدونية بقيادة قائد مقدونى من برقة اسمه أمونيوس (Amnonius) . واستدعى من المستعمرات العسكرية في مصر الرجال القادرون على حمل السلاح — فوفد من الفيوم وغيرها عدد لا يقل عن ٤٠٠٠ من رجال فرنسا (Gauls) وتراقية ووصل ألفان عن طريق البحر من تراقيا بقيادة ديونيوس (Dionysius) ومع ذلك كان معظم الجيش من الأغريق والمقدونيين — وقد وصل عدد فيلقهم ٢٥٠٠٠ وليس كالفيلق المصري علاوة على الوحدات الأخرى المسلحة الخفيفة والحياطة للمقدونية .

وفي ربيع عام ٢١٨ انقطعت المفاوضات بين الطرفين دون نتيجة . وقد طالت عمدا المهارة المفاوضات سوسيبوس (Sosibius) فتقدمت قوات أنطيوخوس بسرعة ودخلت مدن فلسطين ووصلت إلى غزة وانتصرت بسهولة على القوات القليلة العدد التي لم تقاوم القوات للتدفقة وانسحبت بمهارة واستدرجت المهاجمين .

موقعة رفح الثانية (٢٢ يونيو — ٢١٧ ق . م) :

كانت الخطة الحربية التي وضعت لا تتطلب استخدام الجيش الأصلي قبل الوقت المناسب وكانت قد تحركت معظم وحداته بقيادة الملك نفسه في إقليم بوبسطة .

وفي ربيع عام ٢١٧ ق . م كان قد حان الوقت للدخول في المعركة الحاسمة . ففي ١٣ يونيو تحرك الجيش المصري بقيادة الملك طابرا صحراء سيناء إلى فلسطين . وكان مؤلفا من ٧٠ ألفا من المشاة وخسين ألفا من الحيااة و٧٣ فيلا أفريقيا تألف منها سلاح الأفيال . وكان في ركاب الملك القائدان سوسيبوس واجاتوكليس Agathocles وشقيقة الملك الطفلة أرسينو .

فلما بلغ أنطيوخوس خبر اقتراب الجيش المصري جمع قواته في مدينة غزة . واستعد لمقابلة بطلميوس ثم تقابل الجيشان بالقرب من مدينة رفح على تخوم الصحراء في المكان الذي اصطدمت فيه منذ خمسة قرون سابقة قوات ملك الاشوريين وهزمت المصريين . وكان جيش أنطيوخوس لا يقل كثيرا عن الجيش المصري (١) ولولا ما كان في أخلاق أنطيوخوس من التهور والاندفاع لا انتصرت قواته على الجيش المصري . فثند بادئ الأمر لم يكن الحظ حليف بطلميوس . فأكادت المعركة تبدأ حتى هاجت الفيلة الأفريقية وزمجرت ولم تقف لتقاوم عدوتها الهندية . ولولا ثبات الجنود المصريين ، وهم مسلحون لأول مرة بالرماح الثقيلة لما أحرز بطلميوس النصر على السلوقيين .

(١) كان جيش أنطيوخوس مؤلفا من قوات اغريقية ومقدونية وقوات اسيوية جندوا من سوريا وفارس وآسيا الوسطى ، وكلهم مسلحون على الأساليب المقدونية وسلاح الفيلة المؤلف من ١٠٢ من أفيال الهند .

بلوسيوم السابعة (١٧٠ ق . م) :

أعلنت الحرب بين بطلمئوس ٦ (فيلومتر) وخاله أنطيوخوس ٤ في سورية عام ١٧٠ ق . م . فحشد هذا جيشه وسار إلى مصر ، والتقى الجيشان عند بلوسيوم وانتصر أنطيوخوس وأسر خصمه ، ثم تقدم إلى منف ودخلها دون مقاومة ، ثم قصد الاسكندرية ، بيد أنه عجز عن فتحها ، فماد إلى سورية بعد أن ترك حامية عسكرية في بلوسيوم ، ثم عقد الصلح بين الجانبين بواسطة روما .

بلوسيوم الثامنة (٥٥ ق . م) :

ضعفت أسرة البطالمة ، وتدخلت روما في شئون مصر . ففي أيام بطلمئوس ١٣ ضم الرومان قبرس إلى أملاكهم ، فلجأ إلى روما متوسلاً إلى مجلس الشيوخ لمساعدته ضد الشعب المصري الذي ثار عليه وخلعه . لكنه لم يلق أى عون ، فالتجأ إلى القائد بومبي الذي طلب من جابينوس الوالى الرومانى في سورية أن يساعده ، فأعد الوالى جيشاً أرسل معه ماركوس أنطونى أميراً على الفرسان . سارت الحملة عام ٥٥ ق . م . ، فوصلت بلوسيوم وهزمت حامية اليهودية . ثم أقبل جابينوس على رأس جيش آخر زاحفاً على مصر ، ففتحها وقتل الملكة بيرينيس وزوجها أرفلاوس ، ثم ولى بطلمئوس ثانية على العرش .

بلوسيوم التاسعة (٤٨ ق . م) :

مات بطلمئوس ١٣ تاركاً ابنين وبنيتين : كليوباترة ، وأرسينوس ، و بطلمئوس الأكبر والأصغر وكان قد أوصى قبل وفاته أن تزوج كليوباترة بابنه الأكبر ، وأرسل الوصية إلى مجلس روما لتنفيذها ، وأن يتولى الوصاية على أبنه إلى أن يبلغ الرشد . فأنفذ المجلس الوصية وعين « بومبي » وصياً على بطلمئوس .

وكانت كليوباترة ذات مطامع ، وراغبة في الاستقلال بالملك ، فحاولت إبعاد أخيها ، ثم نشبت الحرب بينهما ، فهزمت كليوباترة وفرت إلى سورية حيث أعدت جيشاً طادت به إلى مصر ، وانتصرت على أخيها وقتلته ، وانفردت في حكم البلاد .

حم تنازع بومبي ويوليوس قيصر السلطة في روما . وانحازت كليوباترة إلى أولهما
وقدمت له العون ، ولكن فاز قيصر عليه في معركة فرساليا باليونان (٤٨ ق.م .)
وعند ذلك اتهم بومبي ، القائم على تربية بطلميوس الأصغر ، الفرصة ، وأعلن
سيده ملكا على البلاد وعزل كليوباترة . فهربت إلى سورية حيث اعسدت جيشا
وزحفت به على بلوسيوم التي أجبرتها حاميتها على عدم التقدم .

وكان بومبي عقب هزيمته قد فر راجبا البحر ، ووصل إلى بلوسيوم كلاجيء
سياسي ، وبعد أيام نفذت مؤامرة قتله . ثم وصل يوليوس قيصر إلى الاسكندرية
مطاردا خصمه ، وعرف بما حدث ، فحزن على خصمه . ومنذ ذلك الحين أصبح
القنصل الأوحده لروما ، ومن ثم بدأ يعمل لإزالة سوء التفاهم بين كليوباترة وأختها
فأمرها بصرف جيوشها من بلوسيوم . وكان بطلميوس الأصغر قد عاد إلى
الاسكندرية ، ورأى أن يطبع أمر قيصر . لكن وصيه بومبيس لم يوافق ،
وأرسل إلى أخيلاس قائد الجيوش في بلوسيوم لكي يعود بجيشه إلى الاسكندرية ،
وألأ يرضخ لأوامر قيصر . وفي الوقت نفسه أرسل بطلميوس بأمر قيصر إثنين
من رجاله إلى أخيلاس ليبتقي في بلوسيوم ، وكان القائد من رأى بومبيس ، فقتل
الرجلين ، وزحف على الاسكندرية على رأس جيش كبير . أما كليوباترة فبقيت
مع جيشها خلف بلوسيوم ، وأدركت أنها تستطيع استمالة قيصر إليها ليحكم لها عند
شقيقتها ، وعزمت على أن تذهب إليه متخفية ، ونالت منه ما أرادت .

وصل أخيلاس بجيشه إلى الاسكندرية ، ونشبت بينه وبين قيصر عدة معارك
برية وبحرية ، كان النصر فيها يشادله كل منهما : معركة حصار حول القصر ،
ومعركة بحرية في الليناء الغربي ، ومعركة بحرية أخرى ، وفقد جزيرة قاروس ،
ومعركة السد ، ومعركة النيل حيث هزم بطلميوس ١٤ وغرق وانكسر جيشه .
وأخيرا أصبح موقف قيصر حرجا بين مؤامرات القادة ورجال القصر ، وأصبح
في حاجة إلى قوات لإنفاذه من الورطة ! .

بلوسيوم العاشرة :

وصلت النجدات إلى قيصر في بلوسيوم ، ففتحت المدينة عنوة ، وزحفت على منف وهليوبوليس ثم عبرت النيل . وكان قيصر قد عين بطالمبيوس الأصغر بعد وفاة أخيه شريكا في الملك لكليوبطرة . وما هو إلى روما بعد تقاضيه معها وزواجه منها تاركا في مصر حامية من جنوده تنفق عليها كليوبطرة .

وفي روما قتل قيصر غيلة . فطلبت كليوبطرة من مجلس الأعيان بروما أن يعترف بإنها من قيصر شريكا لها في ملك مصر بدلا من أخيها . لكن رجال السلطة لم يوافقوها ، فعدت إلى مصر لعلها تنفذ عزمها عند ستوح الفرصة ، وانتهى الأمر بقتل شقيقها ، ثم انفردت بالحكم .

أسرعت كليوبطرة في إرسال نجدة إلى مارك أنطوني للانتقام من مدبري قتل قيصر ، فكان جوابه عليها أن طلب منها الحضور إليه في طرسوس فلبت دعوته وفتنته بجماها ، ثم سألته أن يأتي معها إلى الاسكندرية ، فحضر وأولدها بنتا ثم توأما . وأرغمته الأحداث في روما بعد تولية خصمه أوغسطس قيصر الحكم على السفر إليها . وفي أكتيوم نشبت المعركة عنيفة (٣١ ق م .) بين الخصمين ، ففر مارك أنطوني إلى الاسكندرية وعاش شهورا مع كليوبطرة .

بلوسيوم الحادية عشرة (٣٠ ق م) :

وتبعه أوغسطس حتى وصل إلى بلوسيوم وحارب جيش مصر وقواتها البحرية . فسلمت له المدينة ، ثم زحف إلى الاسكندرية . هرج مارك أنطوني لقتاله ، ولكن خائنه قواده وفتحوا الطريق لاوغسطس ، فدخل المدينة .. وللمعروف بعد ذلك أنه استل سيفه وانتحر ، في الوقت الذي انتحرت فيه كليوبطرة . وبموتها انتهى حكم البطالمة في مصر ، وبدأ حكم الرومان ، فالبيزنطيين ، حتى فتحها العرب بقيادة عمرو بن العاص (٦٣٩ م) .

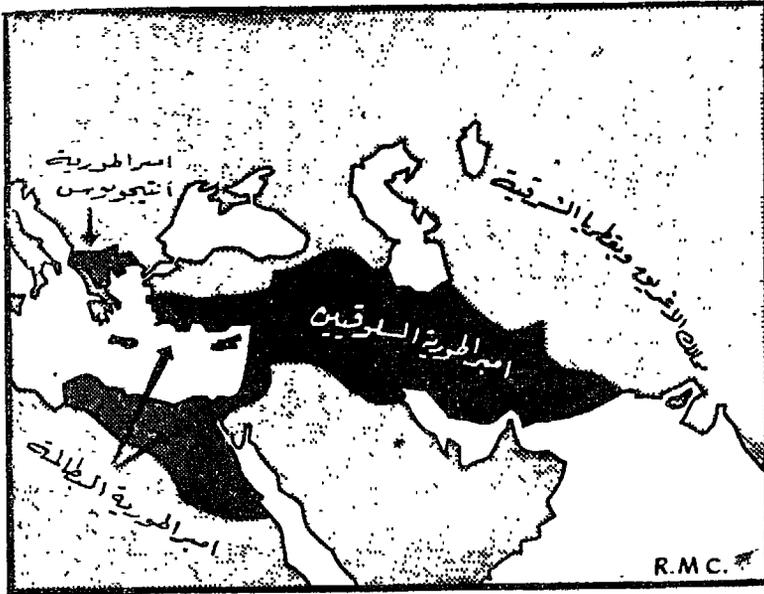
استخدام القبيلة :

كان بين أسلحة الجيوش الإغريقية بعد وفاة اسكندر المقدوني فيالقبيلة « وكان استخدام هذا الحيوان بعد غزو الاسكندر للهند وفتحها . ففي القرن الرابع ق . م ، جلب سيلوقوس ^(١) من بلاد الشرق عددا من القبيلة الهندية ، وعنى بها في مدينة أباميا (Apamea) في وادي نهر الأورنت بسورية . وقد كان نقل القبيلة من الهند بطريق البحر عملا شاقا متعبا لا يقوم به غير أغنياء الملوك . وفي عهد بطلميوس الثاني أوصى بأن يكون قنص القبيلة وجلبها عملا منظما تقوم به الحكومة على حسابها في أواسط وجنوبي إفريقية . فنظمت البعثات الخاصة لذلك وكان من أهمها في عهده ما وضع تحت قيادة ساتيروس (Satyrus) وأميدس (Eumides) فقد وصلا في رحلات متعددة إلى أقصى سواحل البحر الأحمر وإلى بلاد الصومال . واصطادا القبيلة . فكانت تنقل بحرا في سفن شيدت لذلك الغرض أطلق عليها حملة الأفيال (Elephantegoi) كما تسمى اليوم حاملة الطائرات (air craft - carrier) فإذا وصلت تلك السفن المشحونة بالقبيلة إلى ميناء يرنيقة في البحر الأحمر نقلت عن طريق الصحراء إلى قفط (Koptos) وأومبي (Ombi) فيتسلمها موظف خاص عرف باسم مراقب القبيلة لتدريبها والعناية بها .

أما المكان الرئيسي للقبيلة فكان في منف . وقد استدل من نقش أدوليس (Adulis) أنه كان من أهم أعمال بطلميوس الثالث جلب القبيلة من الجنوب .

(١) سيلوقوس أحد قادة الاسكندر ، ولاء على بلاد فيما بين النهرين ، فبدأ نجهه في الصعود إلى أن مات الاسكندر (٣٠٦ ق . م) فأعلن نفسه ملكا عليها ، كما أعلن بطلميوس الأول نفسه ملكا على مصر .

وقد كان على ساحل البحر الأحمر عدة محطات عسكرية تقام مؤقتا للعناية
بالقبيلة منها ثيرون (Theron) التي حصنها القائد إيميدس (Emédes) ، وبالقرب من
سواكن ويريقة ومصوع وأرسينو (١) وكثيرا ما ترك قواد حملات صيد القبيلة
تقوشا ونصبا على سواحل بلاد الصومال استدل منهم على وصول قوافلهم إلى تلك
البلاد كما أثبتوا الغرض من رحلاتهم إليها .



(ش ٨٥) إمبراطوريات خلفاء الاسكندر الأكبر

(١) أرسينو مدينة بالقرب من بوغاز باب اللندب وصل إليها نفوذ البطالمة .

٥ - الجيش الروماني في مصر

قبل للتحدث عن النظام العسكري في مصر في أثناء الاحتلال الروماني ، نتكلم
بإيجاز عن النظام الإداري الذي عرف في البلاد .

جاءت حكام مصر في طول تاريخها القديم ثلاثة أمور رئيسية ، يتوقف عليها
نجاح حكمهم لتلك البلاد ، وكان إهمالها يؤدي دائماً إلى تداعي الحكم القائم ، كانت
هذه الأمور الثلاثة : —

- ١ — الاحتفاظ بهدوء البلاد الداخلي .
- ب — الدفاع عنها ضد أي غزو أجنبي .
- ح — اصلاح طرق الري والسهر على تنظيمها .

كان الاستقرار الذي نتج عن حروب بترونيوس في ايبويا وإيجاد منطقة فاصلة
بين مصر وأيبويا وتخضع لإدارة حاكم طيبة (Epistratigos) وتحميها حامية
خاصة ، كان ذلك كافياً لصد أية متاعب تأتي من ناحية الجنوب لعدة سنوات ،
وكانت كذلك القوة التي تركها أوغسطس في مصر كافية بل وأكثر من الكافية
للقوف في وجه أي خطر يهدد البلاد من الداخل أو الخارج حتى أنه في سنة ٢٣م
سحبت كتيبة من القوة المصرية .

وكان القائد الأعلى لسلك القوات هو الحاكم العام لمصر (Prefect) ، وكان جنود
القوة مصريين في الغالب ، وكلما تقدم الزمن كلما زادت نسبتهم في الجيش .

وكان الجنود يقطعون الأراضى في القرى وعواصم الأقاليم ؛ وكان لهم في تلك
الأماكن أثر كبير ، وكونوا طبقة عليا بالنسبة للسكان الأصليين .

وبعيدا عن الاسكندرية كانت للندن الكبرى تنزع إلى التألب على سلطة الحاكم وقد بدأ إقليم طيبة الثورة لدى وصول جياة الضرائب الرومانيين سنة ٣٠ — ٢٩ ق . م ، ولكن الثائرين سرعان ما شعروا أن قوة الاحتلال الرومانية كانت تختلف عن الجيش البطلمي المنحل ، فتمكن أول حاكم امصر جالوس (C Gallus) من إخماد الثورة في أيام ، وكان من قبل قد أخذ ثورة أخرى في هيرونبوليس ، وكانت أعمال جالوس المذكور بالغة القسوة حتى أن المصريين أخذوا إلى السكون مدة قرن ونصف قرن بعد ذلك .

أما عن التنظيم الادارى فان أوغسطس نزع إلى نظام للركزية المتطرفة ، كما كان البطلمة قبله ، وكما فعل العرب بعده ، كان الحاكم المسمى (Epistratigos) يشرف على شئون اقليم طيبة المدنية والعسكرية في آخر أيام البطلمة ، فتبع الرومان نفس النظام ، ويلوح أن مصر قسمت في ذلك العهد إلى ثلاثة أقسام إدارية ، طيبة والدلتا ومصر الوسطى بما فيها إقليم أرسينوى ، وعلى رأس كل قسم من هذه حاكم يسمى (Epistratigos) ، وكان جميعهم من أصل روماني ما عدا في طيبة فكان أغريقيا ، وكان نفوذهم إداريا مدنيا وقضائيا في وقت واحد ، ويشرف على الجميع الحاكم العام (Prefect) أى الوالى .

الجيش الرومانى فى مصر

فى السنوات الأولى من حكم الامبراطور أوغسطس كانت حامية مصر الرومانية تتألف من الآتى : —

١ — ثلاث فرق (Legions) إحداها بالأسكندرية والثانية فى بابلون (مصر القديمة) .

٢ — تسع سرايا (Cohorts) ثلاث منها فى الاسكندرية وثلاث فى أسوان .

٣ — ثلاثة آلابات للفرسان (Alao) .

وقد جهزت الحامية المصرية على ذلك الوجه لمواجهة كل الاحتمالات التي لم تكن معروفة بالضبط ، لأن حدود مصر لم تكن في الواقع فاصلة إلا من الجهة الشمالية ، وإن كانت الصحراء في الشرق والغرب قد كونت حدودا مائتة ، كذلك لم تكن قوة جيرانها معروفة على وجه الدقة . هذا وقد كانت داخلية البلاد نفسها واحتياجها لقوات دائمة لاختضاع الثورات التي اشتهرت بها في آخر حكم البطلمة أمرا لا بد من وضعه موضع الاعتبار (١) .

غير أن الأحداث أفهمت الرومان أن القوات بمصر أكثر من اللازم ، فان دولة مرو في الجنوب خلدت إلى السكون بعد عدة مشاغبات وأنشئت عدة محطات عسكرية ممتدة على النيل جنوب أسوان ، فكانت كافية لتأمين الأجزاء الجنوبية من البلاد أما غزوات الصحراء فكانت قليلة وبسيطة ، وأما عن الثورات الداخلية فقد عرف مركزها وأصبح من السهل التغلب عليها .

وهكذا ما أتى عهد تيبريوس حتى كانت إحدى الفرق الثلاث قد سحبت ، وبعد ذلك بقليل جمعت الفرقتان الباقيتان في معسكر واحد بنيو كوكوبوليس قرب الاسكندرية وعلى العموم فقد أنقصت الحامية وأصبح عدد رجالها ١٦٧٠٠ بعد أن كان ٢٢٨٠٠

وفي عهد نيرون ظهرت فرق أخرى بمصر ، ولكن بصفة مؤقتة ، ولم تكن جزءا من الحامية الأساسية ، ويرجح أنها جاءت مصر وقتما فسكر الأمبراطور نيرون في غزو أثيوبيا ، ولكن في سنة ١٠٩ أضيفت فرقة بصفة دائمة لقوة جيش الاحتلال الروماني واستمرت الفرقتان القديمتان في مركزها بالاسكندرية ، ثم اختفتا بعد ذلك حتى كانت كل الحامية عبارة عن فرقة واحدة هي التي أضيفت سنة ١٠٩ وذلك في عهد أنيطونيوس ييوس ، وبقى الى جانبها بعض السرايا (Cohorts) وبعض آليات الفرسان ، وكان عدد الجميع حوالي أحد عشر الفا ومائة رجل ، واستمر الحال كذلك

(1) Milne J.G. : AHistory of Egypt under the Roman Rule
pp 171-174

حتى عهد ديوكليتان تقريبا اذ أعيد تنظيم الجيش الروماني فحلت فرقة وأنت مصر وحدات جديدة .

وفي خلال القرن الخامس اختفى نظام الكتائب من التنظيم البيزنطي للجيش بما ادخله جستينيان من التعديلات، وحلت محلها الوحدات ذات الأرقام . كما يستدل على ذلك من وثائق العصر ، وكانت الوحدات ذات الأرقام تحمل أحيانا أسماء البلاد التي تمسك فيها أو أى أسماء رمزية أخرى .

ومن المحتمل أن كل مدينة كبيرة كانت تمسك فيها وحدة خاصة ، بينما تحرس الحدود قوات أخرى عظيمة ، أما شواطئ الدلتا فلها قواتها الخاصة منذ عهد أوغسطس . وليس لدينا دليل على أن مصر وجدت بها جنود من قوات حلفاء الرومان ، وكان الأسطول يشرف على الملاحة النهرية داخل البلاد ، كما أنيطت به مهمة إرسال الغلال من مصر الى روما بحرا .

أما عن جنسيات الجنود التي خدمت في مصر فقد كانت في الغالب تجند محليا ، ففي سنة ١١٩ كانت هناك ٦١ سرية (Cohorts) منها ثلاثة عشر من أهل مصر والباقي من شتى الممتلكات الشرقية ، وفي القرنين الثاني والثالث نجد مجموع الفصائل بلغ ستا وأربعين، منها ثلاثون من أهل مصر عامة وكان التجنيد اجباريا لايعنى منه الفرد الا نظير مبلغ معين من المال ، وكانت قوات مصر العسكرية عبارة عن حاميات للأمن الداخلى أكثر من كونها وحدات معدة لميادين القتال .

ونحن نفتقر الى ما يثبت أن جيش الاحتلال الروماني قد اشترك في حروب خارج حدود مصر ، أو أنه اشترك في قتال مع قوات منظمة داخل حدود البلاد نفسها ، ذلك أنه بعد الفتح الروماني كان القرن الأول في مصر بعد الميلاد فترة هدوء وسلام مما أعطى للباطرة فرصة لإلحاق بعض وحدات من جيش مصر في الميادين الأخرى عندما كانت تدعو الضرورة لذلك ، كما حدث فعلا في أيام الامبراطور فاسبسيان في فلسطين وأيام الامبراطور تراجان في بارثيا .

وفي القرن الثاني قامت ثورتان عظيمتان في الداخل بسبب اليهود في أيام تراجان وهدريان ولكن سرعان ما أخذتا بعد نضال بسيط .

وقد تعرضت البلاد مع ذلك لبعض الغزوات كان نصيبها الفشل ، وكانت من بينها غزوة فارسية سنة ٥٠١ نجحت بعض الوقت ثم عاد الرومان فأرجعوا القطر لسلطانهم ، وفي النهاية جاء فتح العرب ففضى نهائيا على الحكم الروماني بمصر ، والواقع أن الحامية الرومانية في البلاد لم تكن من القوة بحيث تستطيع مواجهة غزوة أجنبية منظمة ، وكان الغرض الأساسي منها ضمان الهدوء والسلام داخل حدود مصر نفسها .

ومما وجه الرومان عنايتهم له ، قوات المهجاة فزادوها لأهيتها في الدفاع ضد غزوات بدو الصحراء ، وتحدثنا الوثائق أنه في منتصف القرن الثاني كانت بصعيد مصر قوة كبيرة من المهجاة .

وكانت للجيش الروماني بمصر واجبات سياسية إلى جانب قيامه بواجباته العسكرية فهو مكلف بحراسة الباني والمصالح الحكومية والصنائع المختلفة وعليه مراقبة اللوآنيء ومجارى المياه ، كما كان يقوم أفرادهم بمد الطرق واصلاحها وحفر القنوات وتطهيرها وكانت القوات العسكرية تشارك أحيانا في جباية الضرائب ، ولاسيما في العهد البيزنطي .

كانت جميع القوات المحتلة بمصر منظمة بحيث تخضع جميعها لقيادة الوالى (Prefct) المعين حاكما على مصر من قبل الأباطور الروماني ، واستمر الأمر كذلك حتى عهد ديوكليتان ، وكانت الاسكندرية هي المركز العسكرى للبلاد ، وكانت الدلتا محصورة بين قوات موزعة في الاسكندرية ذاتها وبلوزيوم وبابليون وعلى طول الطرق ، كما توزعت وحدات صغيرة ، أما السويس فاختصت بقوة خاصة . .

وعلى النيل الأعلى كانت توجد وحدات في مختلف بلدان مصر الوسطى ، أما قفط ، فاعتبرت المفتاح الرئيسى الى البحر الأحمر ، ولهذا وضعت بها قوات كبيرة منظمة والى جانب ذلك وزعت قوات في أسوان وطيبة وعند الشلال الأول حيث كانت الحدود الجنوبية للاحتلال الروماني .

وقد قوى الدفاع عن منطقة فيلة والنوبة ، ثم نزعت الرقابة والقيادة من يد الروالى (Prefect) وأعطيت لقائد عسكري ، وبعد ذلك بقرن قسم الجيش فأصبح في مصر الوسطى والسفلى يخضع لقيادة الحاكم العام للقطر ، وفي طيبة يخضع لقيادة حاكم ليبيا وأقاليم الجنوب ، واستمر الأمر كذلك حتى عهد جوستينيان حيث وزعت مصر على أربعة حكام لسكل منهم الاشراف العسكري والادارى على ربع البلاد كالتالى :

١ — غرب الدلتا ويسمى اصطلاحيا مصر .

٢ — شرق الدلتا ويسمى اصطلاحيا أوجستنيكا (Augustanmica) .

٣ — مصر الوسطى وتسمى اصطلاحيا أركاديا .

٤ — إقليم طيبة .

وبدأت بذلك اللامركزية في إدارة الجيش تظهر ، بمعنى أن كل وحدة كانت تقوم بواجباتها منفصلة تماما عن الأخرى ، وخاصة في العهد البيزنطى ، وقد كان ذلك محتلا طالما كان الجيش قائما بأعمال شبيهة بأعمال الشرطة ، ولكنه انتهى بالدمار عندما اضطر الجيش لمقاومة الغزو العربى .

وكانت حماية البلاد والدفاع عنها يقوم على أساس إنشاء بعض الحصون والأسوار ، والتحصينات المحلية ، وأهم هذه كان في فيلة وأسوان .

الدفاع عن مصر :

نتج عن سقوط الاسكندرية في أول أغسطس سنة ٣٠ ق.م وضع الشرق كله تحت أقدام أوكتافيوس ، وأصبح لزاما عليه أن يسعى لضمان سلامته ، ولم تكن المهمة سهلة في أى مكان قدر سهولتها في مصر التى حبتها الطبيعة بحدود منيعة جعلتها أفضل البلاد من ناحية الدفاع فى حوض البحر الأبيض كله ، ولقد أملت جغرافية مصر الطبيعية مبادئ السياسة العسكرية اللازمة للدفاع عنها ضد الغزو الخارجى وللاحتفاظ بالهدوء الداخلى .

إن مصر سهل منبسطة تكون من فتات الحجر الجيري الذي كان ينحدر تدريجياً من شواطئ البحر الأحمر حتى خط الواحات الممتد من حذاء أسوان إلى سيوة حيث معبد آمون القديم ، ويحد هذا السهل من شماله الشرقى شبه جزيرة سيناء ، وهو شاسع جداً يخلو من الأرض الصالحة للزراعة إلا فيما عدا الأجزاء التي يمكن أن يغذيها النيل بمياهه المنحدرة من جبال الحبشة وأفريقيا الاستوائية وجميعها تمتد على جنبات مجراه .

ويضيق ذلك المجرى عند الشلال الأول ويشق طريقه بين صخور رميلة وجيرية حتى يصل إلى الأقصر (طيبة) ، فينتسح الوادى كثيراً ويتراوح عرضه بين اثني عشر وثلاثين ميلاً حتى يصل إلى القاهرة فتتكون الدلتا العظيمة التي تقع في شمالها عدة بحيرات ، وكانت الاسكندرية تكاد تكون منفصلة عن باقي القطر لا يصلها به سوى ممر ضيق من الأرض حتى مناها الأتدمون « الاسكندرية للتاخة لمصر » (Alex andria ad Aegyptum) .

فوادى النيل إذن كان من الصعب الوصول إليه من جهة الشمال لوجود البحر الأبيض المتوسط ، ومن الغرب تحمي القطر صحراء ليبيا بينما تحميه من الشرق صحراء العرب ، وهكذا صدق قولهم عن مصر إنها منعزلة عن العالم بأسوار منيعة تحفها من جميع الجهات ، أما جنوب مصر فيحميه الشلال الأول ومن بعده مملكة الحبشة المفككة والتي كانت في اوانع رغم عدم تنظيمها سبب كثير من الملشاكل .

وتدلنا أعمال التنقيب على أنه في وقت الغزو الروماني كانت الحبشة مقسمة كما كانت في القرن الثالث قبل الميلاد — إلى مملكتين : الشمالية منها ومركزها نباتا والجنوبية ومركزها مروى .

(١) يشكر المؤلف الأستاذ الدكتور محمد عواد حسين لمساعدته القيمة في كتابة هذا الفصل الختامى .

وكان أول من ولى أمر مصر ج . جالوس صديق فرجيل فأصبح عليه أن يوطد العلاقات مع أثيوبيا جنوبا وأن يضمن هدوء البلاد داخليا فيقضى على الثورات التي شبت في شرق الدلتا بعد أن توطد حكم الرومان وحس الأهالي بعبثه الثقيل . وكانوا يظنون به بادية الأمر شيئا يسيرا فإذا به أشد من الذي سبقه ، وكانت أولى الثورات في مدينة هيرونوبوليس (Heroon opolis) شرق الدلتا ، وفي طيبة حيث كهنة آمون أصحاب النفوذ الواسع الذين كانوا شوكة في جنب الحكام السابقين . وكانت الثورات متواصلة ، ولكن سرعان ما كانت تخمد بفضل الحاكم الروماني جالوس ، كما يحدثنا بنفسه على النصب التذكري (Stele) الذي خلفه في فيلة والمؤرخ في ١٥ أبريل سنة ٢٩ ق . م . ففيه يقول مفتخرا أنه قضى على ثورة طيبة في ظرف خمسة عشر يوما ثم مضى جنوبا حتى الحدود وواصل سيره إلى ما بعد الشلال الأول حيث استقبل سفراء فيلاي وأجبر ملكها على قبول الحماية الرومانية .

وقد داخل الغرور صدر جالوس لهذه الانتصارات فظن نفسه فرعوننا جديدا بمصر وبدأ يقيم لنفسه التماثيل في أنحاءها مما كانت نتيجة أن استدعاه الامبراطور أوغسطس ثم صدر قرار السناتو باتهامه ، فانتحر .

ثم اضطرت روما إلى سحب قوات الحدود الجنوبية للانتفاع بها في حملة وجهت لبلاد العرب تحت قيادة اليوس جالوس ، فكانت فرصة طيبة انتهزها أهل أثيوبيا للثورة وتدفعوا إلى الحدود سنة ٢٥ ق . م ، وتغلبوا على حاميتها الصغيرة للسكونة من ثلاث كتائب فقط وتقدموا نحو الفنتين ، وكان إلى مصر وقتئذ بترونيوس فذهب لمقاتلة الأثيوبيين بقوة بلغت عشرة آلاف من المشاة وثمانمائة من الحيلة فانتصر عليهم وطاردهم حتى عادوا إلى بلادهم وتمسكن من كسرهم في دكة ثم نباتا عاصمة الأثيوبيين الشمالية حيث كانت تعيش للملكة وابنها ، وقد حاولت أن تصالح بترونيوس ولكنه أبى .

وعاد بترونيوس مع الأسرى ، ومعه تماثيل أوغسطس التي كان الأثيوبيون قد نقلوها معهم . وفي طريقه حصن أبريم بقوة تبلغ أربعائة من الرجال زودهم بمئونة

تسقيهم لمدة عامين كاملين . ولما وصل إلى الاسكندرية أرسل إلى أوغسطس ألفا من الأسرى تأكيداً لاتصاره .

وبعد عامين فكرت ملكة أثيوبيا للعودة إلى المشاغبة ولكن الوالى الرومانى أوقفها عند حدها فاضطرت لمفاوضته فى سبيل الصلح وتم الاتفاق بين الطرفين نهائيا وكان من نتيجة تلك الحرب الأثيوبية احتلال منطقة تسمى Dode kaschoines تمتد من أسوان إلى حيرا (١) وهى التى كان البطالسة قد أهدوها لمعبد أزييس فى فيلة فأصبحت من أملاك العبودة المقدسة ، وكونت فاصلا بين مصر وأثيوبيا ، وهكذا أمنت مصر حدودها الشرقية . والغربية آمنة بطبيعتها لأن عرب الصحراء كانوا من الضعف بحيث لا يستطيعون القيام بغزوات على أرض الوادى .

وكانت مهمة الجيش الأساسية فى مصر هى الدفاع عن الحدود والاحتفاظ بالهدوء والسكينة فى داخل الحدود ، وكانت حامية واحدة ومتوسطة القوة كافية للغرض ، ولكن أوغسطس كان يرغب فى الاحتياط الكامل لكل الطوارئ فى مصر . فوضع فيها قوة كبيرة فى الواقع بالنسبة لحاجة الدفاع .

وكانت القوة كلها تخضع للحاكم (الوالى) وتتكون من ثلاث فرق ، وتسع كتائب وثلاثة آليات من الخيالة ، والقوة فى مجموعها تبلغ حوالى ٣٢٠٠٠ من الرجال ، وكانت هناك قوة بحرية تشترك مع الأسطول السورى فى حماية الشواطئ الجنوبية للبحر الأبيض وتوصيل البضائع التجارية من الاسكندرية الى روما ، كذلك اقتنى أوغسطس أثر البطالمة فى تخصيص حامية نيلية لملاحظة الملاحاة فى النهر من أسوان حتى البحر الأبيض وكانت فى الغالب تحت سيطرة الأسطول .

ويحدثنا سترابو عن توزيع حامية مصر فى أول الأمر ، فيقول إن إحدى الكتائب كانت بالاسكندرية وأخرى يابليون على الشاطئ الشرقى للنيل ، أما عن التسع فصائل ، فثلاث منها كانت بالاسكندرية وثلاث أخرى فى أسوان والباقي موزع

Hiera (١)

في أنحاء البلاد ، ويحتمل أنها كانت في مصر الوسطى ، وأما بخصوص وحدات الحياالة أو الآليات كما كانت تسمى Alae فلم يشتر سترابو إلى أما كن معينة لها بالذات وإن قال إنها كانت موزعة في أما كن مناسبة .

وكانت فرقة الاسكندرية تسمى فرقة ديوتاروس الثانية والعشرون وذلك نسبة إلى الملك ديوتاروس الذي تكونت هذه الكتيبة تحت حكمه في جالاتيا ودربت على النمط الروماني ثم ضمت للجيش بعد ضم جالاتيا إلى أملاك الأباطورية سنة ٢٥٥ ق م وكان معسكر الكتيبة على بعد ثلاثة أميال شرق العاصمة في حي نيكوبوليس .

وأما كتيبة بابليون فنكاد لانعلم عنها شيئا ، وأما الكتيبة الثالثة فلم يشتر إليها سترابو وإن كنا نعتقد أنها وجدت بمصر العليا عند قفط أو طيبة وكانت تسمى (سيرنيكا الثالثة) وقد وجدت آثارها عند طيبة حيث استخدمت في إخماد ثورتها ، وكانت قفط مركزا تجاريا هاما كما كانت مركزا حريا .

من ذلك نستطيع أن نستنتج مميزات التنظيم العسكري لمصر في عصر أوغسطس فقد كان احتلال مصر السفلى مضمونا بالقوات الثلاث التي ضمت الدلتا بين الاسكندرية وبابليون وبلوزيوم ، وكانت اللواصلات بين تلك القوات الثلاث تقوم عن طريق فروع النيل وقنواته .

وكانت الاسكندرية هي المركز العسكري البري والبحري لمصر ، وكانت أهميتها تزداد شيئا فشيئا ، أما القيمة الاستراتيجية لبابليون فتتضح في أنها تتحكم كحلقة الاتصال بين مصر السفلى والعليا . أما بلوزيوم فكانت تشرف على الصحراء وبدوها ولاشك أن وحدات صغيرة من الجنود كانت تحتل الحافة الشرقية للدلتا على الطريق للموصل بين بلوزيوم وبابليون ومنف ويحتمل أن مثل هذه الوحدات وجدت على طول الطريق بين منف — الاسكندرية — سيرنيكا (برقة) .

وفي سنة ٧٢ م ساد مصر السكون والهدوء وممحت الظروف بانقاص حاجيتها فسحبت كتيبة بابليون ولسكن الفصائل بقيت كما هي وأصبحت قوة مصر حوالى سبعة عشر ألفا من الرجال .

وكانت تتوزع في كبريات المدن مثل الأشمونين (هرموبوليس ماجنا) قوات مستقلة ، وفي بداية حكم أوغسطس حفرت الآبار وقد حدثنا عنها سترابو الذي جمع معلوماته عن مصر وقت زيارته لصديقه اليوس جاليوس وهو يحكمها ، كما حدثنا عن مستودعات المياه العظيمة التي أنشئت في ذلك الحين ، وكانت تقوم بأعمال الحفر قوات من الجنود ، وكانت كذلك تسهر على صيانة المنشآت بمد إتمامها قوات أخرى من الجيش لحمايتها من بدو الصحراء الذين دأبوا على مهاجمة الطرق التجارية .

وفي جنوب طيبة حيث يضيق مجرى النهر أمكن عمل المواصلات مع الحدود عن طريق الحصون المقامة على جانبي النيل .

أما بخصوص الاحتلال العسكري للنوبة الجنوبية فلا نكاد نعرف الكثير عنه .

ديوقلد يانوس (٢٨٤ — ٣٠٥) .

لما تولى ديوقلد يانوس الحكم ، أقدم على عدة إصلاحات وتغييرات أساسية في الشؤون الادارية والعسكرية والاقتصادية . وكان من أهمها فصل السلطتين المدنية والعسكرية في المقاطعات الخارجية التي تحكمها الامبراطورية . فلم يعد الجيش خاضعا لحاكم مصر العام إذ أسندت قيادة الجنود إلى قائد مستقل ، وضمت ليبيا إلى مصر وقسمت قيادة الجيش بين ثلاثة أشخاص (١) ولما تولى يوستينيانوس الحكم (٥١٨ — ٥٦٥) وتبعه أفراد أسرته حتى عام ٦١٠ عدل عن فكرة الفصل بين السلطتين المدنية والعسكرية ، وقسم الجيش إلى خمسين وحدات كبيرة بعدد المقاطعات وجعل كل وحدة تخضع لإمرة حاكم المقاطعة ، وكان حكام المقاطعات يخضعون لقائد الشرق الذي كان مقره القسطنطينية .

وسرعان ما تفاقمت الأحوال لأن واجبات الحاكم المدنية أبعدهت عن حياة الجيش ، وتبعاً لذلك عن متابعة تطور الفنون الحربية . ولم يزد عدد رجال الجيش على ٣٠٠٠٠ جندي ، وزعوا على المراكز العسكرية على الحدود وفي الداخل ، ثم في المدن الكبرى وكان الوجه البحري محصناً تحصيناً قوياً في الزوايا للدلتا ، في

الفرما شرقا ، والاسكندرية غربا ، وفي بايلون (مصر القديمة) جنوبا حيث كانت
بها حامية كبيرة . وفي الوجه القبلى أنشئت على طول الوادى سراكز عسكرية فى
المواقع الهامة ، مثل قفط وأسوان

والواقع أن الجيش فى مصر فى العصر البيزنطى كان جيشا هزيلا يقوده رؤساء
غير أكفاء ، ويتألف من جنود مرتزقة غير مؤهلين ، وكان واجهم يقتصر على
قمع الاضطرابات الداخلية ومساعدة الحكام على جمع الضرائب ، كأنهم رجال شرطة
وقد أصبح للجندى حق الزواج واتخاذ مهنة مدنيه فى أثناء مدة خدمته فى الجيش (١)
وبمجرد أن خضعت أثيوبيا لم يعد على مصر خطر فى الواقع مدة قرنين ونصف قرن
حتى فتح العرب مصر بقيادة عمرو بن العاص .

(١) د . مراد كامل : حضارة مصر فى العصر القبطى ، ص ٢٠ — ٢١ القاهرة ١٩٦٨

ملحق بأشهر قادة الجيش في مصر القديمة

آى (حوالى ١٣٤٤ — ١٣٤٢ ق. م) :

قائد خدم فى بلاط الملك أخناتون ثم تولى قيادة الفرسان . كان أول ثلاثة من القادة العسكريين الذين بلغوا العرش بين عهدي الأسرتين ١٨ و ١٩ . اعتلى العرش بعد وفاة توت عنخ آمون ، ولم يحكم سوى ثلاثة أعوام .

أمنمجب (ح ١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق. م) :

قائد اشتهر بشجاعته وحسن تصرفه فى المعارك التى قادها تحوتمس الثالث عند أطراف نهر الفرات . دونت سيرته على جدران قبره بجبانة طيبة .

أونى (وونى) :

قائد عسكري وسياسى . اشتهر فى عهد الملك يبي الأول (الأسرة السادسة) . قاد حملتين إحداهما فى فلسطين ، والأخرى فى بلاد النوبة .

ببي نخت :

قائد لمع فى أيام يبي الثانى (ح ٢٣٢٠ ق . م) قاد حملة لتأديب الخارجين من أهل واوات بالنوبة السفلى ، وحملة أخرى لتأديب بدو الصحراء الشرقية . من آثاره مقبرته القائمة فى جبانة أسوان على الشاطئ الغربى للنيل .

حور محب (ح ١٣٤٢ — ١٣٠٣ ق. م) :

قائد وملك ، وثانى فرعون من القادة العسكريين . نشأ جندياً وبلغ منصب القيادة فى أواخر أيام الأسرة ١٨ فى أيام اخناتون وكانت مصر والشرق الوسيط

تضطرب بالفتن الدينية والسياسية ثم بلغ العرش ، فأخذ مصر من السقوط . لم يمهّد بالعرش لأحد من أسرته ، وإنما جعله لزميله في الجيش — القائد رمسيس الذي عرف فيما بعد باسم رمسيس الأول . شيد له قبر في منف ولا يعرف مكانه .

حرخوف :

قائد برز في أيام الدولة القديمة (٢٤٢٠ — ٢٢٧٠ ق . م) . قاد أربع قوافل إلى النوبة ، وأشهرها الثالثة . دون أخبار رحلة قام بها على جدران قبره بجبانة أسوان على الشاطئ الغربي للنيل .

سكنن رع (حوالي ١٥٩٥ ق . م) :

قائد وسليل بيت الإمارة في طيبة أيام حكم المكسوس . تزعم المكافين لاجلاء الغاصبين فقاد الثورة عليهم حين استغزاه أميرهم أبو فيس . مات شهيدا « موميأؤه في دار الآثار المصرية .

كاموسى (ح ١٥٧٠ — ١٥٧٠ ق . م) :

ابن سكنن رع وخليفته في الجهاد الوطنى ، وثانى أبطال ثورة التحرير . قاد بعد أيه ثورة المصريين ضد المكسوس ، فاجلاهم عن الصعيد ، وظل يطاردهم حتى أبلغهم رأس الدلتا .

أحمس (أحموسى — أمانوس) (١٥٧٠ — ح ١٥٤٥ ق م) :

شقيق كاموسى . قائد وملك سطر في الجهاد أروع صورة للشجاعة والوطنية في طرد المكسوس من مصر . دون أخبار حملة ضدهم أحد رجاله ويدعى أحموسى أيضا في قبر له بجبانة الكاب . تربع على العرش في طيبة وجعل منها عاصمة لمصر ولما مات خلفه ابنه أمنمحتب الأول .

تحوت موسى — تحوتيس الثالث (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق . م) :

سادس فراغنة الأسرة ١٨ . تمكن بالرغم من اضطراب الشرق بمختلف

العواصف السياسية أن يصبح سيد الموقف في الشرق الوسيط . قاد في سبيل ذلك
١٧ حملة حرية خاض بها معارك مظفرة ، منها معركة مجدو . كان أول من أدار
معركة حرية منظمة .

رئيس الثاني (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق . م) :

ثالث فراغنة الأسرة ١٩ واشهر الفراغنة وأغناهم في الأثار . لازمه الحظ في
مبادي الحرب ، فانتصر على جيوش خيتنا (الحثيين) في معركة قادش ، فسعى
إليه الأعداء يرجون السلام ، فنهضهم إياه وأكده بمعاهدة كانت الأولى من نوعها
في التاريخ . واشتهر أيضا بين القادة رئيس الثالث (١١٩٥ — ح ١١٦٣ ق م) ،
في معارك ضد الهويين .

مراجع عربية

- إبراهيم نصحي : تاريخ مصر في عصر البطالمة ، جزءان . ١٩٤٦
- أحمد بدوى : فى موكب الشمس جزءان . القاهرة
- : حور محب . مجلة كلية الآداب (جامعة القاهرة) ، المجلد ١٠ ، ج ١ ، مايو ١٩٤٨ ، ص ١٢٥ — ١٤٢ .
- _____ : أيام المكسوس فى مصر . المجلة التاريخية ، المجلد الأول ١٩٤٨ ، ص ٤١ — ٨٦ .
- أحمد فخري : مصر الفرعونية ، القاهرة .
- إرمان ، أدولف : (ترجمة د . عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال) مصر والحضارة المصرية . القاهرة .
- إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار . جزءان . القاهرة .
- بتلر : (ترجمة محمد فريد أبو حديد) : فتح العرب لمصر ، القاهرة
- برستد ، جيمس هنرى : (ترجمة د . حسن كمال) تاريخ مصر من أقدم المصور إلى الغزو الفارسى . القاهرة
- بل ، هارولد : (ترجمة الاستاذ زكى على) : الهيكلية فى مصر . القاهرة .
- دريتون وفاندييه : (ترجمة عباس ييوى) : (مصر سلسلة شعوب شرق البحر الأبيض المتوسط) القاهرة ١٩٤٩
- سليم حسن : مصر القديمة ، ١٦ جزءا (١٩٤٠ — ١٩٦١) : القاهرة .

عبد العزيز صالح : الحضارة المصرية . فصل التربية العسكرية ، المجلد الأول .
وزارة الثقافة والارشاد القومى .

محمد عواد حسين : حركات المقاومة الوطنية فى مصر البطلمية، القاهرة
هامرتون ، جون : تاريخ العالم، تعريب إدارة الترجمة بوزارة المعارف ظهر ٧ أجزاء .

د . محمد صقر خفاجة : تقديم وشرح د . أحمد بدوى :

هيروودوت يتحدث عن مصر . دار القلم . القاهرة .

بولسون ، جون : ترجمة د . أحمد بخرى :

الحضارة المصرية . مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر . القاهرة .

BIBLIOGRAPHY : مراجع أجنبية

- ALLSHORN, F : Thotmes the third : Egypt's mighty King.
London, The Sheldon Press, 1928.
- BONNET, H. : Die Waffen der Volker des alten Orients,
Leipzig, 1926.
- BREASTED, J. H. : The Battle of Kadesh. A study in the earliest
Known military strategy. Chicago, 1903.
- _____ : Ancient Records of Egypt, 5 Vols., Chicago,
1907, 2nd. Ed., London 1925.
- _____ : A History of the Ancient Egyptians, London,
1929 (1)
- BAIKIE, J. : A History of Egypt from the earliest times to
the end of the XVIII dyn , 2 Vols , Blackie
1929.
- BORCHARDT, L. : Alt agyptisch Festungen an der zweiten
Nilschnelle, Leipzig, 1923.
- BRUGSCH, HENRY : A History of Egypt under the pharaohs,
2 Vols., Murray, London, 1881.
- BUDGE, W. : Egypt and her Asiatic Empire, from Vol. IV
of the series entitled "A history of Egypt from
the end of the neolithic period to the death
of Cleopatra, 1901
- CHABAS, F. : Sur les campagnes de Thotmis III en Asie
d'après la steles d'Amenemhat., 1874
- CHAMPOLION : Monuments de l'Egypte et de la Nubie, Paris
1835-45

(١) ترجمه الى العربية الدكتور حسن كمال . القاهرة .

- DRIOTON, E. : Vandier, J. : Les peuples de l'Orient Méditerranéen, II. L'Égypte Presses Universitaires de France (1)
- EDGERTON, W. }
& WILSON, J. } Earlier Historical Records of Ramees III 1935.
- EMERY, W. B : Archaic Egypt. Pelican Ed. London, 1961
- ENGBERG, ROBERT: The Hyksos reconsidered. Studies in Ancient oriental Civilization. Institute of the University of Chicago, 1939.
- ERMAN, ADOLF : (tran.) Life in Ancient Egypt, London, 1894.
_____ : The literature of the Ancient Egyptians. London 1927
- FAIRSERVIS, W. A : The Ancient Kingdoms of the Nile (with map and photographs). Mentov. New York, 1962
- FISHER, CLARENCE The Excavations of Armageddon. Oriental Institute. Communications. No. 4, 1928 (with maps).
- GAUTHIER, H. : Précis de l'Histoire d'Égypte par divers historiens. Le Caire, 1932.
- GRIFFITH : Beni Hassan, Survey of Egypt.
- HALL, H. R. : The Ancient History of the Near East. London, 1920.
- HASSAN, SELIM : Le Poème dit de Pentaour et le Rapport officiel sur la Bataille de Qadesh, Le Caire, 1929.
- Helck, Hans Wolfgang: Der Einfluss der Militärführer in der 18 ägyptischen Dynastie. Leipzig, 1939.
- KUENIZ, Ch. : La Bataille de Qadesh, Mem. de l'Inst. Fr., Le Caire, 1928 1934.
- LEPSIUS, R. : Denkmaler aus Agypten und Athiopien nach den Zeichnungen... Berlin 1842/45.
- LORET, V. : L'inscription d'Ahmès, fils d'Abana. Et kab. Bibl d'étude de l'Institut Français.
- LUSHINGTON, E. : The Victories of Seti I recorded on the Great Temple of Karnak, 1879.
- MASPERO, G : Life in Ancient Egypt and Assyria, London, 1892

(١) ترجمه إلى العربية الدكتور عباس بيومي وراجعه الاستاذان محمد شفيق غربال
وعبد الحميد الدواخلى .

- : The Struggle of the Nations. Edited by
A. H. Sayce, 2 Vol , London, 1896.
- : Les mémoires de Sinouhit - la lutte de Sinouhe
contre le bédouin
- MEYER, E. : Bericht über eine Expedition nach Agypten
zur Erforschung der Darstellungen der Fremd-
volker. 1913.
- : Gottesstaat, militärherrschaft und Landwesen
in Aegypten zur 21 und 22 Dynastie.
Berlin Akademie, 1928.
- MURRAY, M. A. : The Splendour that was Egypt, London, 1949.
- MONTET, P. : (trans) . Everyday Life in Egypt in the days of
Ramses the Great, Paris 1946, London, 1962.
- MORET, A. : Les invasions iraniennes et asiatiques — les
hyksos, le concert international au XVe. siècle
L'entente égypto-hittite et les peuples de la mer.
- & Davy : From Tribe to Empire : Social organization
among primitives and in the Ancient East,
London, 1926.
- MULLER, M. : Asien und Europa nach altägyptischen
Denkmalern, Leipzig, 1893.
- : Die Alten. Agypten als Krieger und Eroberer
in Asien, Alter Orient, 1903.
- Nelson, Harold. H. : The Battle of Megiddo, Chicago, 1913.
- PASSYPKHIN, E. A. : L'Art militaire de l'ancienne Egypte,
St. Petersbourg, 1901 (en russe).
- PEET, T. E. : The Stela of Sebek-Khu, the earliest record of
an Egyptian campaign in Asia, 1914.
- : Egypt, the imperialism of the 18th dynasty,
(See. : Great events in History), London, 1934.
- Petrie, Flinders : Tools and Weapons illustrated by the Egyptian
collection in the University College, London, 1917
- : Tel Defeneh (Tanis), La forteresse. London, 1888
- : Hyksos and Israelite cities, 1906

- : A History of Egypt, 3 Vols. London 1984,
1920, 1923.
- READE, W. : The Martyrdom of Man, Chapt. on War)
Thinker's Library, No. 25 London
- Save, T. - Soderbergh : The Navy of the 18th Egyptian Dynasty,
Ypsala Universitets Aras Krift (6)
- : Agypten und Nubien, Lund.
- Shipton, G. M. : Guide to Megiddo, Dept. of Antiquities.
Palestine, N D.
- Smith, G Elliot : The Ancient Egyptians and their influence upon
the civilization of Europe, London, 1911
- :STEINDORFF, G } When Egypt ruled the East. The University
and SEELE, K. } of Chicago Press, Illinois, 1942.
- TOMKINS, H. : The Campaigns of Ramses II in his fifth year
against Kadesh.
- Von PAWLIKOW - }
SKI-CHOLEWA, A. } Die Heere des Morgenlandes. Berlin. 1940.
- WEIGALL, A. : The Glory of the Pharaohs. London. 1923.
- : The History of the Pharaohs, 2 Vols., London
1925. 27.
- WEIL, R. : XIIme. dynastie, royauté de Haute - Egypte
et domination Hyksos dans le Nord. Le Caire
1953.
- : Les deuxième et troisième dynasties égypti-
ennes, Paris, 1908.
- WIEDERMANN, E. : Das alte Agypten.
- WILKINSON. J. G. : Manners and Customs of the Ancient Egypti-
ans, 3 Vols., London, 1837.
- WINLOCK, H. E. : The Rise and Fall of the Middle Kingdom in
Thebes., New York, 1947.
- WOLF, WALTER : Die Bewaffung des Alte Agyptischen Heeres.
Leipzig, 1926.
- WRESCINISKI, W. : Bilder Atlas zur agyptischen Kulturgeschichte.
Leipzig, 1923.

II. Articles*

- Blackman, A. M. : An indirect reference to Sesostris III's campaign in the tomb chapel of Dhuty-htp at el-Bersheh. J. E. A. , Tome II, 1st part.
- Bucher, P. : Les textes des tombes de Toutmosis III et d'Amenophis II. M. del Inst. Fr.
- Burne, : Some notes on the Battle of Khadesh. J. E. A. Vol. 7, p.191-195 1921.
- Clarke, Somers : Ancient Egyptian Frontier Fortresses, J.E.A., part 3, p 155-179, 1916.
- : El Kab and the Great Wall. J.E.A., part VII, p. 51-79, 1921.
- Emery, W. B. : A Master Work of Egyptian Military Architecture of 3000 years ago, Illustrated London News. Sept., 1959, pp.232-233 and 249-251
- : A preliminary Report on the Excavations of the Egyptian Exploration Society at Buhen, Kush, VII, (1959).
- Fakhry, Ahmad : Tomb of Nabamun, Captain of Troops. Ann. du Service des Antiq. de l'Égypte, t. XLIII. pp. 369-375, 1943.
- Faulkner, R. O. : Egyptian military standards, J.E.A. , Vol. 27, pp. 12-18, 1941.
- : The Battle of Megiddo, J.E.A. Vol. 28, pp. 2-15, Dec. 1942.
- : The Wars of Sethes I, J.E.A. Vol. 33, pp. 34-39, 1947.
- : The Euphrates Campaign of Tuthmosés III. J. E. A. vol. 32 p. 39—42, 1946.
- : Egyptian sea — going ships. J.E.A. vol XXVI, p. 3—9; and vol. 27. P. 158. 1940—41.

* J.E.A : Journal of Egyptian Archaeology.

- : Egyptian military organization. J. E. A.
vol. XXXIX p. 32—47. 1953.
- : The Baale of Kadesh. Mitteilungen des
Deutschen Arch. Institut. Band 16, p. 93—III.
1958.
- Floyer, : L'ancien mur de Denderah, B. I. E.,
99-102, 1894.
- Foucart, G. : Une expédition au desert sous les Pharaons de
l'ancien Empire, 1896.
- Gardiner, A. H. : The defeat of the Hyksos by King Kamose
J.E.A. Vol. III, p. 95, ff. 1916 and Vol. V, pp. 54 ff.
- : An ancient list of the fortresses of Nubia,
J. E. A., Vol. III, p. 184, 1916-
- : The ancient military road between Egypt and
Palestine, J. E. A. Vol. VI. pp. 179-205, 1920.
- Gardiner, & Langdon : The Treaty of alliance between Hittites and
Ramses III, J. E. A., p. VI.
- Gardiner, A. H. : Piankhi's Instructions to his Army, J. E. A.
Vol. 35, pp. 219-233, 1949
- & Gunn : The Expulsion of the Hyksos, J. E. A., Vol. 5,
pp. 36, 1918.
- Goedicke, H. : Considerations on the Battle of kadesh. J. E. A.
vol 52, pp. 71—80 1966.
- Hogarth, D. G. : Egyptian Empire in Asia, J. E. A.
- Lesquier, G. : Les armes (armes de main, de choc, de jet,
les armes défensives). Mémoires de l'Inst.
franc. du Caire.
- Kitchen, K. A. : Some new light on the Asiatic Wars of Ramses
II. J. E. A. vol 50, pp. 47—70. 1964.
- Loukianoff : Un troisième texte du Poème de Pentaour sur
la face ouest du Temple de Luxor, Bull. Inst-
d'Egypte, t. IX, p. 57, 1927

- Lucas, A. : The Battle of Megiddo, Bull. S. Royale d'Archéologie, Alex. No. 34, Vol. II, pp 74-80, 1941;
- Maspero, G. : Le récit de la campagne contre Megiddo, sous Thoutmès III, Rec. de travaux relatifs à la philologie et l'archéologie égyptienne et assyriennes, p.48-56, 139-150, Paris 1880.
- Michalidis, G. : De la signification spéciale de certaines armes dans l'antiquité. Annales du Service des Antiqu. de l'Égypte, t. XLVII, 1947.
- Moret, Alexandre : La campagne de Seti 1er. au Nord du Carmel d'après les fouilles de N. Fisher. Revue de l'Égypte ancienne, t. I, p. 18-30, Paris 1925
- Muller, Georg : Die Agypten und ihre libyschen Nachbar, D.M.G.Z. Ed. 78, p.36-60, Leipzig, 1924.
- Muller, Max : Inscriptions of Shoshenq 1sr., Karnak, Egyptological Researches, Carnegi Inst. of Washington Publications, p. 143-153, Washington 1910.
- : Syrian Victories of Ramses II, Luxor (North-west wall). Egyptological Researches, p. 154-180 Washington 1910.
- : Ramses II taking Palestinian Cities (Karnak). Egyptological Researches, V. 2, p. 104-108, Washington 1910.
- Naville, E. : Did Meneptah invade Syria, J.E.A. Vol. II8
- Noth, M. : Die Wege der Pharaonenheere in Palastina und Syrien. Deutscher Palast Verein Zeitschrift, Bd. 60, p.183-239, Leipzig 1937-1938.
- Parker, Richard : Darius and his Egyptian campaign. American Journal of Semetic Languages, Revival, p. 1-2, London 1925.
- Passykinn, E. de : Les operations militaires de Thoutmès III après la prise de Megiddo, Rec. de travaux, pp.169-175, Paris 1904.
- Reisner, G. A. : Uronarti, Sudan Notes and Records, XIV, pp. 1-14, 1931.

- : Excavations at Semna and Uronarti, Sudan
Notes and Records, XII, p. 154, 1929
- Save, U. - Soderbergh : The Hyksos Rule in Egypt, J.E.A. Vol. 37,
pp. 53-71, 1951.
- Sethe, K. : Altaegyptische Ordensauszeichnung. Zeit
argypt. Spr. und Altertumkunden. Vol. XLVIII,
p. 143, Leipzig.
- Taggart, E. : A note on the Horemheb Relief. The Brooklyn
Museum Quarterly, Vol. XIX, No. 4.8. p. 147 ff.
- Wilson, J.W. : The Texts of the Battle of Kadesh. The Ame-
rican Journal of Semitic Languages and Lite-
ratures, Vol. XLIII , pp.266-287, October 1926-

III — GRECO-ROMAN

- Bell, H. Idris : Egypt from Alexander the Great to the Arab conquest Oxford, 1948.
- Bevan, E. : History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty London, 1927.
- Butler, A. J. : The Arab Conquest of Egypt and the last thirty years of the Roman Dominion. Oxford, 1902.
- Chester, A. V. : Byzantine Egypt : Economic Studies, pp. 215-229
Johnson and West : Princeton University Press, 1949.
- Droysen, H. : Heerwesen u Kriegführung der Griechen, 1889.
- Emery, W. B. : Nubian Treasure, London, 1948.
- Garofalo, M. : Sulle armate tolemaiche, Bull. de la Société d'Arch. d'Alex. 1898, 1902.
- Graindor, P. : La Guerre d'Alexandrie. Le Caire, 1931.
- Lesquier, J. : Les institutions militaires de l'Égypte sous les Lagides, Paris 1911.
- : L'armée romaine d'Égypte, à Auguste à Dioclétien, Mem. de l'Inst. Fran., 1918.
- Mahaffy, J. : The Empire of the Ptolemies, London, 1895.
- : A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty, London, 1898.
- Maspero, J. : Organization Militaire de l'Égypte Byzantine, Paris, 1912.
- Meyer, P. M. : Das Heerwesen der Griechen und Römer in Aegypten, 1900.
- Milne, G. : History of Egypt under Roman Rule, London, 1924.

القهرست

المحتوى

صفحة

- مقدمة الكتاب ٣
تمهيد : تواريخ الدول والأسرات في مصر القديمة ١١

القسم الأول

الجيش في مصر القديمة :

- ٢٠ الدولة القديمة : الخدمة العسكرية — امتيازات الجنود
- ٢٧ الدولة الوسطى : الرتب العسكرية — التدريب العسكرى
- ٣٢ الدولة الحديثة : نقوش المعابد والمقابر — مجلس شورى الحرب
تنظيم الجنود للقتال — الجنود الفرسان — ادارة الجيش والنظم الحربية
كاتب المجندين — التجنيد — حماية الحدود — قائد الجيش — القائد الأعلى
وظائف المتقاعدين — جندى الميدان — الضابط — ألقاب الشرف فى الجيش
آلهة الحرب — الحصون فى مصر القديمة — حصون الجنوب — قلعة
كوبان — قلعة سمنة — بوهين — الحصون فى أعقاب الأسرة ١٢
تطور عمارة الحصون
- ٨٩ صناعة الأسلحة فى مصر القديمة : الدرع — القوس — الرمح — المقلاع
السيف — المدية — السيف القصير — البلطة ذات اليد القصيرة
الصولجان — صناعة العربات والأسلحة — العجلات الحربية . أطقم الجياد
توزيع الأسلحة والمهمات العسكرية — أعلام الجيش — الموسيقى العسكرية

القسم الثاني

حروب مصر القديمة

صفحة

- ٢١ مينا وتوحيد مصر: الأسرات الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة
والسادسة والثامنة حتى الحادية عشرة . الأسرة الثانية عشرة والثالثة عشرة
٣٠ الهكسوس ومعركة التحرير . الملك أحس الأول . أثر الهكسوس في مصر

القسم الثالث

- ٣٧ الامبراطورية المصرية الأولى : تحوتس الثالث
معركة مجدو — مجد مصر الحربى — الضعف على أيام اخناتون —
توت عنخ آمون — الأسرة التاسعة عشرة — حورحوب — سيتي الأول
رمسيس الثانى
٩١ الامبراطورية المصرية الثانية : معركة قادش — منفتاح واليهود
الأسرة العشرون — رمسيس الثالث
٣٤ معارك الأسرة العشرين
٣٧ الأسرة الثانية والعشرون : شيشنق الأول — شيشنق الثانى
الأسرة الثالثة والعشرون والرابعة والعشرون وحكم الليبيين
٣٩ الأسرة الخامسة والعشرون : حكم النوبيين — بعنخى — طهارة
٤١ الأسرة السادسة والعشرون : بسمتيك الأول — بسمتيك الثانى
٤٨ الأسرة السابعة والعشرون : الفرس فى مصر
٥٠ الأسرة الثامنة والعشرون ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ مصر بين أبنائها والفرس

القسم الرابع

- ٥١ الجيش فى أيام البطلمة

القسم الخامس

- ٦٨ الجيش فى أيام الرومان

صفحة

٢٧٩	ملاحق بأشهر قادة الجيش
٢٨٢	مراجع الكتاب : المراجع العربية — المراجع الأجنبية .
٢٩٣	فهرست الكتاب

فهرست الصور والخرائط

صفحة

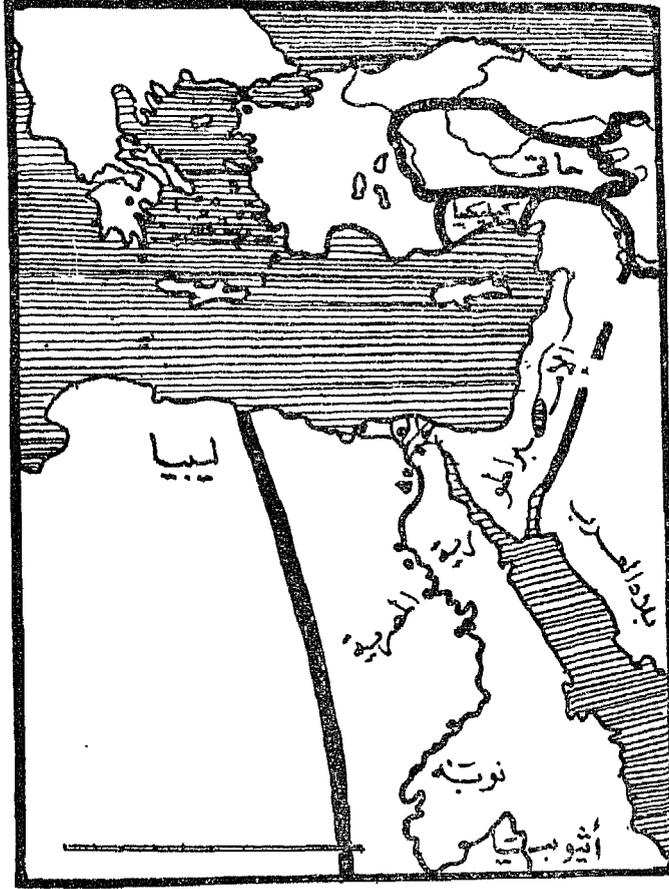
٣٤	ش ١ — جنود نظاميون — حملة الرماح والباط
٧٨	ش ٢ — قطاع أفقي لمدينة السكاب القديمة وأسوارها وقلاعها
٨٣	ش ٣ — مخطط أفقي لقلعة شونة الزيب وتفصيلات معمارية
٨٤	ش ٤ — مخطط أفقي لقلعة كوبان
٨٤	ش ٥ — تفصيلات معمارية لقلعة كوبان
٨٥	ش ٦ — مخطط أفقي لقلعة سمحة الشرق
٨٥	ش ٧ — مخطط أفقي لقلعة سمحة الغرب
٨٦	ش ٨ — خريطة النيل تبين أماكن الحصون القديمة بين حلفا وسمحة
٨٨	ش ٩ — حملة الدروع والرماح في الجيش المصري
٩٧	ش ١٠ — دروع مصرية متنوعة الشكل
٩٧	ش ١١ — خوذات ومقلع وسياط وضباط يحملون الشارات
٩٨	ش ١٢ — فصيلة من جنود الدولة القديمة يحملون العصي
٩٨	ش ١٣ — فصيلة جنود نظامية من حملة البلط والقسي
٩٩	ش ١٤ — ستة أشكال تبين طرق استخدام القوس المصرية
١٠٠	ش ١٥ — أشكال مختلفة لراءوس النشاب وعصى الترمبسة
١٠٠	ش ١٦ — خمسة من جنود أمنحوتب الرابع (اخناتون)
١٠١	ش ١٧ — أشكال متنوعة لبساط القتال والصولجانات
١٠٢	ش ١٨ — الخنجر وكيفية الطعن به
١٠٢	ش ١٩ — فارس مصري قديم على ظهر جواده
١٠٣	ش ٢٠ — منظر يبين تدريب الجياد وترويضها في مدينة هابو

- ش ٢١ — مناظر مختلفة تبين صناعة عربية القتال في طيبة ١٠٤
- ش ٢٢ — عربية قتال مصرية يجرها جوادان ١٠٥
- ش ٢٣ — أفراد البيت المالك في عجلاتهم الحربية ١٠٥
- ش ٢٤ — عربتان للقتال وقطع أطقم الخيل ١٠٦
- ش ٢٥ — أقدم أشكال العلم المصري ١١٣
- ش ٢٦ — علم عهد الملك إخناتون ١١٣
- ش ٢٧ — علم مربع الشكل ١١٤
- ش ٢٨ — علم مربع الشكل ١١٤
- ش ٢٩ — علم مربع يمتاز بريشة في الجانب العلوى ١١٤
- ش ٣٠ — علم البحارة ١١٤
- ش ٣١ — علم سفينة الملك ١١٤
- ش ٣٢ — علم سفينة الشمس ١١٤
- ش ٣٣ — علم منقوش على جدران الدير البحرى ١١٥
- ش ٣٤ — علم يمثل رأس صقر ١١٥
- ش ٣٥ — علم يمثل رأسا بشرية ١١٥
- ش ٣٦ — علم التدريب لاحدى الوحدات البحرية ١١٦
- ش ٣٧ — علم وحدة بحرية ١١٦
- ش ٣٨ — علم وحدة بحرية ١١٦
- ش ٣٩ — علم وحدة بوليس العاصمة ١١٦
- ش ٤٠ — عربية رمسيس ٣ الحربية ١١٧
- ش ٤١ — شارات الرتب العسكرية المصرية ١١٨
- ش ٤٢ — الجنود المصريون يحاصرون قلعة للأعداء ١١٩
- ش ٤٣ — قلعة سمنا التى شيدها سنوسرت الأول ١٢٥
- ش ٤٤ — منظر من قبر « بنت أمون » فى طيبة ، وكان صاحبه ضابطا ١٢٧
- ش ٤٥ — خمسة من جنود « أمنحتب الرابع » (إخناتون) تل المارنة ١٢٨
- ش ٤٦ — خريطة موقع مجدو العام ١٣٨

- ش ٤٧ — خريطة توضح مواقع المعسكرات المصرية والأسبوية أمام مجدو ١٣٩
- ش ٤٨ — خريطة توضح حركة التفاف القوات المصرية بالقوات الأسبوية
- ١٤١ أمام مجدو
- ش ٤٩ — خريطة تبين حدود مصر في عهد تحتمس الثالث ١٤٣
- ش ٥٠ — لوحة نارمر (الأسرة الأولى) تبين الملك نارمر متغلبا على أعدائه ١٤٥
- ش ٥١ — تمثال من البرونز للملك يبي الأول (الأسرة السادسة) ١٤٧
- ش ٥٢ — تمثال من البازلت الأخضر للملك خفرع (الأسرة الرابعة) ١٤٩
- ش ٥٣ — تمثال من الحجر الرملي للملك سنوسرت الأول (الأسرة ١٢) ١٥١
- ش ٥٤ — تمثال من الجرانيت الرمادي للملك سنوسرت الثالث (الأسرة ١٢) ١٥٣
- ش ٥٥ — تمثال للملكة تيتا شيري جدة أحوسى (الأسرة ١٨) ١٥٥
- ش ٥٦ — بلطة قتال عثر عليها بمقبرة الملكة آح حوتب ١٥٧
- ش ٥٧ — رأس تمثال للملك تحوتمس ٣ (الأسرة ١٨) ١٥٩
- ش ٥٨ — تمثال للملك توت عنخ آمون (الأسرة ١٨) ١٦١
- ش ٥٩ — خنجر ذهبي ذو مقبض منقوش باسم الملك توت عنخ آمون ١٦٣
- ش ٦٠ — تمثال للقائد الملك حور محب (الأسرة ١٨) ١٦٥
- ش ٦١ — تمثال للملك رمسيس الثانى (الأسرة ١٩) ١٦٧
- ش ٦٢ — لوحة للملك رمسيس الثالث (الأسرة ١٩) ١٦٩
- ش ٦٣ — رمسيس الثالث قابضا على سيفه المعقوف وقوسه ١٦٩
- ش ٦٤ — نموذج تخميلي لحصن بوهين في عصر الدولة الوسطى ١٧١
- ش ٦٥ — شارات الذبابات الذهبية الخاصة بالضباط ١٧٣
- ش ٦٦ — معبد حصن بوهين بعد تجديد بعض مبانيه ١٧٥
- ش ٦٧ — خريطة تبين حدود مصر الجنوبية في عهد أمينوفيس ٣ ابن تحوتمس ٤ ١٩٠
- ش ٦٨ — خريطة تبين موقع قادش هدف رمسيس ٢ ١٩٩
- ش ٦٩ — خريطة تبين الوضع الأول لفرق الجيش المصرى في معركة قادش ٢٠٥

صفحة

- ش ٧٠ — خريطة تبين الوضع الثانى لفرق الجيش المصرى فى معركة قادش ٢٠٧
- ش ٧١ — خريطة تبين الوضع الثالث لفرق الجيش المصرى و فرق
الحيثيين فى معركة قادش ٢١١
- ش ٧٢ — خريطة تبين الوضع الرابع لفرق الجيش المصرى و فرق
الحيثيين فى معركة قادش ٢١٣
- ش ٧٣ — منظر من معركة قادش بعد ما ضلزل رمسيس ٢ بأبناء زائفة ٢١٥
- ش ٧٤ — خريطة تبين الوضع الخامس لفرق الجيش المصرى و فرق
الحيثيين فى معركة قادش ٢١٥
- ش ٧٥ — مناظر فى المعسكر ٢١٩
- ش ٧٦ — بعض مناظر معركة قادش فى الرميوم ٢٢١
- ش ٧٧ — منظر للقتال الناشب فى إحدى مراحل معركة قادش ٢٢٣
- ش ٧٨ — القتال فى إحدى مراحل حصار قادش ٢٢٧
- ش ٧٩ — مناظر عامة ومنوعه لتدريب الجيش على القتال ٢٢٩
- ش ٨٠ — لوحة للملك رمسيس ٣ وهو يصوب سهمه ٢٣٠
- ش ٨١ — جندى آشورى مسلح بالأسلحة الخفيفة ٢٣٨
- ش ٨٣ — تمثال لآشور ناصر بال ملك آشور (المتحف البريطانى) ٢٤٣
- ش ٨٤ — فارس آشورى مسلح بالقوس ٢٤٥
- ش ٨٥ — خريطة تبين أمبراطوريات خلفاء اسكندر ٢٦٦
- ش ٨٦ — الامبراطورة المصرية فى عنفوانها ٢٩٩



(ش ٨٦) الامبراطورية المصرية في عتفوانها

الجيش في مصر العربية
للمؤلف تحت الطبع





